عطاء بن يسار ثلاثمائة الف حرف وستون الفا وثلاثة وعشرون حرفا . (بالأرقام : 023 300 ، 023 360).

2) عن ابن مسعود انه قال : وحروفها ثلاثمائة الف حرف وستمائة حرف وسبعون حرفا . (300 670)

3) عن أبي معاذ النحوي : هو ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف . (200 361)

4) عن عطار بن يسار : ثلاثمائة الف وثلاث وعشرون الفا وستمائة واحدى وسبعون حرفا . (671 323)

5) حسبوا حروف القرآن فعرضوه على على مجاهد وسعيد بن جبير فلم يخطئوهم . فبلغ ما عدوه : ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف واحدا وسبعين حرفا . (071 323) .

6) عن ابي حمزة الزيات وابي حفص الخراز قالا : حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف وثلاثة وسبعون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا (250 373) .

7) عن يحيى بن الحارث الذماري قال : عدد حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتا حرف وخمسون حرفا (250 321)

8) عن راشد ابى محمد وكان شهد الحجاج حين ميز القرآن قال : وحروفه ثلاثمائة الف حرف وعشرون الف حرف ومائة وثمانية وثمانون حرفا (188 320) .

وهكذا نرى ان هذه الروايات الثماني لم تتفق الا فى رقم ثلاثمائة الف ، اي لم يبلغ الخلاف بينها حدود مئات الألوف ، ولكن بلغ حدود الآلاف ، بل بلغ فى بعض الروايات حدود عشرات الآلاف !!

ويذكر القرطبي فى تفسيره ثلاث روايات لجملة عدد الحروف فى القرآن الكريم لا تشترك مع اي من الروايات السابقة . والارقام التي جاءت فى روايات القرطبي هي : (180 321 ، 015 323 ، 740 340).

ومع ما ذكره الفيروزابادي فى تعليل ذلك الخلاف نود ان نضيف الى قوله ان الذين قاموا بالاحصاء فيما مضى كانوا فيما يبدو، فريقين : فريق كانوا يعدون عن طريق السمع ، اي كلما سمعوا من قارىء حرفا واتضح فى اسماعهم اضافوا شعيرة ، وفريق آخر كانوا يعدون عن طريق النظر ، اي كلما ابصروا فى المصحف حرفا مكتوبا اضافوا شعيرة . وتظهر ثمرة الخلاف بين هؤلاء وهؤلاء حين نتذكر أن بعض الحروف تسمع ولا تكتب مثل كثير من الفات المد وبعض واوات المد وياءات المد والهمزات ... الخ . وان بعض الحروف تكتب ولا تسمع كهمزة الوصل والالف بعد واو الجماعة .الخ. ومن هنا يمكن ان نتصور وقوع الخلاف فى العدد ، وان كان من المستبعد ان يصل ذلك الى عشرات الآلاف .

غير ان الخلاف فى جملة عدد الحروف لم يزعجنا بقدر ما ازعجنا وادهشنا ان يقع الخلاف بين الروايات فى عدد كل حرف على حدة . فلم تتفق روايات كتاب البصائر الا فى عدد الطاءات ، الظاءات . ولم تتفق مع روايات النسفي الا فى عدد الظاءات فقط . واما ما جاء فى الكشكول للعامري فلا يتفق فى اي حرف مع روايات الفيروزابادي او النسفي . وقد اكتفى صاحب الكشكول بذكر الارقام ولم يضبطها بالكتابة ، ولذلك جاءت نموذجا عجيبا من الاضرابات والخلط .

وحين نستعيد من الحروف تلك التي يحتمل فى بعضها ان تكتب ولا تسمع ، او التي تسمع ولا تكتب كالالفات والهمزات والواوات والياءات ، ونكتفي بمقارنة العدد لكل حرف من الحروف الاخرى التي لا يصيبها شيء من ذلك ، لا نكاد نرى مسوغا لوقوع خلاف فى عدد حروف كالراءات او الباءات مثلا !!

واذا استعرضنا مختلف الروايات حول اعداد الحروف لمسنا كيف ان القدماء من العلماء كانوا فى شبه صراع مع عدد الحروف ، يبذلون الجهد ، ويحاولون التحقيق ما وسعهم ذلك ، لان الامر يتصل بالمعجزة الكبرى للاسلام ، وبكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ثم مع هذا لا يكادون يجمعون على رأي حاسم قاطع بصدد عدد اي حرف من القرآن الكريم الا الظاء .

وهناك صراع احصائي آخر نلحظه بين المتقدمين من اصحاب المعاجم ، فقد تبين لهم منذ عهد الخليل بن احمد ان عدد الكلمات التي يمكن عقلا او نظريا ان يتالف من حروف الهجاء الثمانية والعشرين يكاد يبلغ ، بل يجاوز حدود اثني عشر مليونا ، على اساس ان الكلمة العربية قد تكون ثنائية الاصول ، وقد تكون ثلاثية الاصول ، وقد تكون رباعية الاصول او خماسية الاصول . كما

تبين لهم أن عدد المستعمل من تلك الصور المحتملة لا يكاد يجاوز مائة الف ، والباقي مهمل لا يرد فى اللسان العربي .

وظهر اثر ذلك فى المعاجم الاولى للغة العربية ككتاب العين المنسوب للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والتهذيب للأزهري ، ففي كل من هذه المعاجم نقرأ ـ ولا سيما مع الجذور الثنائية والثلاثية ـ كلمتي المستعمل والمهمل لبيان ما ورد فى اللغة وما لم يرد .

وحاول ابن جني فى كتابه الخصائص (1) تفسيرا لاهمال ما اهمل من صور الجذور ، وجاءنا بما سماه الاستثقال !! فكثيرا ما يردد هذه الكلمة ، وكأنما قد تصور ان مؤتمرا قد عقد بين القاطنين باللغة العربية ؛ وانهم اهتدوا خلال مناقشات هذا المؤتمر الى الحكم على استثقال الكثرة الغالبة من الجذور ، فكأن الامر فى تصوره كان ارادياً متعمدا ، فهو يردد فى أحيان كثيرة قوله : ان العربي ينفر من اجتماع كذا مع كذا من الحروف !! ولما وجد أن بعض الجذور المهملة لا يتسم بالاستثقال أو ما يشبه الاستثقال مثل المادة « لجع » قال عنها انها اهملت حملا على ما اهمل من تراكيب الرباعي والخماسي !!

فلنستمع الى نص كلام ابن جني فى الخصائص : (اما اهمال ما اهمل مما تحتمله قسمة التركيب فى بعض الاصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحقة به ومقفاه على اثره ، فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه مثل :« سص، ظس ، ظث ، ثظ ، ضش ، شض » ، وهذا حديث واضح لنفور الحس عنه والمشقة على النفس لتكلفه ، وكذلك نحو « قج ، جق ، كق ، قك ، كج ، جك » . وكذلك حروف الحلق هي من الائتلاف أبعد لتقارب مخارجها عن معظم الحروف اعني الفم ، فان جمع بين اثنين منها قدم الأقوى على الأضعف نحو : « اهل ، احد ، اخ ، عهد ، عهر » . وكذلك متى تقارب الحرفان لم يجمع بينهما الا بتقديم الاقوى منهما نحو : « ارل ، وتد ، وطد » . ويدل على ان الراء اقوى من اللام ان القطع عليها اقوى من القطع على اللام ، وكان ضعف اللام انما اتاها لما تشرب به من الغنة عند الوقوف عليها !! وكذلك لا تكاد تعتاص اللام ، وقد ترى الى كثرة اللثغة فى الراء فى الكلام . وكذلك الطاء والتاء هما أقوى من الدال ، وذلك لأن جرس الصوت بالتاء والطاء عند الوقوف عليهما اقوى منه واظهر عند الوقوف على الدال وانا ارى أنهم انما يقدمون الاقوى من المتقاربين من قبل ان جمع المتقاربين يثقل على النفس ، فلما اعتزموا النطق بهما قدموا اقواها لأمرين : احدهما أن رتبة الأقوى ابدا اسبق واعلى ، والآخر انهم انما يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل ان المتكلم فى أول نطقه اقوى نفسا واظهر نشاطا فقدم أثقل الحرفين وهو على أجمل الحالين كما رفعوا المبتدأ لتقدمه فأعربوه بأثقل الحركات وهي الضمة ، وكما رفعوا الفاعل لتقدمه ونصبوا المفعول لتأخره ... الخ .) الى ان يقول ابن جني فى آخر هذا الفصل : (وتخطوا بذلك الى اهمال بعض الثلاثي لا من أجل خفاء تركيبه بتقاربه نحو : « سص ، صس » لكن من قبل انهم حذوه على الرباعي كما حذوا الرباعي على الخماسي ؛ الا ترى ان « لجع » لم يترك استعماله لثقله من حيث كانت اللام اخت الراء والنون ، وقد قالوا : « نجع فيه ، رجع عنه » ، واللام اخت الحرفين ، وقد اهملت فى باب « اللجع » فدل على أن ذلك ليس للاستثقال) انتهى كلام ابن جني !!

وكلما مررنا بتلك الاشارات السريعة التي نصادفها فى ثنايا كتب القدماء من المستعمل والمهمل من جذور اللغة ، أو عن توالي الحروف وما يجتمع منها وما لا يجتمع ، احسسنا انهم كانوا فى شبه صراع رهيب ومحاولة يائسة لعلهم يصلون الى نسبة صحيحة فى الاحصاء او الاستقراء . فاذا روي عن الخليل انه قال: (ليس فى كلام العرب شين بعد لام ولكن قبلها ، كلها قبل اللام) ، رد عليه الأزهري قائلا : (وقد وجد فى كلامهم الشين بعد اللام، قال ابن الاعرابي وغيره :رجل « لشلاش اذا كان خفيفا » ، ثم يروي لنا بعض المعاجم ايضا كالقاموس المحيط للفيروزابادي أن الفعل « لشا » معناه خس بعد رفعه !!

ومن الاشارات السريعة التي جاءت فى كتب القدماء بصدد نسبة شيوع الحروف فى اللغة العربية قول ابن دريد فى مقدمة معجمه الجمهرة (واعلم أن اكثر الحروف استعمالا عند العرب : الواو ، الياء ، الهمزة ، واقل ما يستعملون لثقلها على السنتهم : الظاء، ثم الذال ، ثم الثاء ، ثم الشين ، ثم القاف ، ثم الخاء ، ثم الغين ، ثم النون ، ثم اللام ، ثم الراء ، ثم الباء ، ثم الميم) !!

---

(1) جـ 1 ص 53 .

وأهم ما نلاحظه على اشارة ابن دريد المقضبة انها لم تتضمن الا نصف حروف الهجاء ، وان النسخ المخطوطة لهذا المعجم قد اختلفت فى شأن حرفين من الحروف المذكورة هنا ، فبعضها يذكر الدال بدلا من الذال ، ويذكر العين بدلا من الغين !!

واما الجاحظ فبرغم كثرة مؤلفاته وضخامتها لا نرى له سوى سطر واحد فى البيان والتبيين يقرر فيه أن : الياء ، اللام ، الألف ، الراء ، أكثر الحروف ترددا من غيرها ، وان الحاجة اليها اشد !! ثم يذكر لنا كيف اهتدى الى ذلك فى تعبير طريف يقول فيه : (واعتبر ذلك بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم ، فانك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف الحاجة اليها اشد) !!!

وجاء فى مقدمة لسان العرب لابن منظور : (واما تقارب بعض الحروف من بعض وتباعدها فان لها سرا فى النطق يكشفه من تعناه كما انكشف لنا سره فى حل المترجمات لشدة احتياجنا الى معرفة ما يتقارب بعضه من بعض . فان من الحروف ما يتكرر ويكثر استعماله وهو : ا ، ل ، م ، ه ، و ، ى ، ن . ومنها ما يكون تكراره دون ذلك وهو : ر ، ع ، ف ، ت ، ب ، ك ، د ، س ، ق ، ح ، ج . ومنها ما يكون تكراره اقل من ذلك وهو : ظ ، غ ، ط ، ز ، ث ، خ ، ض ، ش ، ص ، ذ . ومن الحروف ما لا يخلو منه اكثر الكلمات حتى قالوا ان كل كلمة ثلاثية فصاعدا لا يكون فيها حرف أو حرفان منها فليست بعربية وهي ستة احرف : ر (1) ، ب ، م ، ن ، ل ، ف . ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض اذا اجتمع فى كلمة الا ان يقدم ، ولا يجتمع اذا تاخر وهو : ع ، ه ، فان العين اذا تقدمت تركبت واذا تاخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب اذا تقدم ويتركب اذا تاخر وهو : ض ، ج ، فان الصاد اذا تقدمت تركبت واذا تاخرت لا تتركب ، ومنها ما لا يتركب بعضه مع بعض لا ان تقدم ولا ان تأخر وهو : س ، ث ، ض ، ز ، ظ ، ص ، فاعلم ذلك) .

واما اشهر ما عرف عن علماء البلاغة بهذا الصدد فنراه فى اثناء حديثهم عن التعقيد اللفظي ، واكثره تفصيلا ما جاء فى عروس الأفراح للسبكي (2) ، ونقتبس هنا بعض فقراته :

(تنبيه : رتب الفصاحة متقاربة ، وان الكلمة تخف وتثقل بحسب الانتقال من حرف الى حرف لا يلائمه قربا أو بعدا) .

ثم يذكر المؤلف الحالات الست للجذر الثلاثي على أساس ان الحرف قد يكون مخرجه من الحلق كالعين مثلا ، أو مخرجه من الفم كالدل مثلا ، أو مخرجه من الشفتين كالباء مثلا . فالحروف الثلاثة ع ، د ، ب ، يمكن أن يتألف منها ست صور هي :

ع د ب ، ب د ع ، د ب ع ، ع ب د ، د ع ب ، ب ع د . ثم يتحدث المؤلف عن اكثر هذه الصور شيوعا واقلها شيوعا فيقول ما نصه : (اذا تقرر هذا فاعلم ان احسن هذه التراكيب واكثرها استعمالا ما انحدر فيه من الأعلى « يريد حرفا مخرجه الحلق » الى الأوسط « يريد حرفا مخرجه الفم » الى الادنى « يريد حرفا مخرجه الشفتان » (3) ، ثم ما انتقل فيه من الأوسط الى الادنى الى الاعلى ، ثم من الاعلى الى الادنى الى الاوسط ، وما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى فهما سيان فى الاستعمال وان كان القياس يقتضي أن يكون ارجحهما ما انتقل فيه من الاوسط الى الاعلى الى الادنى . واقل الجميع استعمالا ما انتقل فيه من الادنى الى الاعلى الى الاوسط) . انتهى كلام عروس الافراح . والمؤلف فى كل الحالات السابقة يريد بقوله الاعلى حرفا مخرجه الحلق ، وبالادنى حرفا مخرجه الشفتان ، وبالاوسط حرفا مخرجه الفم .

واخيرا وليس آخرا تلك الضوابط المشهورة التي عني بها أمثال « الجواليقي » فى كتابه « المعرب من الكلام الاعجمي » ، والشهاب الخفاجي فى كتابه « شفاء الغليل » حين يشار فى هذين الكتابين الى ما يمكن أن يعد علامات لتمييز الكلمة العربية من الكلمة الأعجمية وهي :

(1) لا تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية ، الأصل ، ولذلك تعد كلمة مثل « المنجنيق » من الالفاظ الأعجمية .

---

(1) ذكرت فى المعجم على انها « دال » ومن المؤكد انه تصحيف .
(2) شروح التلخيص جـ 1 ص 94 ، 95 .
(3) لعل هنا نقصا فى النص وتكملته « أو عكسه من الادنى الى الأوسط الى الاعلى » . وهذه التكملة لكن تتمم الصور الست للثلاثي .

(2) لا تجتمع الصاد والجيم فى الكلمات العربية ، فمثل « صولجان » مما اقترضه العرب ، وكذلك كلمة « الجـــص » .

(3) لا تقع النون وبعدها راء فى اللفظ العربي ، فمثل « نرجس » كلمة أعجمية .

(4) لا تكون الزاي بعد دال فى كلمة عربية ، فمثل « مهندز » كلمة اعجمية ، وهي الكلمة التـــي تغيرت فيما بعد حتى صارت على الصورة المألوفة الآن « مهندس » .

(5) لا تجتمع الزاي أو الذال مع السين ، فكلمـــة « ساذج » معربة عن الفارسية .

(6) لا تقع الطاء مع الجيم فى كلمة عربية ، ولذلك عدت كلمة « الطاجن » أعجمية .

(7) لا تخلو الكلمة العربية حين تكون رباعية الاصل أو خماسية الاصل من حرف من حروف الذلاقة وهي : اللام ، الراء ، النون ، الميم ، الفاء ، الباء ، فيما عدا كلمة « عـسجد » بمعنى الذهب .

اما بعد : فازاء كل ما تقدم هنا من نصوص وردت فى كتب القدماء كنت الى عهد قريب اشعر بالدهشة والحيرة ، واتمنى لو اتيحت لنا فرصة لاعادة الاحصاء والاستقراء عن طريق تلك الآلات الحاسبة الحديثـــة التي اشتهرت باسم العقل الالكتروني أو«الكومبيوتر»

ثم حانت الفرصة فى العام الماضي حين دعتني جامعة الكويت لزيارة كانت برغم قصر زمنها ، مباركة فى ثمارها . فقد اتصلت بأستاذ الفيزياء المصـــري والمعار لجامعة الكويت الدكتور علي حلمي موســـى وكنت اعلم انه من امهر المتخصصين فى استخـــدام الكومبيوتر . وعقدنا معا عدة جلسات علمية شرحت فيها فكرة الاحصاءات اللغوية واهميتها فى البحـــث اللغوي ، ثم كان أن اتفقنا على البدء بدراسة احصائية لجذور اللغة كما جاءت فى معجم الصحاح للجوهري .

ووضع استاذ الفيزياء ما يسمى فى استخـدام الكومبيوتر بالبروجرام ، وشحن ذاكرة الكومبيوتـــر بنصوص المعجم ، ثم استملى ذلك الجهاز العجيـــب فاملى عليه نتائج احصائية رائعة نسقت فى عشرات من الجداول ، وبذلك تحقق ذلك العمل العلمي الرائد الذي سعدت بأن يكون لي فيه حظ التوجيه والارشاد.

وطبعت جامعة الكويت تلك النتائج الاحصائية فى كتيبين تحت عنوان « دراسة احصائية لجـــذور مفردات اللغة العربية » ، ووزعتها على كل اعضـــاء المجامع اللغوية فى العالم العربي ، وعلى اقـــام اللغات والرياضيات فى الكليات الجامعية .

وهكذا نرى أن اصحاب العلم الحديث قد قالوا كلمتهم بصدد الاحصاء اللغوي ، وبقـــي علينا نحـــن اللغويين أن نفيد من تلك الاحصاءات فى بحوثنا ، ولا اشك لحظة فى أن اللغوي الحديث سيهتدي عن طريق تلك الاحصاءات الى تفسيرات جديدة واصيلة لكثير من ظواهر لغتنا العربية ، واعمل الآن جاهدا رجـــاء الاهتداء الى بعض آثار الكومبيوتر فى البحث اللغوي.

وبالله التوفيق .

سمات ومشابه عربية في أدب الكاتب الإيطالي:

جوفاني فيرغا Giovanni Verga

للأستاذ عيسى الناعوري
- الأردن -

اذا كانت المدرسة الادبية الواقعية تعزى فى فرنسا الى هونوريه دي بلزاك واميل زولا ، ويضمون اليها غي دي موباسان وغوستاف فلوبير ، فانها فى ايطاليا تعزى الى لويجي كابوانا وجوفاني فيرغا ، ويضمون اليها غراتسيا ديليدا .

واذا كان بلزاك ، فى فرنسا ، يعتبر نقطة البداية فى الحركة الواقعية ، واميل زولا عامل تثبيتها واديبها الاكبر، فان الايطاليين يعتبرون كابوانا نقطة البداية فى المدرسة الواقعية ، او الطبيعية (Verismo - Naturalismo) وفيرغا عامل تثبيتها واديبها الاكبر، على الاخص بروايتيه الشهيرتين (اسرة مالافوليا ـ I Malavoglia) و (المعلم السيد جيزوالدو ـ (Mastro Don Gesualdo)

وعلى الرغم من ان المدرسة الواقعية الايطالية جاءت بعد اختها الفرنسية ، وكانت متاثرة بها ، الا انها تختلف عنها فى ناحية مهمة هي انها انصرفت الى معالجة الواقع المحلي الصرف : الواقع الايطالي لا الانساني العام ، كما نرى ذلك فى اشخاص روايات فيرغا التى كانت صقلية مائة بالمائة ، واشخاص روايات غراتسيا ديليدا التى كانت من واقع جزيرة سردينيا وحدها ، ومن بيئاتها الفقيرة الخاملة المتالمة .

لقد تاثرت هذه المدرسة ـ سواء فى فرنسا ام فى ايطاليا ـ بالنهضة الصناعية والعلمية فى اوروبا ، وبظهور كارل ماركس وانجلز ، وما تركت فلسفتهما الاقتصادية المادية من اثر واسع فى الحياة العادية فى اوروبا ، حتى جعلت كل شيء يفسر تفسيرا ماديا واقتصاديا وآليا .

كان جوفاني فيرغا روائي الواقعية وخلاقها المبدع ، بينما كان صديقه وزميله كابوانا ناقدها الاكبر ، وناشر فلسفتها بما يمتاز به نقده من حيوية الافكار والانطباعات ، الى جانب مشاركته فى الخلق والابداع بما الفه من اقاصيص وروايات ومسرحيات منتزعة كلها ـ او اغلبها ـ من واقع الحياة الصقلية. ولعل اشهر اعماله الادبية قصته مركيز روكافيردينا ـ (Marchese di Roccaverdina) . وبالرغم من براعة كابوانا النقدية ، واهمية آثاره الادبية ، فان فيرغا يظل اهم منه كثيرا فى زعامة المدرسة الواقعية، وابعد اثرا .

وكان يمكن اعتبار اليساندرو مانتزوني خالقا للمدرسة الواقعية قبل كابوانا وفيرغا ، على الاخص بروايته الشهيرة (الخطيبان ـ I promessi sposi) لولا أن ما نتزوني كان حريصا على الجوانب الخلقية، فيحكم على الاعمال والاشخاص فى روايته على اسس خلقية ، لا مادية واقتصادية وعلمية ، بينما تترك المدرسة الواقعية الحكم على الاعمال والاشخاص الى القاريء نفسه ، لا الى المؤلف ، كما ان هذه المدرسة كانت تحرص على عدم الكشف عن الدناءات والمساويء الانسانية علنا او التشهير بها امام القراء ، بل كانت تعطف على المحرومين من ابناء الشعب ، وتشيد

بمزاياهم الايجابية ، واستسلامهم الى الالم والبؤس، ودفاعهم عن الشرف ، وما الى ذلك . وهذه المزايا كلها نجدها مصورة اروع تصوير فى آثار فيرغا الادبية المستمدة من الحياة الصقلية الشعبية الكادحة ، المستسلمة الى المصير المحتوم .

فمن هو جوفاني فيرغا هذا ؟

ولد فيرغا فى مدينة كاتانيا ، فى صقلية ، عام 1840 ، وتوفي فى عام 1922 ، بينما ولد زميله كابوانا ـ وهو ايضا من كاتانيا ـ قبله بعام واحد ، اي عام 1839 ، وتوفي قبله بسبعة اعوام ، اي عام 1915 .

ولقد احس فيرغا منذ حداثته بميل شديد الى الآداب ، وبحاجته الى بيئة تساعده على تغذية ميله هذا . وفى عام 1865 غادر صقلية الى فلورنسا حيث وجد البيئة التى يريد . فاقام فيها مدة ، ثم انتقل منها الى ميلانو ، وهناك بدات حياته الادبية بدايتها الجدية . فاقام فى ميلانو الى ان عاد منها عودته النهائية الى مسقط راسه ـ كاتانيا ـ حيث توفي عام 1922 .

فى الفترة التى بدا فيها فيرغا حياته الادبية كانت الحركة الادبية الواقعية واسعة الانتشار فى فرنسا واوروبا ، وكانت قد ظهرت كذلك حركة ادبية جديدة فى مدينة ميلانو نفسها ، اطلق على اصحابها اسم (ذوي الشعور الشعث) وبالايطالية (Scapigliati) ـ وهي اشبه بحركة الخنافس، او الهيبيين فى يومنا هذا ـ فهي مدرسة تمردية ، قليلة الانصار ، قصيرة العمر جدا : اذ لم يزد عدد كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم : (Giuseppe Rovani) مؤسس هذه الحركة وزعيمها ، و (Iginio Tarchetti) و (Giovanni Camerana) و (Carlo Dossi) و (Emilio Praga) وهذا اشهرهم ، واخيرا (Arrigo Boito) . اما عمر هذه الحركة فلم يزد على عشر سنوات (من 1860 الى 0 187) .

لقد اراد هؤلاء الروائيون والشعراء الشبان ان يتمردوا على مثالية المدرسة الرومنسية وحساسيتها المفرطة ، ولكنهم انغمسوا كل الانغماس فى حياة فوضوية بوهيمية ، وفى الكفر بالله والانسان والوطن والفن ، وبكل المثل العليا فى الحياة ، ومضوا ينشدون النسيان في تعاطي الخمر والافيون.

وكان لذلك طبيعيا ان يموت بعضهم بالسل والاسقام، وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيتي) بالسل وعمره ثمانية وعشرون عاما ، وقضى (كاميرانا) منتحرا ، ومات اشهرهم (براغا) صغير السن لم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

عند ظهور هذه المدرسة المسلولة ـ او فلنقل « المسطولة » ! ـ كان فيرغا فى حدود الثلاثين من عمره، وفى عز انتشارها كان قد وصل الى فلورنسا، ثم انتقل قبل وفاتها الى ميلانو ـ مهد هذه الحركة وقبرها ـ وفى هذه الفترة جاءت اعماله الادبية مزيجا مضطربا من اثر الواقعية الفرنسية ، والتمردية الفوضوية الميلانية ـ مدرسة ذوي الشعور الشعث ـ . وهذه الاعمال التى انتجها فيرغا هي : (خاطئة ـ Una Peccatrice) و (حكاية بلبل ـ Storia di una capinera) والنمر الملكي ـ Tigre Reale) و (ايروس Eros) و (حواء Eva) .

وعلى الرغم من ان فيرغا قد وضع هذه الروايات بعيدا عن الارض الصقلية ، وفى وسط المدن الشمالية الكبيرة الملأى بالنشاط والحياة ، الا انه كان يعيش بروحه فى ارضه الصقلية ، ومنها ظل يستمد الهامه وشخوصه وصوره . وعلى الرغم من النجاح الذى لقيته هذه الروايات ، فانها لم تبلغ السمت الفني الذى كان فيرغا يتوق الى تحقيقه . ولم يهتد الى حقيقته الفنية الا حين سلك سبيل الواقعية الادبية ، فهناك رسخت شهرة فيرغا بين عمالقة الادب الايطالي ، ولاسيما حين ظهرت روايتاه الشهيرتان (I Malavoglia) (Mastro Don Gesualdo) المستمدتان من واقع الحياة الصقلية الكادحة ، المذعنة للقدر الرهيب ، وحين اصبح شخوصه ممن يدعوهم باسم المغلوبين ـ Vinti) لان الاقدار هي التى تسيرهم بارادتها دون ان يكون لهم فيها راي ، ولا فى تبديلها يد .

ولا فى تبديلها يد؛ بدات الفترة الجديدة فى حياة فيرغا الادبية بقصة عنوانها Nedda ظهرت عام 1874 ، ثم تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعية الاخرى فى كتبه التالية: (حياة الحقول ـ Vita dei campi) 1880 ، و (خبز اسود ـ Pane nero) 1882 ، و (اقاصيص قروية ـ Novelle rusticane) 1883 و (فى الطرقات ـ Per le vie) وغيرها . الا ان فيرغا بلغ الذروة فى روايتيه (اسرة ـ

مالافوليا ـ والمعلم السيد جيزوالدو) ، وقد ظهرت الاولى عام 1881 ، والثانية 1889 . ويمكن ان تضاف اليهما روايتان اخريان ، هما : (زوج ايلينا ـ (Il marito di Elena عام 1882 ؛ و (من حصتك على حصتي ـ (Dal tuo al mio عام 1906.

في هذه الروايات انصرف فيرغا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان في عفوية احاسيسه واعماله ، والى الدنيا في الاعيب الاقدار العجيبة وتحكمها بمصائر البشر . فهو شديد العطف على الضعفاء ، والمعتوهين ، والمغلوبين على امرهم الذين يحنون رؤوسهم لمشيئة القدر المستبد ، يتفهمهم بعطف عميق حتى في اخطائهم .

ولقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيا القصور الباذخة والحياة المترفة في المدينة الصاخبة ليستروح عبير ارضه الصقلية ، ويعيش مع شعبه ، ويتذوق طعم الخبز البيتي اللذيذ . لقد افلحت الواقعية في ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد فنه مما كان يعيش في اعماق نفسه من بيئته الصقلية الاولى .

صحيح أن معاصري فيرغا كانوا قد استقبلوا رواياته واعماله الادبية بشيء من البرود وقلة الاهتمام ، غير انه ما كادت تميل شمس الواقعية الى الغروب ، وتصبح شيئا من حصة التاريخ الادبي ، حتى اصبحت تلك الروايات والاقاصيص مثار الاعجاب الواسع لدى القراء والنقاد ، واخذت مكانتها الرفيعة بين روائع الآثار الادبية الكلاسيكية .

— * —

« ان فيرغا اليوم واحد من اوسع الكتاب شهرة وذيوعا في الادب الايطالي .. وعلى الرغم من تغير الظروف التاريخية لا يزال اكثر ما يكون حياة في ضمير الاجيال الجديدة التي تعتبره الكاتب الذي مجد اعظم الاخلاق الانسانية نقاء ، والممجد الاكبر لقداسة الحياة ، ولنضال الرجولة اليومي للبقاء .. واغانيه تظل ضمن نطاق الانسانية ، الا انها تسمو على انسانيتها بتحمل الالم برجولة حقة . هذه هي رسالة فيرغا الاجتماعية : فالاب نتوني هو رمز للعظمة الانسانية السامية التي تعرف كيف تؤلف بين شريعة الحياة المتالمة وشريعة الله » .

هذه الفقرة اخترتها من كتاب (تاريخ النقد الفيرغوي ـ (Storia della critica Verghiana) لصديقي الكاتب الايطالي (Giorgio Santangelo) الاستاذ في كلية الآداب في جامعة باليرمو . وكنت قد قرات هذا الكتاب النفيس قبل ان اشرع في دراسة آثار فيرغا ، لكي يساعدني على فهم هذه الآثار الادبية فهما صحيحا . والحقيقة انه افادني كثيرا بان اطلعني على آراء العديد من النقاد الايطاليين في فيرغا وادبه ، حتى لقد خيل الي انه لم يبق جانب من جوانب فيرغا الفنية الا اشبع درسا وتحليلا .

وحين عكفت على دراسة روايتي فيرغا الكبريين (اسرة مالافوليا ـ والمعلم السيد جيزوالدو) وجدت ان هناك نقطتين جديرتين بالنقاش والتحليل رغم كل ما قاله النقاد في اعمال فيرغا الادبية . وانا في هذه العجالة اقتصر على هاتين الروايتين وحدهما من بين انتاج فيرغا كله .

النقطة الاولى تتعلق بالحتمية القدرية (Fatalismo) التي يراها النقاد في آثاره ، والتي اراها انا بطولة ورجولة ، لا خنوعا لقدر محتوم لا يمكن قهره .

ويبدو لي أن هذه الحتمية التي يراها نقاد فيرغا قد اصبحت لديهم ماركة مسجلة بالنسبة الى اعماله الادبية ، ولاسيما الواقعية منها ، فهو عندهم لا يعرف الا بها .

وحين تذكر هذه الحتمية ينصرف ذهننا الى قطعان بشرية مذعنة لمصيرها المحتوم : تسير بعيون مغمضة ، ورؤوس منحنية خنوعا ، ولا تدري ـ او لعلها لا تملك ان تدري ، او تسال ـ ان كانت تساق الى المسلخ ام الى المرعى ، لان ارادتها مشلولة ، ومسيرها مخطوط منذ الازل في لوح القدر من نقطة انطلاقها حتى النهاية .

ولكن هل كان كذلك حقا ابطال فيرغا ؟ (اكرر هنا انني اتحدث عن «اسرة مالافوليا ، وجيزوالدو» بنوع خاص لئلا ازيد الموضوع اتساعا ، واطلق الجناحين اكثر مما يجب) .

فلنحاول ان نلقي نظرة سريعة على كل من هاتين الروايتين لكي نصل من ذلك الى حيث نضع اصابعنا في موضع الجراح من اولئك (الابطال) الذين يابى فيرغا الا ان يدعوهم باسم (المغلوبين ، او المهزومين ـ (Vinti :

1 ـ اسرة مالافوليا : I MALAVOGLIA

في هذه الرواية لدينا عدة ابطال ، غير ان الرئيسيين منهم ثلاثة ، هم : السيد نتوني ـ والدار ، وتدعى باسم « دار الزعرورة » Casa del nespolo والمركب ، ويدعى باسم « العناية » Provvidenza) . ـ وتتالف اسرة مالافوليا من : الشيخ نتوني ، والابن باستياناتسو . والكنة ماروتسا (Maruzza) وتدعى ايضا (La Longa) ، وكذلك من الاحفاد (نتوني ـ لوكا ـ مينا Mena ـ اليسندرو ، ويدعى ايضا مصفرا ، اليسي ـ ثم ليا) . انها اسرة من صيادي الاسماك يحاول افرادها ان يتعاونوا فيما بينهم على العيش من مهنة واحدة. وفي احدى السنين العجاف يحاول السيد نتوني ان يتغلب على الفقر والجوع بتجارة الترمس (Lupini) ولاجل ذلك يستدين من احد المرابين (واسمه كروتشيفيسو) خمسمائة ليرة . غير ان عاصفة تهب على المركب فتغرقه مع حمله من الترمس ، ويغرق معهما كذلك الابن باستياناتسو . اما المركب فينتشل ويعاد اصلاحه للعمل من جديد ، واما الدين فيظل دون تسديد رغم كل المحاولات والجهود التي يبذلها الشيخ نتوني وسائر الاسرة . واخيرا تضطر الاسرة الى التخلي عن الدار العزيزة ـ دار الزعرورة ـ ثم عن المركب ـ العناية ـ لتسديد الدين . وحين تتجرد الاسرة من الدار والمركب تأخذ المصائب في التوارد عليها : فتموت الكنة بالكوليرا، ويقضي الحفيد لوكا في معركة بحرية ، والحفيد الآخر نتوني ، بعد ان يخدم في الجندية ، يعود الى البطالة ، وينغمس في اعمال التهريب ، وبالتالي يدخل السجن ليقضي فيه خمس سنوات في القيود لطعنه ضابط الحرس في اثناء معركة ليلية بين حرس الجمارك والمهربين . وبعد ذلك تغادر الحفيدة ليا المنزل ولا يعود احد يراها . ويموت كذلك الشيخ في احد المستشفيات بعد ان اثقلته السنون والمصائب معا . والحفيدة (مينا) لا تجد زوجا بسبب المصائب المتلاحقة التي تنصب على بيت مالافوليا ، فتنصرف الى العناية باخيها الاصغر (اليسي) واسرته . واليسي هذا هو وحده الذي يتزوج جارة له تدعى (نونتسياتا ـ Nunziata) ويتمكن من استعادة الدار التي كان استردادها آخر امنية للجد قبل احتضاره . وبعدئذ يخرج الحفيد نتوني من السجن ويمضي بعيدا الى حيث لا يستطيع احد ان يعرفه .

2 ـ المعلم السيد جيزوالدو ـ MASTRO DON GESUALDO

كان جيزوالدو بناء ، وابن قروي يملك فرنا للجير (مشيدة) . ناضل نضالا عنيدا منذ طفولته ضد بؤس الفقراء وفاقتهم : « حمل الكثير من الحجارة على منكبيه .. وقضى العديد من الايام دون خبز » (ص 76) . لقد عمل اجيرا ، وبناء ، وعديدا من الحرف الاخرى ، ولكنه كان دائما مصمما على الانتصار على ظروفه الاليمة ، والتغلب على عناد الاقدار . وبفضل عمله المتواصل دون ملل او تعب استطاع ان يتغلب على الظروف العسيرة ، وان يقترن بفتاة تدعى (بيانكا تراو ـ Bianca Trau) كانت الاخيرة من اسرة نبيلة خفض الزمان جناحها . غير ان هذا الزواج ، الذي فرضته على الطرفين المصالح المادية وليس الحب المتبادل ، يصبح بداية لمصائب خطيرة ، ثم يفضي الى الدمار . والثمرة الوحيدة لهذا الزواج ، وهي الابنة ايزابيلا ، تعيش بعيدة عن ابيها الذي تخجل من اصله الوضيع ، ثم تصبح زوجة لاحد دوقات باليرمو . وتموت الزوجة (بيانكا) بالكوليرا ، ويصاب جيزوالدو نفسه بالسرطان ، فيقضي ايامه الاخيرة في قصر زوج ابنته في باليرمو ، ويموت بعد ذلك وحيدا يائسا بعد ان يرى ضياع الثروة التي جمعها بكده وعرقه المتواصلين جميعا ، والتي كانت اعز عليه من حياته. وتقول الرواية انه « هناك ، امام الثروة التي يملكها ، اقتنع بانه انتهى حقا ، وان كل امل له قد ضاع .. انه يود لو يستطيع ان يدمر بضربة واحدة كل الثروة التي جمعها شيئا فشيئا . يود لو امكن ان تذهب املاكه معه ، قانطة يائسة مثله ! » (ص 347)

في البداية تستولي اخت جيزوالدو وزوجها على املاكه وثروته ، غير ان زوج ابنته لا يلبث ان يستولي على كل شيء رغم احتجاج الشيخ جيزوالدو المحتضر الذي « كان بطنه منتفخا كالقربة ... والانياب الكلبية في داخله تنهش كبده نهشا » (338)

— * —

في هاتين الروايتين نلاحظ كيف جعل فيرغا الحتمية القدرية تسيطر من البداية الى النهاية ، او هكذا ارادها ، لان فيرغا يرى « ان الناس ـ اخيارا كانوا ام اشرارا ـ يجثم عليهم كابوس محتوم صارم ـ كما يقول باسكواله لامانا في الجزء الثالث

من كتابه (تاريخ الادب الايطالي) ص 112 ـ يجتث كل طموح لهم نحو الرخاء ونحو الطمانينة ، ويعاقب بقسوة ظالمة كل ارادة لهم للخروج من قشرتهم ، والارتقاء فوق ظروفهم الاجتماعية » .

ومع ذلك فان هناك، الى جانب الاقدار والكابوس الصارم ، شيئا آخر هو « البطولة » ، هو الصمود حتى النهاية فى النضال الذى يرافق سائر احداث اسرة مالافوليا والمعلم جيزوالدو . ان البطلين التاعسين لا يرضخان للمصائب، ولا ينحنيان امام المصائب والعوائق الرهيبة التى يضعها القدر فى طريقهما ، بل يسيران رافعي الرأس دون ان يعرفا اليأس والهزيمة .

ان الحتمية القدرية ليست حقيقة مطلقة فى الحياة ، بمعنى أن الانسان يجب ان يحني راسه مستسلما لها دون نضال . وكذلك هي فى روايتي فيرغا : فى حياة اشخاصه وتصرفاتهم ومعتقداتهم . انها ليست حقيقة مطلقة لا يمكن التغلب عليها بقوة الارادة ورجولة النضال ، بمقدار ما هي عقيدة مسيطرة على تفكير المؤلف نفسه . ان فيرغا يلح كل الالحاح فى ابرازها فى رواياته . وعلى الرغم من انها ليست حقيقة لا علاج لها ، الا ان المؤلف يبحث عنها عامدا ، ويريدها دون علاج لابطاله الذين يدعوهم (المغلوبين) لكي يحدد لهم قسمتهم تحديدا قسريا منذ الازل : اي أن «يعملوا ويتألموا» ـ كما يقول الناقد الايطالي سابينيو (Sapegno)

ان اشخاص فيرغا ليسوا من اختراع خياله . هذا صحيح ، ولكنهم مخلوقات آدمية ينتقيها هو من الواقع البائس انتقاء بلحمها ودمها ، ويعرضها على المسرح لكي تمثل ادوارها الحقيقية التى يلازمها البؤس والنحس . غير اننا فى هذا الواقع الذى يعرضه لنا المؤلف نلمس لدى فيرغا ميلا طبيعيا ـ أو هل نقول « حتميا » ، حسب اعتقاده بالحتمية ؟ ـ الى المأساة اكثر منه الى الملهاة، او الى بساطة الحياة وعاديتها . وقد يكون ذلك لان حياة جزيرة صقلية كانت حينئذ ـ كما صورها فيرغا ، وكما صورها من بعده جوزيبني تومازي دي لامبيدوزا فى روايته (الفهد) او (Il Gattopardo) كما هو عنوانها بالايطالية ، بكثير من الاغراق فى التشاؤم ـ منفى مليئا بالتعاسة والجهل والفقر والظلم .

يقول ماتزوني (Mazzoni) : « ان المؤلف يعطينا اشخاصه كما يريدهم هو ، ويجعلهم يتصرفون كما نحب نحن ، حتى فى اكثر حركات حياتهم سرية . انه يسمع اشد اصواتهم خفاء ، ويتجسس حتى على تنهداتهم فى ليالي الارق » ... وانا احب ان اضيف هاهنا ان فيرغا يستحضر اشخاصه ومعهم بيئاتهم الحقيقية . وعلى الرغم من انه كان يصر دائما على ان فنه لا صلة له بشخصه ، وينفي الذاتية عنه ، فان ما يضعه من كلام على افواه اشخاصه ينسجم كل الانسجام مع البيئة النفسية والروحية التى يحسها هو نفسه ويريد ابرازها ، اي مع عالمه الخاص . وطبيعي انه يقدم لنا الحقائق فى لمسات من يدفنان بارع ، لا وقائع تاريخية مجردة من حياة الجزيرة فحسب . والمساكين الذين يناضلون لاجل الرغيف ولاجل السلام فى جزيرتهم هم وحدهم الاشخاص الذين يتعمد فيرغا اختيارهم ليفصل على قياسهم فكرته الخاصة فى القدرية وفى المصير المحتوم وجبروته . غير اننا نراهم ، رغم الهزائم المريرة ، على استعداد دائم لمتابعة النضال بكل جدارة ، ومن غير هدنة . صحيح انهم قد ينتهون الى الخيبة والقنوط ، ولكنهم يسقطون سقوط الابطال ، لا سقوط الضعفاء والجبناء ، وفى بعض الاحيان قد يبلغ نضالهم ـ ولو متأخرا جدا ـ الى النصر ، والى استرداد المتاع الذى فقدوه ، كما راينا فى (اسرة مالافوليا) وفى بعض جوانب فى (المعلم السيد جيزوالدو) ايضا ، كما سأشرح ذلك فى ما يلي :

فى (اسرة مالافوليا) يناضل الشيخ نتوني طويلا ، وتناضل معه اسرته كلها كذلك ، لكي يتوصلوا الى استرداد (دار الزعرورة) . غير ان السيد نتوني نفسه لا ينتصر ، لسوء حظه ، الا بعد موته : ففى اللحظة الاخيرة يبشره حفيده اليسي بانه استطاع ان يسترد الدار . كان السيد نتوني حينئذ على عتبة العالم الآخر الذى لا عودة منه ، غير انه احس بأن الحياة لم تخدعه خداعا تاما ، وبأن العدالة ما تزال توجد على الارض .

واليكم ما تقوله الرواية :

« حين اخبروه بعد ذلك انهم استعادوا دار الزعرورة ، وارادوا ان يعيدوه معهم الى (تريتسا ـ Trezza) من جديد ـ كان حينذاك فى المستشفى طبعا ـ اجاب بنعم ، ثم نعم ، بعينيه اللتين عادتا الى الاشراق ، وكاد فمه ينفرج عن ضحكة عريضة : ضحكة اولئك الذين ما عادوا يعرفون الضحك ، او الذين يضحكون للمرة الاخيرة . ولكن الضحكة ظلت

مغروسة فى قلبه كالنصل . ذلك ما جرى لاسرة مالافوليا حينما عادوا يوم الاثنين فى عربة (العم الفيو) ليعيدوا جدهم معهم الى المنزل فلم يجدوه» (ص 245)

اذن فقد انتصر السيد نتوني على حياة الفقراء المريرة بنضاله الذى لم يكن لنفسه فحسب ، ولا اينال النصر وحده : بل لتظل ثمرة عنائه لاحفاده من بعده . ان النصر يظل دائما نصرا ، ولا يقلل من أهميته موت المحاربين الشجعان : فالنصر الحقيقي لا يجيء من دون تضحية . فى جميع الحروب هناك من يحارب ويسقط لاجل الآخرين ، وآخرون يفوزون بمكاسب تلك التضحية . فالمحارب انما يحارب لكي ينتصر وهو يعلم حق العلم بأن الموت ينتظره فى الحرب ، غير ان تضحيته لا تذهب عبثا الا اذا لم يستفد احد منها من بعده . والتضحية هنا ، ونضال السيد نتوني الطويل الشاق ، استفاد منهما آخر احفاده (اليسي) .

حتى المركب (العناية) انتصر على هياج الامواج والعواصف : كان حينا يمتلىء بالماء حتى ليخشى عليه من الغرق ، وحينا يخرج من مصارعة العواصف محطما . غير انه فى كل مرة كان يعاد اصلاحه ، فيعود سليما ومستعدا لصراع جديد مع عاصفة اخرى، واخيرا تخلى عنه اصحابه الى المرابي كروتشيفيسو تسديدا للدين وهو فى حالة جيدة ، وظل يعمل حتى وفاة صاحبه الاول .

اما فى رواية المعلم جيزوالدو فان جيزوالدو نفسه هو الذى انتصر . لقد راينا انه كان قد ولد فى اسرة بائسة . واليكم ما تقوله الرواية فى حياته النضالية :

« كان فى حركة دائبة : يعمل دائما ولا تستريح قدماه ابدا ، من هنا الى هناك ، فى البرد والحر والمطر ، وراسه مثقل بالافكار ، وقلبه متضخم بعدم الاستقرار ، وعظامه محطمة من التعب ، لا ينام اكثر من ساعتين اذا تيسر ذلك وكيفما تيسر : فى قرنة اسطبل ، او خلف سياج ، فى العراء او على الحجارة ، ياكل قطعة خبز اسود حيثما كان : على ظهر البغل ، او فى ظل زيتونة ، او على طرف حفرة ، فى الملاريا اوفى دوامة من البرغش لم يعرف الاعياد ولا عطلة الاحد ولا عرف قط كيف يضحك ضحكة مغتبطة ... ولا وجد لديه ساعة واحدة مثل تلك الساعات التى كان يستمتع بها اخوه (سانتو) على حسابه فى الحانة » (ص 78) .

وعلى الرغم من كل هذا البؤس والعناء فان دون جيزوالدو لم يكن قط رجلا متخاذلا : لم يستسلم الى مشيئة القدر ، بل كان يريد ، بأي ثمن ، ان « يخرج من قشرته ويرتقي فوق ظروفه الاجتماعية الاصلية » . وقد راينا في ما تقدم كيف استطاع بفضل عمله الدائب وتصميمه الحازم ان يصل الى مكانة اجتماعية مرموقة يحترمها الآخرون ، وان يصبح مرهوبا حتى لدى الشخصيات البارزة الضخمة فى بلده ، وان يقترن بفتاة من اسرة ارستقراطية . حتى ابنته الوحيدة اقترنت باحد دوقات باليرمو .

صحيح انه فى النهاية كان لابد ان يقضي بالسرطان ، الا انه مات بطلا لا خاملا وضيعا . وعدا ذلك ـ وهذا مهم جدا ـ مات جيزوالدو واثقا من ان ابنته ـ ثمرة زواجه الوحيدة ـ لن تعرف البؤس والحرمان ، بل ستنعم بثمرة تضحيته وكفاحه .

ومن هم الذين كافحهم المعلم جيزوالدو ؟

لقد كافح الجميع ، وكافح كل شيء : كافح البؤس ، وضعة الاصل ، وقسوة الحياة ، وكبار الشخصيات فى البلد ، وتحكم والده المتعنت ، وحسد اخيه وجشعه ، وكافح كذلك حسد شقيقته وزوجها ، بل لقد كافح حتى (تاني ـ Tanni) الانتهازي، وهو ليس سوى زوج لخادمته (ديوداتا ـ Diodata) . . وكذلك كافح حقد الاخوين (تراو) شقيقي زوجته ، كما كافح غرور صهره الدوق ، ومساويء الكاهن (دون لوبي) وخبثه . وكافح الملاريا ، وقوى الطبيعة التى تعاكسه فى صف خصومه الناقمين الحاسدين . وفى كل مرة كان جيزوالدو يخرج من هذا الكفاح منتصرا ، حتى اللحظة الاخيرة التى ادار فيها وجهه نحو الحائط ـ كما فعل والده من قبله ـ « وبردت اطرافه فجاة ، ثم سكتت حركته نهائيا » ـ كما يقول المؤلف (ص 367)

لقد مات السيد جيزوالدو والسيد نتوني مالافوليا قانطين ، هذا صحيح ، ولكنهما ماتا بكرامة وانفة . كانا من الابطال الحقيقيين الذين يظلون متنكبين سلاحهم حتى النفس الاخير فى كفاحهم ضد حتمية الاقدار . وهذه البطولة فى الصراع

الانساني لا يجوز ، فى اعتقادي ، ان نخضعها لفكرة الحتمية وتحكم الاقدار ، كما يشاء النقاد الايطاليون ان يعتبروها فى روايات فيرغا . انها بطولة ، وليست خضوعا واستسلاما للاقدار .

ونجيء الآن الى النقطة الثانية فى روايتي فيرغا الكبيرين ، وهي (السمت والمشابه العربية) التى جعلناها عنوانا لهذه المحاضرة برمتها .

اننا هاهنا نصل الى نقطة فيها شيء من الحرج ومن اثارة الفضول معا . وما اظن احدا قد اثارها من قبل ، أو اهتدى اليها .

فى روايتي فيرغا الكبيرين وجدتني ازاء **بعض العناصر التى يبدو انها متاثرة بالطابع العربي ، مباشرة او غير مباشرة ، لان البيئات العربية واللغة العربية ما يزال فيها الى اليوم ما يشبهها .**

ومن المؤكد ان فيرغا لم يكن يعرف ان فى اعماله الادبية مثل هذه العناصر الاجنبية الواضحة. ولعله لم يخطر بباله قط ان كاتبا عربيا سيجيء يوما من بلد بعيد فى الشرق ليكشف عن سمات عربية فى ادبه .

ولكن التاثير العربي فى صقلية امر غير منكور، على كل حال ، ولا هو بالشيء الذى يمكن كتمانه ، فلقد حكم العرب الجزيرة قرنين من الزمن ، وكان طبيعيا لذلك ان يتركوا آثارا ملموسة فى اهلها ، ولاسيما اذا عرفنا أن تأثيرهم الاجتماعي والثقافي قد استمر اكثر من قرنين بعد خروجهم من الجزيرة .

لقد خطر لي فى البداية ان اجعل عنوان هذه المحاضرة ، وبشكل خاص هذا القسم منها : (اثر العرب فى أدب فيرغا) ، غير ان عدم يقيني التام من هذا التأثير مباشرة جعلني اكتفي بعبارة (سمات ومشابه عربية) ، وهي اقرب الى المنطق ، وربما كانت اقرب الى الصحة . وسأحاول فى ما يلي ان ابين المشابه اللغوية والروحية والواقعية بين البيئة الفيرغوية والبيئات العربية .

ان السمات التى اعنيها يمكن تصنيفها فى ثلاث فئات :

1 ـ المفردات والجمل

2 ـ العادات والبيئات الشعبية

3 ـ الامثال والحكم

وسأمضي الآن فى استعراض هذه الفئات واحدة واحدة :

1 ـ المفردات والجمل :

فى روايتي فيرغا الكبريين مفردات لا شك فى انها عربية الاصل لفظا ومعنى . ومنها الالفاظ التالية ، وهي كلها من رواية « ما لافوليا » ما عدا الاخيرة منها فهي من « المعلم جيزوالدو ») :

1)	CATRAME	قطران
2)	CARRUBBO	خروب
3)	BABAU	بعبع
4)	SOMMACCHI	سماق
5)	ZAFFERANO	زعفران
6)	SATANASSO	شيطان
7)	SALAMALECCHI	سلامات ، او مجاملات (من «السلام عليكم»)

والى جانب هذه المفردات استعمل فيرغا جملا مركبة ليست ذات لفظ عربي او طبيعة عربية فى كتابتها ، الا أن لها مثيلات فى التعبير العربي ، مما يبدو معه الامر غريبا اذا لم تكن هذ التعابير تحمل آثار الطابع العربي . واليكم بعض هذه العبارات ، مع ما يقابلها بالعربية ، واغلبها عامي ، ولكنني مضطر الى تحويله الى تعبير فصيح ، مع ثقتي التامة من ان فى البلدان العربية الاخرى ما يقابله :

1 ـ يضع حجرا على الماضي
(جيزوالدو 238)

1) Mettere pietra sul passato

2 ـ من اخذ مالك خذ روحه
(جيزوالدو 321)

2) A chi ti vuol pigliar la roba levagli la vita

3 ـ يعبيء هواء للصيف
(جيزوالدو 271)

3) Prendere il fresco per l'estate

4 ـ الفسيل القذر لا ينشر على السطوح
(جيزوالدو 275)

4) I panni sporchi si lavano in casa

5 ـ الامثال لم تكذب قط
(مالافوليا 14)

5) Il motto degli antichi mai menti'

6 ــ رآه بعينيه اللتين سيأكلهما الدود
(مالافوليا 16)

6) Li avevi visti con quegli occhi che dovevano mangiarseli i vermi

7 ــ فلان مثل الحيط المنخفض
(مالافوليا 73)

7) Io sono come il muro basso

8 ــ واقع بين المطرقة والسندان
(مالافوليا 85)

8) Stava fra l'incudine e il martello

9 ــ لا يسمح بأن تقف الذبابة على أنفه
(مالافوليا 97)

9) Non si lasciava posare le mosche al naso

10 ــ المصائب تعلم الحكمة
(مالافوليا 119)

10) Il giudizio viene colle disgrazie

— * —

وهناك كثير من مثل هذه العبارات الايطالية التى تقابل عبارات عربية مثلها وتطابقها كل المطابقة. وليس قصدي استعراضها جميعا بل تقديم بعض النماذج فحسب لكي انطلق بعد ذلك الى الفئة الثانية، وهي :

2 ــ المشابه فى العادات والبيئات الشعبية :

وهذه نقطة اخرى جديرة بالابراز والدرس ، وهي تتعلق بالعادات الشعبية التى رسمها فيرغا فى رواياته . ومن السهل ان نجد ما يماثلها تماما فى الحياة الشعبية العربية . وأنا أكرر انني اورد ما أعرفه فى بلدي ، يقينا مني بأن فى البلدان العربية الاخرى ما يماثله . وهاكم بعض تلك العادات :

1 ــ (مالافوليا ــ ص 44) ــ يدور الحديث على موت الأبن باستياناتسو ــ وعند ذكر العادات الشعبية يعرفنا المؤلف كيف ان الاصدقاء يحملون الى بيت الفقيد هدايا من العجائن والبيض ، ومن خيرات الله .

ان مثل هذه العادة ما يزال متبعا الى اليوم فى القرى الاردنية ، مثلا ــ وليس من شك فى أن هناك مثله فى اقطار عربية اخرى ــ ففى القرى عندنا ليس الاصدقاء وحدهم هم الذين يحملون الى بيت الفقيد مختلف الهدايا ، بل تشترك القرية كلها فى ذلك كمعنى من معاني المؤاساة والمشاركة القلبية فى المصاب . وهم يحملون الارز ، والشاي ، والخراف، والدجاج ، والطحين . والقهوة . وحتى الحطب لطهو الطعام والخبز وما الى ذلك من الحاجات البيتية . والقرويون يؤدون هذه المشاركة اللطيفة لمساعدة اسرة الميت وتعزيتها ، من جهة ، ثم لانه لا يجوز ان تتحمل اسرة الميت وحدها كل النفقات ــ وهي غير قليلة ــ

2 ــ (مالافوليا ــ 80) فى ما يتعلق ببواعث الشؤم تقول الكنة سانتوتسا : « ان نقود العم كروتشيفيسو تحمل معها الدواهي ! ففى هذه الليلة ايضا سمعت الدجاجة السوداء تصيح » .

وعندنا ايضا اذا صاحت دجاجة مثل صياح الديك ــ وليس من الضروري ان تكون سوداء فقط ــ اعتبر ذلك نذير شؤم ، ولابد عندئذ من ذبحها فدى عن البيت الذى تصيح فيه .

3 ــ (مالافوليا ــ 93) ــ كان الحفيد نتوني يريد الاقتران ببربارة رغم ارادة جده وأمه ، وكان الجد يؤنبه قائلا : « هل ستتزوجها ؟ وانا من اكون ؟ وامك ، أليس لها عندك شأن ؟ حين اراد ابوك ان يتخذ له زوجة استشارني فى ذلك اولا » .

وفى رواية (المعلم جيزوالدو) كذلك حكاية مشابهة لهذه ، فى الصفحة 105 ، حين يسأل خادم الكنيسة السيدة بيانكا تراو اذا كانت ستتزوج السيد جيزوالدو ، فتجيبه بقولها : « اذا كان أخواي قد رفضا ذلك فأي رأي لي ؟ » ثم اضافت : « ان اخوي هما صاحبا الامر ... وهما وحدهما اللذان يقرران » .

وعندنا ، فى اكثر البلدان العربية ، ان لم يكن فيها جميعا ــ وعلى الاخص فى القرى والبيئات البدوية ، يتم الزواج بمثل هذه الطريقة : ليس عن رغبة أو حب متبادل ، بل باختيار الوالدين ، أو الاخ الاكبر الذى تقضي التقاليد بأن يقوم مقام الوالد فى حالة وفاة الوالد .

4 ــ (مالافوليا 111) ــ ونأتي الآن الى حادثة تبشر بفأل حسن ، وذلك عندما « تتظاهر ابنة العم حنة بسقوط قارورة الخمر من يدها ، وفيها نحو ربعها من النبيذ ، فتأخذ عندئذ فى الهتاف : افرحوا! افرحوا !.. ان اندلاق الخمر فال حسن ! »

عندنا يقال مثل هذا عن القهوة ، لا عن الخمر ، والاختلاف هنا بحكم البيئة والتقاليد فقط ، وذلك لان القهوة هي دليل الضيافة الحميمة الاعم استعمالا

لدى العرب ، وهي في ذلك كالخمر عند الايطاليين والغربيين عامة .

5 ـ (جيزوالدو 273) غضب جيزوالدو غضبا شديدا حين بلغه ان ابنته ايزابيلا قد هربت من المدرسة الداخلية، واصابه ما يشبه الصدمة المفاجئة، فاضطروا الى استدعاء الحلاق ليسحب منه دما .

كعلاج بدائي في بعض حالات المرض يلجأ الكثيرون في بعض البلاد العربية ـ ان لم يكن في جميعها ـ الى من يسحب منهم دما ـ وفي هذا نجد من يستخدم العلق لمص الدم ـ وهناك حلاقون ـ رايت بعضهم بنفسي في القدس قبل عدة اعوام ـ يعنون بتربية العلق في قوارير زجاجية كبيرة لهذا الغرض ، وهم يستخدمونه بالصاقه على ظهر المريض او عنقه لامتصاص شيء من دمه . وهناك من يستخدمون الشفرة او موسى الحلاقة ، يشطبون بهما ظهر المريض او اذنيه . كما ان العادة الاكثر شيوعا هي استعمال كاسات الدم لاراحة المريض ، ولاسيما اذا كان يشكو من ضيق الصدر او النزلة الصدرية ، او ما الى ذلك .

من هذه النماذج نرى اننا ازاء عادات متشابهة كل التشابه في البيئة الصقلية الفيرغوية وفي البلدان العربية . ولا يبدو لي شيء من الغرابة في ان تكون هناك سمات عربية في هذه العادات الصقلية ما دامت هي نفسها شائعة في الاقطار العربية حتى اليوم .

— * —

3 ـ الامثال والحكم :

في الامثال والحكم نجد دائما خلاصة حميمة لتجارب الشعوب عبر الاجيال ، كما نجد الصورة الاصيلة للعقلية والروح والاخلاق التي اكتسبها شعب ما نتيجة تجارب وصلات طويلة مع الشعوب الاخرى، سواء اكانت هذه الشعوب صديقة ام عدوة ، قريبة ام بعيدة .

وفي (اسرة مالافوليا) بنوع خاص اهتم فيرغا كثيرا ، وعامدا ، بالامثال الصقلية ، وراح يرددها بكثرة في كل فصل من فصول الرواية بمقدرته الفنية الفائقة التي نعرفها . ومن المؤكد اننا نستطيع ان نستخلص منها صورة المجتمع بكثير من الدقة ، سواء من الوجهة الخلقية ام الاجتماعية .

والواقع ان فيرغا قد استطاع ان يعطينا كل ذلك ببراعة الفنان الاصيل .

وهنا ايضا نجد المجال واسعا للتبصر والملاحظة . ومن بين الامثال الصقلية التي اوردها فيرغا في روايته (اسرة مالافوليا) اختار المجموعة التالية ، مع ما يقابلها من الامثال العربية العامية بشكل خاص ، (ولكنني مضطر الى ايراد هذه الامثال بغير اصلها العامي) :

1 ـ ما كان اوله شرطا فآخره سلامة ـ
1) Quel che e' di patto non inganna

2 ـ عمر الشقي طويل ـ
2) Uomo povero ha i giorni lunghi

3 ـ نم بخير يا جاري لكي انام معك ـ
3) Augura bene al tuo vicino che qualcosa te ne viene

4 ـ بعيد عن العين بعيد عن الخاطر ـ
4) Lontano dagli occhi lontano dal cuore

5 ـ الصديق عند الضيق ـ
او :
ـ عند الشدائد يعرف الاخوان
5) Carcere, malattie e necessita', si conosce l'amista'

6 ـ كل واحد يهيل النار على قرصه ـ
6) Ognuno tira l'acqua al suo mulino

7 ـ البيت الذي ليس له كبير ليس له مشير ـ
7) Ascolta i vecchi e non ti sbagli

8 ـ الرجل يمسك من لسانه ـ
8) L'uomo per la parola e il bue per le corna

9 ـ الدم لا يصير سما ـ
او :
ـ الدم لا يصير ماء ـ
9) Il sangue non e' acqua

10 ـ من يلعب بالماء تبتل ثيابه ـ
10) Chi cade nell' acqua e' forza che si bagni

11 ـ الحب والبغض ليسا باليد ـ
11) Amare e disamare non sta a chi le vuol fare

12 ـ من كان لا خير فيه لقديمه لا خير فيه لجديده
12) Chi cambia la vecchia per la nuova peggio trova

13 ـ من اكل على ضرسه نفع نفسه ـ
13) Chi ha bocca mangia, e chi non mangia muore

14 ـ شيء خير من لا شيء ـ
او بالعامية : (ريحة الجوز ولا عدمه) ـ
14) Meglio poco che nulla

15 ـ كل طير يحن الى عشه ـ
15) Ad ogni uccello il suo nido e' bello

16 ـ القناعة غنى ـ
16) Piu' ricco e' in terra chi meno desidera

17 ـ من عاشر القوم اربعين يوما صار منهم ـ
او : من يدخل بلد العور يقلع عينه ـ
17) Chi va con zoppi all' anno zoppica

18 ـ مال الحرام لا يدوم ـ
18) Roba rubata non dura

19 ـ ليس للجائع آذان ـ
وبالعامية : (الجوعان مالوش اذان)
19) Ventre affamato non ragiona

20 ـ الملدوغ يخاف من جرة الحبل ـ
20) Le cose lunghe diventano serpi

— * —

والآن بعد ان فرغت من استعراض هذه الامثلة والنماذج العديدة ، والمشابه بين عادات وامثال وتعابير متعددة من بيئة روايتي فيرغا الكبريين والبيئات العربية ، لست اريد ان أجيء بحكم نهائي جازم فى تأثير العرب فى اعمال فيرغا الادبية ، بل اترك هذا لكم انتم . أما انا فقد اقتصرت مهمتي على ان القي ، بقدر الامكان ، نورا جديدا على بعض اعمال فيرغا الادبية ، محاولا بذلك فتح طريق جديدة لمن يشاء ان يتوسع فى دراسة فيرغا وأدبه الجميل المنتزع من البيئات الشعبية الصقلية المناضلة لاجل العيش ، والمكافحة ببطولة جبارة فى سبيل التغلب على حتمية الاقدار القاسية .

وقبل ان اختم هذه الدراسة العاجلة اود ان اذكر ما قاله لويجي كابوانا ، رفيق فيرغا ومواطنه وزميل مدرسته الادبية ، فى هذه الواقعية الفيرغوية الصميمة ، وهو : « ان فيرغا حينما تخطر على باله وضع فكرة قروية فى صورة فنية ، لا يقتصر على جمع بعض المعلومات ، بل ينقل صورة أرضهم . ليس كافيا لديه ان يكون اولئك الاشخاص ايطاليين ـ الفلاح الايطالي كلمة تجريدية ـ انه يذهب ابعد من ذلك كثيرا : يريد ان يكونوا صقليين .. يريدهم ان يكونوا من مقاطعة محددة ، بل من مدينة محددة ، بل من قطعة صغيرة من الارض بحجم الكف ... عند ذاك فقط يقف » .

ان هذا التحديد ينطبق كل الانطباق على روايتي فيرغا اللتين استعرضناهما فى هذه العجالة : فلقد كان ادب فيرغا منتزعا من صميم الارض البائسة التى راى فيها المؤلف النور ـ وان لم يعش فيها كثيرا ، بل قضى الشطر الاكبر والاهم من عمره فى الشمال الايطالي الذى ينعم بالثراء والرخاء والحيوية العاملة فى النهار والليل .

لقد كان فيرغا بحق ابن بيئته ، وكذلك كان ادبه الخالد ، النابع من نفس تشعر ببؤس الآخرين ، وبنضالهم القاسي فى سبيل العيش .

وطبيعي انه ، وهذا ادبه ، لا بد من ان يعكس فيه الروح الصقلية العامة ، بكل ما فيها من رواسب وتأثيرات انطبعت فى حياتها على مدى الاجيال . ومن هذه التأثيرات ما لمسناه الآن من المشابه والسمات العربية فى البيئات التى وصفها فيرغا فى روايتيه الكبريين : (اسرة مالافوليا) و (المعلم السيد جيزوالدو) .

لغة الموسيقى كأداة للتعبير الفني

زرياب المتوفى سنة 238 هـ.

الأستاذ سعيد الديوه جي

عضو المجمع العلمي العراقي

ابو الحسن علي بن نافع مولى امير المؤمنين الخليفة المهدي بن المنصور العباسي ، كان اسود اللون ، حلو الشمائل ، جميل الصوت ، فصيح اللسان ، فلقبوه « بزرياب » تشبيها له بطائر غرد ، حسن الصوت ، يقال له « زرياب » . نشأ زرياب في بغداد ، وهي اذ ذاك : دار السلام ، وقبة الاسلام ، مقر الخلافة ، ودار العلم والادب والحكمة ، ومجمع اهل الفنون والصناعات ، حاضرة الدنيا وما سواها بادية ، وهو ما حمل الامام الشافعي (رض) ان يقول لمن لم ير بغداد : « ما رايت الدنيا ولا الناس » .

وزرياب يتقلب في قصور الخلافة ، وما فيها من ترف ونعيم ، وخمائل باسقة ، وازهار عبقة ، وجنات تجري من تحتها الانهار ، وملاعب تميس فيها كواعب ، قد جمعن الظرف والادب ، والفن والجمال والدلال .

كن فتنة الناظر ، وغرة العابر ، وخل المقيم ، مما حمل الكتاب والشعراء ان يهيموا بوصفها ، واتخذوا من حدائقها وملاعبها المسارح التي مثلت فيها فصول « الف ليلة وليلة ».

في هذا المحيط الزاهي نشأ الفتى زرياب ، الذكي الفؤاد ، الدقيق النظر ، الصافي البصيرة ، فكان يتقلب في نعيمها ، ويتفيأ ظلالها ، ويستمع الى كواعبها ، ويتصل بمن يرتادها من اهل الادب والفن ، فيقتبس من علمهم ، وينهل من ادبهم : يأخذ احسن ما يسمع ، ويختار خير ما ينفع ، فحصل على ثقافة جامعة في الادب والعلم والفن ، ولكنه كان يؤثر الغناء على غيره ، وله من صوته الجميل خير مساعد .

لازم اسحاق الموصلي ـ استاذ المغنين في عصره ـ ليأخذ عنه ما لم يجده عند غيره . واسحاق الموصلي : من علماء عصره ، ومكانته من العلم والادب والشعر ما يقول عنها ياقوت الحموي : « لو اردنا استيعابه لطال الكتاب ، وخرجنا عن غرضنا من الاختصار . ومن وقف على الاخبار ، وتتبع الآثار علم موقعه » .

كان يدخل على المأمون مع اهل العلم والادب والرواة ، ثم كان يدخل مع الفقهاء ويده في يد القضاة، حتى يجلس بين يدي المأمون ـ وكان المأمون يقول عنه : « لولا ما سبق لاسحاق على السنة الناس ، وشهر به من الغناء عندهم لوليته القضاء بحضرتي ، فانه اولى به واحق واعف ، واصدق تدينا من هؤلاء القضاة » .

اخذ زرياب عن هذا العالم الاديب ، والفنان البارع ، واقتبس من ادبه وفنه . وكان اسحاق يعنى بهذا الفتى لما رآه عليه من الذكاء والفطنة وسرعة الاخذ كما انه من موالي امير المؤمنين ، فكان يحضره مجالسه التي يعقدها في داره ، والتي كانت مجمعا

لاهل الفنون والآداب ، وزرياب ينهل من كل ما يروق له ، وما يؤهله ان يخلف استاذه فى مكانته .

بذل اسحاق عناية خاصة فى تدريبه وتعليمه الاصوات التى يضعها ، والايقاعات التى يبدعها . وكان الفتى النابه ينصرف الى ما يلقيه استاذه ، ويتأمل فى اصواته ويدقق مواضع القوة فيها ، فكان فى طليعة الذين يأخذون عنه ، وهذا ما حمل استاذه على مضاعفة العناية به ، والانصراف الى تعليمه كل نادر وغريب ، حتى كان من طلابه الذين يفاخر فى تعليمهم وتهذيبهم .

كان زرياب كلما تلقى صوتا من استاذه اسحاق — او من غيره — تلقف الصوت ورردده مع نفسه حتى يتقنه ، فاذا عاد الى داره واختلى بنفسه ، اجرى على الصوت ما يبدو له اذا ما غير فى ترديده ، فلم يزل يبدل وينقح ويهذب فى الصوت ، حتى يبتكر صوتا جديدا جميلا قائما بذاته لم يسبق اليه.

وهكذا كان دابه فى كل صوت يسمعه ، او ضربات يتلقاها من شيخ المغنين اسحق الموصلي ، فانه يدخل عليهما من التعديل والابتكار ما يجعلهما من اجمل ما ابدعته قريحة هذا الفتى الناشيء .

اشتغل زرياب بهدوء وسكينة ولم يطلع احدا على ما كان يقوم به ، حتى استاذه الذى تربى بين يديه ، واخذ عنه ، فانه لم يكن يعلم ما عند زرياب من روائع الاصوات — وزرياب مستمر التردد الى استاذه ، يسترق من اصواته ، ويلتقط من ظرفه وادبه ، ويواصل التهذيب والتحسين والابتكار ، حتى صار يطمع ان يخلف استاذه فى فن مبتكر ، بل كان يطمع الى اكثر من هذا — وهو ان يبهر استاذه بما لم يسمع مثله .

اخذ زرياب يترقب اليوم الذى يباغت فيه المجتمع بفن دقيق مبتكر ، يعجز استاذه — استاذ الفن والطرب فى بغداد — عن الاتيان بمثاله ، مما حمله على حسده وتهديده بالقتل ان لم يرحل عن بغداد ، ويحافظ على منزلته التى كان عليها فى بلاط الرشيد .

— 2 —

حضر اسحاق الموصلي مجلس الرشيد ، وتشعب الحديث فى الأدب والفن ، فطلب الرشيد من اسحاق مغنيا مجيدا للصنعة . لم يشتهر مكانه اليه.

واسحاق كان يتقرب الى الرشيد بكل ما يؤنسه، ويطرفه بما عنده من اصوات وظرف وادب ، واراد ان يتحف الرشيد بأحد تلاميذه — من موالي دار الخلافة — لما كان يعرف فيه من الذكاء والفطرة وسرعة التلقي عنه . فقال اسحاق للرشيد يا مولاي: عندي تلميذ — وهو مولى لكم — اسود اللون . عذب الشمائل ، حلو التفريد ، سمعت له نزعات حسنة، ونغمات رائعة ، ماتاطة (1) بالنفس ، اذا انا وقفته على ما استغرب منها — وهو من اختراعي، واستنباط فكري ، واحدس أن يكون له شأن — فان اذن لي امير المؤمنين قدمته اليه . ولم يعلم اسحاق ان هذا الذى يتوسم فيه الذكاء والفطنة سيغني امير المؤمنين بما لم يحسنه اسحاق . وسيباغته بما وضع وابدع.

امره الرشيد باحضاره — لعل حاجته تكون عنده ، وهكذا فان الساعة التى كان يترقبها زرياب قد اتته عفوا ، فقد امر الخليفة باحضاره اليه ليغني امام استاذه الذى اخذ عنه .

اخذ زرياب يعد عوده ، واحسن ربط اوتاره ، واختار الاصوات التى سيغني الخليفة بها ، ويبز استاذه ويفوقه .

حضر زرياب مع استاذه اسحاق يحمل العود الذى قد اعده لنفسه ، وهو يختلف عن عود استاذه، ومثل امام الرشيد ، واستاذه فخور بتلميذه الذى سيغني امير المؤمنين بما استنبطه هو ولقنه اياه .

كلم الرشيد زرياب ، فأجابه زرياب بأحسن منطق واوجز خطاب ، مع فصاحة لسان وظرف وادب .

سأله الرشيد عن معرفته بالغناء ، فقال : نعم احسن ما لا يحسنه الناس ، واكثر ما احسنه لا يحسنونه ، مما لا يحسن الا عندك ، ولا يدخر الا لك، فان اذنت غنيتك ما لم تسمعه اذن قبلك .

بهت استاذه اسحق مما سمع ، ولم يكن يتوقع هذا ، فهل يجرؤ احد امام اسحق الموصلي ان

---

(1) لاصقة

يقول ما قاله هذا التلميذ الناشيء ؟ وصار يترقب سماع الصوت بدهش وعجب .

امر الرشيد باحضار عود استاذه اسحق ليغني زرياب . فلما قدم اليه وقف عن تناوله وقال : يا امير المؤمنين : لي عود نحته بيدي ، وارهفته باحكامي ولا ارتضي غيره ـ وهو بالباب ـ فليأذن لي امير المؤمنين في استدعائه . فأمر الرشيد بادخاله اليه .

تأمله الرشيد ، وكان شبيها بالعود الذي دفعه له ـ عود استاذه ـ وقال له الرشيد : ما منعك ان تستعمل عود استاذك ؟ فقال زرياب : ان كان مولاي يرغب في غناء استاذي ، غنيته بعوده ، وان كان يرغب في غنائي فلابد من عودي . فقال له الرشيد : ما اراهما الا واحدا .

فقال زرياب : صدقت يا مولاي ، ولا يؤدي النظر غير ذلك ، ولكن عودي ـ وان كان في قدر جسم عوده ومن جنس خشبه ـ فهو يقع من وزنه في الثلث او نحوه . واوتاري من حرير لم يغزل بماء ساخن يكسبها اناثة ورخاوة . وبمها ومثلثها اتخذتهما من مصران شبل الاسد ، فلها في الترنم والصفاء والجهارة والحدة اضعاف ما لغيرها من مصران سائر الحيوان ، ولها من قوة الصبر على تاثير وقع المضارب المتعاورة بها ما ليس لغيرها . فاستبرع الرشيد وصفه واذهل اسحق ما سمع . ثم اندفع زرياب وغنى :

يا ايها الملك الميمون طائره
هارون راح اليك الناس وابتكروا

— 3 —

سقط في يد اسحق فقد سمع من احد تلاميذه ما فيه من الروعة والاتقان والابتكار ، مما جعل امير المؤمنين يعجب به غاية الاعجاب ، ويؤكد على اسحق : انه لولا ما يعلمه عنه من الصدق لانزل العقوبة به ، اذ لم يطلعه على ما قد ابتكره هذا الفنان المبدع ـ وهل يترك اسحق الموصلي زرياب معه في بغداد يتبوأ مكانته ؟ بل يسمو فوقه فيبعده عما هو عليه ، وتكون له زعامة الغناء في دار السلام .

فلابد من ان يصارحه بما يكنه له صدره من الحسد ، وان بقاءه لا يمكن ان يكون في بغداد ، والا يؤدي به الى موته .

خلا اسحاق بزرياب وقال له : يا علي ، ان الحسد اقدم الادواء وادوؤها ، والدنيا فتانة ، والشركة في الصناعة عداوة ، ولا حيلة في حسمها ، وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك ، وعلو طبقتك . وقصدت منفعتك ، فاذا قد اوتيت نفسي من مأمنها بادنائك ، وعن قليل تسقط منزلتي ، وترتقي انت فوقي ، وهذا ما لا اصاحبك عليه ـ ولو انك ولدي ـ ولولا رعيي لذمة تربيتك ، لما قدمت شيئا على ان اذهب نفسك ، يكون في ذلك ما كان ، فتخير في اثنتين لابد لك منهما : اما ان تذهب عني في الارض العريضة ، لا اسمع لك خبرا ، بعد ان تعطيني على ذلك الايمان الموثقة ، وانهض بذلك لما اردت من مال وغيره ، واما ان تقيم على كرهي ورغمي مستهدفا الي ، فخذ الآن حذرك مني ، فلست والله ابقي عليك ، ولا ادع اغتيالك باذلا بذلك بدني ومالي ، فاقض قضاءك .

خرج زرياب وهو يفكر بالامر ، فهو يعلم ان استاذه لا يحجم عن قتله اذا اقام في بغداد ، ولابد له من الرحيل عنها في بلاد الله الواسعة ـ وعلى هذا عاد الى استاذه وابدى له رغبته في الرحيل عن بغداد ، والتوجه الى بلاد المغرب بعيدا عن اسحاق وبغداد ـ هذا روع اسحاق وزال عنه ما كان في قلبه من هم ، وساعد زرياب بما يحتاجه من مال .

وبعد ايام فرغ الرشيد من شغل كان منغمسا فيه ، واشتاق الى سماع اصوات زرياب ، فأمر اسحاق الموصلي باحضاره .

واسحاق من دهاة عصره ، قد ارضى الخليفة ورجال دولته في تصرفه ورجاحة عقله ، فهل يعجز عن اجابة الخليفة بما يصرفه عن زرياب ؟

قال اسحاق : ومن لي به يا امير المؤمنين ؟ ذاك غلام مجنون ، يزعم ان الجن تكلمه وتطارحه ما يزهى به من غنائه ، فما يرى في الدنيا من يعدله ، وما هو الا ان ابطات عليه جائزة امير المؤمنين ، وترك استعادته ، فقدر التقصير به ، والتهوين بصناعته ، فذهب مغاضبا ذاهبا على وجهه ، مستخفيا عني ، وقد صنع الله تعالى في ذلك لامير المؤمنين ، فان كان به لمم يغشاه ويفرط خبطه ، فيفزع من رآه .

سكن الرشيد الى ما قاله اسحاق ، وقال : على ما كان به ، فقد فاتنا منه سرور كثير .

وهكذا تمكن اسحاق من صرف زرياب عن بغداد ، وصرف الرشيد عن زرياب ، وصرف الهم عن قلبه .

— 4 —

نسي امر زرياب في المشرق ، ولم نقف على ذكر له بين المغنين الذين نبغوا في العصر العباسي . ومع أن ابا الفرج الاصفهاني ترجم في كتابه (الاغاني) لاصحاب الاصوات الذين عانوا صناعة الغناء في الشرق ، فانه لم يتطرق الى ذكر زرياب والاصوات الجميلة التي وضعها — ذلك لأنه اول نبوغه هدد بالقتل ان لم يرحل عن بغداد — فرحل الى بلاد واسعة، ووجد أهلا غير أهله ، واقبالا لم يكن يتوقعه، فكان زعيم الغناء في الاندلس والمغرب — كل هذا ولم يدون اهل بغداد ما ابدعه فتى اسحاق الموصلي الذي خرج من بغداد خائفا يترقب .

توجه زرياب الى الشام ، ومنها الى مصر ، ومنها ركب البحر قاصدا المغرب ، ولما وصل تونس اتصل بزيادة الله بن الاغلب (201 — 208 هـ) وحظي عنده ، فكان يحضر مجالسه ، ويشارك بما يدور فيها من أدب وفن ، ويغنيه ، فأعجب به ابن الاغلب وقربه اليه .

وفي احد الايام من سنة 206 هـ طلب ابن الاغلب من زرياب أن يغنيه ، فغناه بأبيات لعنترة الفوارس :

فان تك امي غرابية
من ابناء حام بها عبتني

فاني لطيف ببيض الظبا
وسمر العوالي اذا جئتني

ولولا فرارك يوم الوغا
لقدتك في الحرب او قدتني

ففضب ابن الاغلب من تعريضه هذا ، وامر بصفع قفاه ، واخراجه من عنده ، وقال له : ان وجدتك في شيء من بلدي بعد ثلاثة ايام ضربت عنقك .

ولا نعلم سببا لتعريضه بالامير الاغلبي ، وزرياب من اذكياء عصره ، فطن دقيق الملاحظة ، فهل كان هذا هفوة من زرياب ؟ او خاطر خطر له ؟ وربما كان لامر في نفسه — وعلى كل فقد بدر منه ما اغضب ابن الاغلب ، واوجب خروجه من تونس قاصدا بلاد الاندلس .

— 5 —

وكان اهل الاندلس يتطلعون الى ما في الشرق من حضارة زاهية ، وعلم وادب وفن ، وجدوا في الاستفادة مما عند القوم ، فرحل الكثير من اهل الاندلس الى بلاد الشرق ، واخذوا عن علمائه وادبائه، وتعلموا فنونه وصناعاته ، ورجعوا الى بلادهم ينشرون ماحملوه معهم .

كما رغب الامراء الامويون بنوابغ اهل الشرق، وشوقوهم بالرحلة الى بلادهم ، وبذلوا لهم الاموال الوافرة ، وقدموا لهم كل مساعدة ، ليستفيدوا من علمهم وفنهم . وكانوا يبذلون الاموال في الحصول على ما يستجد في الشرق من كتب قيمة . فقد بذل الامير الحكم لابي الفرج الاصفهاني الف دينار قيمة نسخة من كتابه الاغاني قبل ان ينتشر في الشرق .

هذا الاقبال من اهل الاندلس حمل العلماء وارباب الفنون ان يمموا شطرها ، ويرحلوا اليها ، وينشروا علومهم ومعارفهم فيها . فرحل عدد منهم الى الاندلس ، ونالوا من امرائها واهلها من الحفاوة والاحترام والاموال الوافرة ، ما حملهم ان يستقروا في هذا البلد الطيب ، واثروا آثارا حسنة في التدريس والمحاضرة والتاليف .

كتب زرياب الى الامير الحكم بن هشام ، يعلمه بمكانته في الغناء ، ويعرض عليه التوجه اليه . فسر الحكم بهذا ، وكتب اليه مرحبا به ، وارسل لاستقباله وتدبير سفره مغنيه منصور اليهودي .

ولما كان في الجزيرة الخضراء ، بلغه وفاة الحكم ، فهم بالعودة الى بلاد العدوة ، فثناه عن ذلك رسول الحكم ، وبين له شغف عبد الرحمن بن الحكم بالغناء والموسيقى . ورفع منصور اليهودي امر زرياب الى عبد الرحمن يعلمه بمكانته ، وعبد الرحمن هذا من اكثر الامراء الاندلسيين شغفا بالآداب والفنون والغناء . يحضر مجلسه العلماء والادباء وارباب الفن — وخاصة المغنون والموسيقيون — وهو يجزل لهم العطاء . سر عبد الرحمن بخبر زرياب ، وكتب اليه يعلمه بتطلعه اليه ، والسرور بقدومه عليه ،

ويمنيه ويرغبه . كما كتب الى عماله على البلاد التى سيمر بها زرياب ، ان يحسنوا اليه ، ويقدموا اليه كل ما يحتاجه ، ويوصلوه الى قرطبة .

وارسل الى احد اكابر مواليه ان يتلقاه ببغال وآلات حسنة . دخل زرياب قرطبة ليلا ـ صيانة لحرمه ـ وامر الامير ان ينزلوه فى دار جميلة من احسن الدور ، وان يحمل اليها جميع ما يحتاج اليه ، وان يحملوا اليه الخلع .

وبعد ثلاثة ايام استدعاه ، ورحب به اجمل ترحيب ، ودعاه الى تناول الطعام معه ، مع اولاده الكبار ، وامر ان يفرض له ولاهله من الرواتب والخلع ما يقدر بآلاف الدنانير سنويا ، واقطعه من الدور والمستغلات بقرطبة وبساتينها ، ومن الضياع ما يقوم بأربعين الف دينار سنويا .

وزرياب قد اعد نفسه لمثل هذا اليوم الذى كان يترقبه ، فهو فى كنف امير معجب به ، مشغوف الى سماعه ، فأبدع فى الاصوات التى كان يغنيه بها ، فما ان سمعه عبد الرحمان حتى استهواه ، واحبه حبا شديدا ، واطرح كل ما سواه من المغنين ، وادناه من مجلسه ، وامر بفتح باب خاص لزرياب يستدعيه منه متى اراده . وزرياب قد جمع الى ما امتاز به من الغناء ، عدة مزايا رفيعة : كان شاعرا عارفا بفنون الأدب ، ونطف المعاشرة والظرافة ، وعنده من آداب المجالسة ، وطيب المحادثة ، ومهارة الخدمة الملوكية ، مالم نجده عند غيره من اهل صناعته .

كيف لا يجمع زرياب هذه الصفات الجملية ، وهو الذى تربى فى بلاط العباسيين ، وتقلب فى نعيمهم ، وتنقل فى جنائنهم وخمائلهم ، وحضر مجالسهم ، ولازم اعالي القوم فى العلم والادب والفن ـ ربيب المهدي العباسي ، وتلميذ اسحاق الموصلي ، وخريج مدرسة بغداد دار العلم والحكمة والفن . هذه الخصال اثرت فى اهل الاندلس ، حتى اتخذه ملوكهم وخواصهم قدوة حسنة فيما سنه لهم من قواعد وآداب ، واستحسنه من أطعمة وثياب ، وما ابتكره من عطور ـ وبقي أثر هذا فيهم الى آخر ايام اهل الاندلس منسوبا اليه .

وهكذا انقادت الدنيا لزرياب ، فقد كان مرجع القوم في الغناء وفى التأثيرات الاجتماعية ، تسمع كلمته فى البلاط الاموي ، وينقاد اليه سراة القوم ووجهاؤهم ، يبذلون له العطاء ويتوقعون رضاه ، حتى قالوا : يؤثر على بلاط الامير عبد الرحمن اربعة اشخاص : فقيه : يحيى بن يحيى الليثي ، وموسيقي: ابو الحسن زرياب ، وامراة : السلطانة طروب ، وخصي : نصر .

ومع انه كان مسموع الكلمة فى البلاط الاموي ، الا ان عقله منعه عن التدخل فى شؤون سياسة البلد ، وتركها لغيره .

صرف نفسه الى فنه الذى كان سبب ظهوره ونبوغه ، لانه علم حق العلم ان خير طريق للنجاح فى الحياة هو تجنب ما لا نصيب له فيه ، والانصراف الى فنه الرفيع الذي ينقاد اليه الامير ورجال سياسته ، على اختلاف ميولهم ورغباتهم ـ وعلى هذا فلا نرى له ذكرا فى الحوادث السياسية ، التى كانت على عهده ، فهو مغني البلاط وكفى .

انصرف زرياب الى الغناء والابتكار فيه ، وشغل بهذا كل مواهبه وقابليته ، واطلع على ما فى الاندلس من الحان ، اخذ بعضها عن سكان البلاد الاصليين ، فكانت هذه عاملا جديدا فى تطعيم الاصوات التى يبتكرها ، كان الغناء قد شغل كل وقته حتى اذا رقد فى منامه ، فانه كان يواصل تفكيره فى الاصوات المختلفة ، والاشعار التى تناسب كل لحن يغنيه ، فلم تنقطع سلسلة افكاره عن هذا الفن الجميل . فاذا آوى الى فراشه واهتدى الى لحن جديد ، او شعر جميل ، هب من نومه مسرعا ، فيدعو جاريتيه غزلان وهنيدة ، فتأخذان عوديهما ، ويأخذ هو عوده ، ويطارحهما ليلته ما اهتدى اليه من لحن ، ويكتب الشعر الذى نظمه ، حتى اذا اتقنتاه عاد الى فراشه .

وعلى هذا قال عنه معاصروه : ان الجن كانت تطارحه الالحان ليلا فيتعلمها . وما الجن الا شغفه بهذا الفن الرفيع الذى كان قد اخذ عليه كل وقته ـ حتى عند النوم فانه كان يحلم فى ترديد الاصوات وترجيعها ، هذا هو الالهام الفني ـ جنون الفن ـ وهو ما قيل عن كثير من الشعراء والفنانين الموهوبين الذين يبدعون فى شعرهم وفنهم . وكم ذكروا ان للشعراء شياطين يوحون اليهم زخرف القول ، فياتون بما لم يات به غيرهم . وما شياطينهم الا

انصرافهم الى الشعر وكثرة تفكيرهم فى محاسنه واوزانه ، وروائعه ، فيأتون بما لم يتهيأ لغيرهم .

— 6 —

كان لزرياب معهد يقصده اصحاب الحناجر الرخمة، والاصوات الجميلة ، يتلقون عنه الالحان ، وما ابدعه من الاصوات والايقاعات .

ولم يكن زرياب يقبل احدا فى معهده ، الا بعد ان يقف على نبرات صوته ، وصلاح حنجرته ، وقابليته الى تلقي الالحان والاصوات ، وعلى هذا فقد كان يختبر من يقصده للأخذ عنه — وقد حدثنا المقري عن كيفية اختباره لمن يقصده فقال :

« وكان اذا اراد ان يختبر المطبوع الصوت — المراد تعليمه — من غير المطبوع ، امره أن يصيح بأعلى صوته : يا حجام . او يصيح : آه . ويمد صوته ، فاذا سمع صوته بهما صافيا نديا قويا مؤديا لا يعتريه غنة ولا حبسة ، ولا ضيق نفس ، عرف انه سوف ينجب ، واشار بتعليمه ، وان وجده خلاف ذلك ابعده .

وهكذا بعد ان يختبر من يقصده ، ويتحقق صلاحه ، يسلمه الى الذين يأخذون عنه ، فيتعهدون تدريبه تدريبا اوليا ، حتى اذا وقف على مباديء هذا الفتى الجميل ، تعهده بنفسه مع الذين يأخذون عنه . فاذا حضر التلميذ عنده للأخذ عنه ، كان يرشده الى كيفية الجلوس ، وطريقة اخراج الصوت من الفم ، والطرق التى يحسن بها نبرات صوته ، بحيث يجعله يناسب اللحن والايقاع اذا ما غنى .

قال المقري فى هذا :

« وكان اذا تناول الالقاء على تلميذ يعلمه، امره بالقعود على الوسائد المدورة المعروفة بالمسورة ، وان يشد صوته جدا — اذا كان قوي الصوت — فان كان لينه ، امره ان يشد على بطنه عمامة ، فان ذلك مما يقوى الصوت ، ولا يجد متسعا فى الجوف عند الخروج عن الفم . فان كان الص الاضراس ، لا يقدر ان يفتح فاه ، او كانت عادته زم اسنانه عند النطق، راضه بأن يدخل فى فيه قطعة خشب عرضها ثلاث أصابع يبيتها فى فمه ليالي حتى ينفرج فكاه ، وهو رأي عالم بنبرات الاصوات ومخارجها ، وما يساعد على تهذيبها واظهارها بصورة جلية .

اخذ عن زرياب اولاده وكثير من اهل الاندلس رجالا ونساء، ونشروا فنه فى طول الاندلس وعرضها، فكانوا دعاة نهضة فنية ، طغت على الاندلس ، وتعدتها الى شمال افريقية ، وطبعتها بطابع الالحان التى ابدعها زرياب . بقيت هذه النهضة الى القرن الثامن للهجرة ، وهي تسير على القواعد التى وضعها زرياب والالحان التى ابتكرها وابدع فيها ، مما جعل ابن خلدون يقول عن تأثير غنائه :

فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ، ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها باشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب ، وانقسم على انصارها ، وبها الآن صبابة على تراجع عمرانها وتناقص دولها .

ومن اخذ عنه وبرز فى الغناء اولاده العشرة (1):

1 — عبيد الله كان خليفة والده ، واعلا اخوته فى الغناء .

2 — عبد الرحمان : وهذا يلي عبيد الله فى الغناء ، وكان يشوب علمه تيه وزهو وكثرة العجب بفنائه ، وهذا مما سبب له مشاكل كثيرة فى مجالس الغناء التى كان يقيمها (2) ، ويذكر ابن خلدون ان عبد الرحمن هذا خلف والده فى هذه الصناعة ، ولربما عمر اكثر من عبيد الله ، فكان المرجع اليه فى الغناء .

3 — اما محمد بن زرياب فكان مؤنثا .

4 — واما القاسم بن زرياب : فكان احذقهم غناء مع تجويده .

5 — واما احمد بن زرياب : فكان قد غلب عليه الشعر .

---

(1) كان لزرياب اربعة اولاد يوم دخل الاندلس ، وهم : عبد الرحمن وجعفر ، وعبيد الله ويحيى . وولد له فى الاندلس اربعة بنين : محمد وقاسم واحمد وحسن ، وبنتان : علية وحمدونة .

(2) نفح الطيب : 4 : 125 .

6 ـ واما حمدونة بنت زرياب: فكانت متقدمة فى اهل بيتها ، محسنة لصناعتها ، تزوجها الوزير هشام بن عبد العزيز .

7 ـ اما علية بنت زرياب : فطال عمرها بعد اختها حمدونة ، ولم يبق من اهل بيتها غيرها ، فافتقر الناس اليها ، وحملوا عنها ، فكانت مرجعا للمعهد الزريابي ، يقصدها اهل الفن ، ويأخذون عنها .

ومن جواريه :

1 ـ مصابيح : جارية الكاتب ابي حفص عمر بن قلهيل ، وهي ممن اخذ عن زرياب ، وصارت غاية فى الاحسان والنبل وطيب الصوت .

مر ابن عبد ربه (3) فسمع غناءها ، واشتاق ان يدخل اليها فأبى مولاها . فمال ابن عبد ربه الى مسجد قريب من المكان ، واخذ لوحا من صبي وكتب هذه الابيات وارسلها الى مولاها :

يا من يضن بصوت الطائر الفرد
ما كنت احسب هذا الضن من احد

لو ان اسماع اهل الارض قاطبة
اصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي مقلده
صوتا يجول مجال الروح فى الجسد

لو كان زرياب حيا ثم اسمعه
لذاب من حسد، او مات من كمد

اما النبيذ فاني لست اشربه
ولست آتيك الا كسرتي بيدي

فلما قراها مولاها ، خرج اليه حافيا ، وادخله مجلسه ، وتمتع ابن عبد ربه من سماعها .

2 ـ متعة : جارية زرياب ، اعتنى فى تاديبها وتعليمها احسن اغانيه ، وشبت رائعة الجمال ، وتصرفت بين يدي الامير عبد الرحمن بن الحكم ، تغنيه مرة، وتسقيه اخرى، وكان الامير معجبا بجمالها وبصوتها ، فلما فطنت لاعجابه بها ، ابدت له دلائل الرغبة ، ولكنه ابى الا التستر ، فنظمت هذه الابيات وغنته بها :

يا من يغطي هواه
من ذا يغطي النهارا ؟

قد كنت املك قلبي
حتى علقت فطارا

يا ويلتاه اتراه
لي كان ، او مستعارا ؟

يا بابي قرشي
خلعت فيه العذارا

فلما انكشف لزرياب امرها ، اهداها الى الامير عبد الرحمن ، وحظيت عنده .

3 ـ اما هنيدة وغزلان فقد تقدم الكلام عنهما .

ومما اجراه على العود فى الاندلس :

1) كانت اعواد القوم ذات اربعة اوتار ، فاضاف هو اليها وترا خامسا ، واتخذ الاوتار من حرير لم يغزل بماء ساخن يكسبها انائة ورخاوة وقد تقدم الكلام عنها .

2 ـ كانت الاعواد ثقيلة الوزن ، تجهد الضارب، وربما عاقته عن تأدية الضرب كما يهوى ، فجعل زرياب عوده صغير الحجم ، خفيف الوزن ، جميل الشكل ، دقيق الصنع ، يستهوي النفس ، ويمثل جمال الالحان التى يضربها زرياب .

3) كانت مضارب العود من خشب ، ثقيلة على الانامل ، تؤثر فى الاوتار عند الضرب ، وربما قطعتها او افسدتها فى ايام معدودة . فعدل عنها زرياب بأن اتخذ المضرب من قوادم النسر : خفيف على الانامل ، رفيق بالاوتار ، ليس فى اليد ، مرن الاستعمال ، يحدث اهتزازات فى الاوتار ، ما لم تحدثه المضارب الخشبية الصلبة .

ومما سنه فى الغناء : ان كل من افتتح الغناء يبدأ بالنشيد اول شدوه باي نقر كان، ويأتي اثره بالبسيط، يختم بالمحركات والاهزاج تبعا لمراسيم زرياب .

ذكر المؤرخون ان اسلم بن احمد بن سعيد الف كتابا فى الاصوات التى وضعها

(3) صاحب « العقد الفريد » .

زرياب ، ومما يؤسف له ، اننا لم نقف على ذكر لهذا السفر النفيس ، الذى جمع روائع الفن وما ابتكره زرياب من اصوات جميلة ، وما نظمه من شعر يغنى به . فان هذا الكتاب كان يطلعنا على الحان رائعة ، واصوات مبتكرة ، ابدعتها قريحة زرياب ـ طمست مع افول شمس العرب فى الاندلس ، ولم يبق منها ، الا صبابة تذكرنا بما كان من التأثير القوي فى الغناء الاندلسي الذى قرر قواعده ، معلم الناس الفن والمروءة (زرياب) .

زرياب من نوادر عصره ، جمع ـ الى تفوقه فى الغناء ـ علوما وفنونا وآدابا . ذكروا عنه انه كان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الاغاني بالحانها ، وهذا ما ساعده على حل كتاب الموسيقى لبطليموس ، لان هذا العدد هو غاية ما ذكره بطليموس ـ واضع هذه العلوم ومؤلفها ـ فى كتابه .

كان زرياب شاعرا ، ويمتاز شعره بالرقة والعذوبة ، كيف لا يكون شعره رائقا ، وقد صدر عن شيخ المغنين صاحب الاصوات المبتكرة البديعة ؛ والالحان التى لم يزل تأثيرها فى الشرق والغرب . ومن شعره :

علقتها ريحانة هيفاء عاطرة نضيره
بين السمينة والهزيلة والطويلة والقصيره
لله ايام لنا سلفت على دير المطيره
لا عيب فيها للمتيم غير ان كانت قصيره

وقوله ايضا :

ولو لم يشقني الظاعنون لشاقني
حمام تداعت فى الديار وقوع

تداعين فاستبكين من كل ذا هوى
نوائح ما تجري لهن دموع

كان عالما بالنجوم واحكامها ، يعرف الاقاليم السبعة وما فيها من عوارض طبيعية ، ومدن وعمران، وما فى هذه من سكان وخيرات ، ويعرف طبائع وميول سكانها ، وما تشتهر به كل مدينة ، فاذا تكلم بهذا تكلم عن علم ومعرفة .

لم يقتصر تأثير زرياب على اهل الاندلس فى الغناء فقط ، بل كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية فيها : الطعام والازياء وتصفيف الشعر وابتكار عطور وادهان وغير ذلك .

ففى الطعام وما يتبعه من لوازم :

1 ـ كان زرياب اول من اجتنى بقلة الهليون المسماة بلسانهم بالاسفراج ، ولم يكونوا يعرفونها قبله .

2 ـ وعلمهم زرياب طبخ النقايا ، وهو مصطنع بماء الكزبرة الرطبة ، محلى بالسنبوسق والكباب ، ويلي هذا عندهم لون التقلية المنسوبة اليه «زريابية».

3 ـ كان الاندلسيون يتخذون الآنية الرفيعة الثمن ، ويحلونها بالذهب والفضة ، ويتنافسون فى هذا ، فاتخذ زرياب آنيته من الزجاج الجميل ، فقلده الاندلسيون فى هذا .

4 ـ فضل زرياب استعمال سفر الاديم على الموائد الخشبية لتقديم الطعام ،لان الوضر يزول عن الاديم باقل مسحة ، فأخذ الاندلسيون بهذا .

5 ـ كان زرياب يفضل فرش الانطاع الاديمية الناعمة اللينة على ملاحف الكتان ، فانتشر هذا فى الاندلس .

واما تأثيره على الازياء فى الاندلس : فانه راى ان يلبس كل صنف من الثياب فى زمانه الذى يليق به . فيكون ابتداء الناس بلباس البياض . ثم يلبسون الملون من يوم مهرجان اهل البلد المسمى عندهم « بالعنصرة » الكائن فى ست بقين من شهر يونيو (حزيران) ، الى اواخر شهر اكتوبر (تشرين الاول). وان يلبسوا بقية السنة الثياب الملونة .

ورأى ان يلبسوا فى الفصل الذى بين الحر والبرد المسمى عندهم « الربيع » من مصبغهم جباب الخز والملحم والمحرر والدراريع التى لا بطائن لها ، لقربها من لطف ثياب البياض .

وكذا راى ان يلبسوا فى آخر الصيف وعند اول الخريف المحاشي المروية والثياب المصمتة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ، ذوات الحشو والبطائن الكثيفة ، وذلك عند قرص البرد فى الغدوات ، الى ان يقوى البرد ، فينتقلون الى اثخن منها من الملونات ، ويستظهرون من تحتها اذا احتاجوا الى صنوف الفراء .

واما تأثيره على تصفيف الشعر : دخل الاندلس وجميع من فيها ــ من رجل او امراة ــ يرسل جمته مفروقا وسط الجبين عاما للصدغين والحاجبين ، فلما راوا تحذيفه هو وولده ونساءه لشعورهم ، وتقصيرها دون جباههم ، وتسويتها مع حواجبهم ، وتدويرها الى آذانهم ، واسدالها الى أصداغهم ــ هوت اليه انفسهم ، فاستحسنوه وقلدوه .

وابتكر ادهانا ومعاجين لطيفة وروائح عطرية تزيد من جما لالبشرة وتكسبها رونقا وبهاء .

كان ملوك الاندلس والمترفون يستعملون ذرور الورد وزهور الريحان وما شاكل ذلك من ذوات القبض والبرد لطرد الصنان والروائح الكريهة ، فلا تسلم ثيابهم من وضر . فدلهم على تصعيدها بالملح وتبييض لونها ، فجربوه وحمدوه على ذلك .

هذا تاثير زرياب على اهل الاندلس ، فقد كان عاملا قويا فى تهذيب اغانيهم وتنسيق ثيابهم ، وتهذيب طعامهم وآنيتهم وآدابهم الاجتماعية ، فهو قدوة القوم فى كل ما يصدر عنه . وعلى هذا فان اهل الاندلس احلوا زرياب بالمحل اللائق به، وبخدماته الجليلة التى سنها لهم . فقد حظي فتى اسحاق الذى ترك بغداد مكرها من الغنى والترف والعزة ، ما جعله مضرب المثل فى الاندلس ، ويتعداها الى شمال افريقية ، ويتجاوزها الى بلاد الشرق . ومن ذلك ما رواه الصابي فى كتابه الهفوات النادرة قال : (ص : 385 ــ 386)

حدث علوية المغني قال: كنت مع المأمون لما خرج الى الشام ، فدخلنا الى دمشق ، وطفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني امية ويتتبع آثارهم ، فدخل صحنا من صحونها ، فاذا هو مفروش بالرخام الاخضر كله ، وفيه بركة ماء يدخلها ويخرج منها من عين تصب اليها و ... واقبل المأمون علي فقال : غنني ونشطني ، فكأن الله عز وجل انساني جميع ما احفظه الا هذا الصوت :

لو كان حولي بنو امية لم
ينطق رجال اراهم نطقوا

فنظر الي مغضبا وقال : عليك لعنة الله وعلى بني امية ، ويلك قلت لك سرني ام سؤني ، الم يكن لك وقت تمدح فيه بني امية الا هذا الوقت ؟

فتجلدت عليه ، وعلمت اني قد اخطأت ، فقلت: اتلومني على ان اذكر بني امية ، هذا مولاكم زرياب عندهم يركب فى مائتي غلام مملوك له ، ويملك ثلاثمائة الف دينار وهبوها له ، سوى الضياع والخيل والرقيق وانا عندكم اموت جوعا .

هذا هو زرياب الذى ترك بغداد مكرها ، وعاش فى الاندلس مترفا مكرما ، وصار مضرب المثل فى الشرق والغرب .

دليل جديد على عروبة الأرقام المستعملة في المغرب العربي

أبو فارس

يوجد في المكتبة العامة بالرباط مخطوط تحت عنوان : « تلقيح الافكار في العمل برسم الغبار » (رقم ك 222) من تاليف ابي محمد عبد الله (او عبد الرحمن بن حجاج (1) المعروف بابن الياسمين والذي ولد بفاس اواسط القرن السادس وهو بربري من بني حجاج بقلعة فندلاوة ، اخذ العلوم الرياضية عن شيخه محمد بن قاسم وقد قال ابن الأبار في التكملة : « وله ارجوزة في الجبر قرئت عليه وسمعت منه باشبيلية في سنة 587 » (ص 531) وكان احد خدام المنصور وولده الناصر كما في « الذخيرة السنية » وقد وجد ذبيحا بمراكش سنة 600 او اوائل 601 هـ ، وتوجد نسخ من ارجوزته في الجبر والمقابلة بخزائن باريز وبرلين واكسفورد والاسكوريال والقاهرة ، ومن شراح الارجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المتوفى سنة 815 هـ (وهو مخطوط باكسفورد والقاهره) والقلصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح ارجوزة ابن الياسمين » ، (مخطوط بخزانة مكتبة الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 هـ ويسمى « اللمعة المارديئية في شرح الياسمينيه » (مخطوط ببرلين والقاهرة واسطمبول) وله ارجوزة في اعمال الجذور توجد بخزانة الاسكوريال (راجع بحث الاستاذ محمد الفاسي مجلة « رسالة المغرب » سنة 1942 السنة الاولى عدد 1) وممن شرح الارجوزة سعيد العقباني التلمساني الملقب برئيس العقلاء (نيل الابتهاج ص 106) .

وكتاب تلقيح الافكار هذا يعتبر اقدم وثيقة تحدثت عن اعداد الغبار واكدت انها مغربية اي عربية الاصل .

وننشر صفحتين مصورتين رقم 8 — 9 من هذا الكتاب اولهما : « واعلم ان الرسوم ...

(1) وقيل اسمه عبد الله بن محمد بن حجاج (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 91 (مخطوط والتكملة ص 531 والجذوة ص 237 .

الى وضعت للعدد تسعه اشكال يتركب عليها جميع العدد
وهي التي تسما اشكال الغبار وهي هذه ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ وس
وقد تكون ايضا هكذا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ولان النا
عدنا على الوضع الاول ولو اصطلحت مع نفسك على تبديلها
او عكسها لجاز ووجب العمل على حاله لا يتبدل وقد صنعها
قوم من جواهر الارض مثل الحديد والنحاس من كل شي منها
اعداد ليضرب بها ما شاء من غير نقش وكاتبوا وامّا
اهل الهند فانهم يخطون لوحا اسود ويمرون عليه الغبار وينقشون
فيه ما شاءوا ولذلك تسما حساب الغبار وعلى الحقيقة ليس
الا المداد والمحو واعلم ان هذه الحروف ليست بدالة على
الاحاد وحدها بل هي دالة على العشرات والميين والالاف
وعلى سائر المراتب المذكورة فما كان منها في بيت الاحاد
فهو دال على الاحاد وما كان منها في المرتبة الثانية التي هي منزلة
العشرات فهو دال ايضا على العشرات قليلها وكثيرها ان كان
واحد فهو عشر وان كان اثنان فذلك عشرون ولذلك الى التسعين
وكذلك ما كان في البيت الثالث التي هي منزلة الميين وبعدها
فهو ايضا دال على الميين ولذلك الالاف ومعشراتها ومياتها
وبكرارها وسائر المراتب فان قيل لك كيف صورة خمسة
عشر بهذه الاشكال فقول احاد فتجعل خمسة وتقول عشر فتجعل
في المرتبة الثانية منزلة العشرات علامة واحد هي عشر واحمل
على هذه الصورة ٥ ١ ولو كانت عشرين لجعلت اثنين لان

لان العشرات في يمينها منزلة الاحاد والمئين لذلك وكذلك
جميع مراتب الاعداد الى ما لا نهاية له فان قيل لك
ترك العشرين فقد ذكرنا ان العشرين اثنين في عقد العشر
لكن ان جعلت اثنين لم تعرف انهما عشرات اذ ليس منهما عدد
في بيت الاحاد مما يدلنا على ان ما بعد عشرات فجعل اثنين
وقبلها صفرا فتكون الاثنان في المرتبة الثانية بيت العشرات
كان الصفر لئين بعدد وانما دلك على ما بعده اذ كانت المنزلة فارغة
ولا يكون بعد منتهى منازل صورة المنزلة فان قيل لك
كيف صورة خمسة وستين وما ئتين فقل على ما تقدم لئين هكذا
ح ك ه فان قال ستة وثلاثة الاف قل هكذا ا ه ه ح
وصورة عشرة هكذا ا وصورة احد عشر هكذا ا فقس
هذا على جميع ما يرد عليك من العدد الى ما لا نهاية له بعد
ذكرنا من البيتين لانه بين لا يحتاج فيه الى مثال ومن هنا نأتي على
ما شرطناه ان شاء الله تعالى

الباب الاول

في العدد الصحيح وما يدل به وينقسم اليه

وفيه فصول

الفصل الاول في الضرب اعلم ان ضرب الاعداد بعضها
في بعض هو ان تضعف احد العددين بقدر ما في العدد
الاخر من الاحاد واذا كان معنا هذا ما ضربنا في الواحد
او ضرب الواحد فيه لان معنا اعلم انك اذا ضربت عددا

الاستعراب في لينغراد

للأستاذ فيكتور بيلاييف (لينغراد)

تلقينا من الاستاذ فيكتور بيلاييف مدرس العربية في جامعة لينغراد المقال التالي يشرح فيه بطريقة عفوية مبسطة عمل الجامعة والمختصين في حقل اللغة العربية فصيحها وعاميتها .

في لينغراد مركزان للبحث في ميدان الاستشراق وخاصة في ميدان الاستعراب ، هما معهد الاستشراق لاكاديميا العلوم ، والجامعة ، غرفة الاستعراب باسم المرحوم عضو الاكاديميا اغناطيوس كراتشكوفسكي يشتغل بالبحث عن مشكلات تاريخ الآداب العربية والتاريخ وتاريخ الثقافة العربية واللغة العربية اليمنية القديمة ولهجاتها المعاصرة . كل اعضاء هذه الغرفة من خريجي جامعتنا اعني القسم العربي للكلية الشرقية بهذه الجامعة . كان الاستاذ ا. كراتشكوفسكي رئيسا لتلك الغرفة وللقسم او الكرسي العربي بالجامعة كذلك وكان يدير الامور الاستعرابية في لينغراد ، بل في كل الاتحاد السوفياتي ، كما كان ذا نفوذ مسموع الكلمة وكان مشهورا لا في بلادنا وحدها بل في كل العالم بين العلماء والادباء في الشرق والغرب .

توفي الاستاذ عام 1951 رحمه الله . وكان اسس في بلادنا بعض فروع الاستعراب ، من البحث والتدريس ، التي لم تكن قبله في الاكاديميا ولا في الجامعة وهي البحث والدرس عن تاريخ الادب العربي الحديث (في القرون 18 – 19 – 20) وعن اللهجات العربية الحديثة المعاصرة والقديمة ، في القرون الوسطى معتمدا على مؤلفات آداب اللغة العربية وبعض فروع العلوم الفيلولوجية مثل علم البلاغة والبديع والبيان وتاريخها . وبعد وفاته تأصل هذا البحث والتدريس في الاتحاد السوفياتي وتطور كثيرا ، ونشرت كتب ومقالات لعلماء عندنا في بلادنا وفي الخارج .

والآن يدرس في جامعتنا ويدرس اللهجات العربية الحديثة الاستاذ فنيكوف . وهو الذي بحث اللهجات العربية في آسيا الوسطى بالقرب من مدينة بخارا وفي منطقة وادي قاشقا دريا في اوزبكستان . وهو يدرس بعض اللهجات ، مثل اللهجة السورية واللهجة المصرية ، نظريا نحويا . ويدرس نظاما نحويا للهجات العربية كلها . وقد نشر عن قريب قاموس اللهجة العربية البخارية (القاموس العربي – الروسي) ونشر بعض النصوص المسجلة من تلك اللهجة .

الاستاذ بيلاييف يبحث الآن بعض المؤلفات الأدبية القديمة ليستخرج منها كلمات وعبارات ولغات ومواد نحوية من طبيعة اللهجات بغرض انشاء نبذة نحوية لتلك الكتب ، مثل الف ليلة وليلة او رحلة

مكاريوس بطريرك انطاكية لابنه بولص الحلبـــي الخ . وتلك الكتب مشربة باللكلمات والعبارات العامية .

يبحث احد تلاميذنا فى المعهد الشرقي يعقوب غرونتفست عن الكتابات، المنقوشة باللغة السـبئيـــة المكتوبة بالخط المسند والمنقولـــة الى الاتحـــاد السوفياتي فى السنة الماضية وهو الذي دافع عـن الاطروحة التي موضوعها « النظام النحوي » من لغـة تلك الكتابات مقارنة باللهجة العربية الجنوبية المعاصرة مثل السقطري والمهري والحضرمي الخ .

ويبحث تلميذنا الكساندر بابووكيـــن قواعـــد الافعال فى اللهجات العربية الشرقية والمغربية . انما هو فى ابتداء بحثه ونحن نتمنى له التوفيق وننتظر من زرعه حصيلة طيبة .

الاستشراق في رومانيا

نشرت مجلة « الاقلام » العراقية الزاهرة ، فى عددها السادس من السنة الثامنة 1972 ، مقالا حول « دراسة اللغة العربية فى رومانيا » وافاها به الاستاذ نيقولا دوبريشان من بوخاريست ، وقد أشار صاحب المقال الى أنه قد مر حتى الآن خمس عشرة سنة منذ تأسيس قسم اللغة العربية والاداب العربي ضمن مجموعة اللغات الشرقية التي تدرس بجامعة بوخارست ، وقد كون هذا المعهد خلال هذه الفترة عددا كبيرا من الاختصاصيين الذين يعلمون اللغة العربية والذين يعملون فى رومانيا على دعم التعاون والتطور المستمر للعلاقات الرومانية العربية فى مختلف الميادين » ومن المميزات التي تنفرد بها هذه الجامعة فى تدريسها اللغة العربية كونها « الى جانب اعداد الطلبة اعدادا نظريا عميقا يكمن فى دراسة قواعد اللغة العربية والادب العربي وتاريخ وحضارة العرب وعلم الاسلام وعلم اللهجات وغيرها من العلوم النظرية يتلقى الطلبة كذلك اثناء سنوات الدراسة اعدادا عمليا بمعنى التعرف على احدى اللهجات الدارجة واستخدامها عمليا » .

كما ان الاعداد المحصول عليه من جامعة بوخاريست يتم اكماله عند الضرورة، بفترات للتخصص فى البلدان العربية والاشتراك فى دراسات دورية قصيرة الأمد تنظمها بعض البلاد العربية من اجل المستعربين » .

وحينما يشير الكاتب الى النشاط الذي تضطلع به هيئة التدريس بهذه الجامعة يقول : « انها تقوم علاوة على النشاط التعليمي ، بنشاط واسع آخر فى المجالين العلمي والثقافي يتجسم فى اعداد الكتب اللازمة للتدريس ونشر أبحاث علمية فى ميادين اللغة والأدب العربي والعلاقات الثقافية الرومانية العربية ونشر تراجم اهم المؤلفات العربية الكلاسيكية والحديثة عن الأدب العربي وغيرها كما يقوم اعضاء هيئة التدريس بنشر مقالات وتراجم عن الشعر العربي فى المجلات الأدبية الرومانية بصورة مستمرة حيث يعرفون بذلك القراء الرومانيين قيم الحضارة والأدب العربي ، وحيث يشاركون فى تعارف متبادل أحسن وفى التقارب بين الأمتين الصديقتين الرومانية والعربية »

ويضيف صاحب المقال قائلا : « كما ان هيئة التدريس تشترك كذلك فى التعاون مع الاختصاصيين المستشرقين الآخرين برومانيا فى نشاط جمعية المستشرقين التي أسست مؤخرا والتي تنظم دوريا ندوات علمية تقدم فيها بحوث قيمة فى علم الاستشراق تنشر فى مجلة الجمعية وفى مجلة الجامعة وفى مجلات علمية أخرى وفى مجلدات خاصة » .

ويذكر الكاتب انه « بينما كان يشتغل فى هذا القسم أستاذ واحد فقط بعد افتتاحه فى عام 1957 ، وصل عدد الأساتذة الذين يقومون بالتدريس فى هذا القسم الى خمسة أساتذة ومن بينهم أستاذة حصلت على درجة الدكتوراه فى علم اللغة من جامعة بوخارست

عام 1971 ، بأطروحة تناولت بالبحث موضوعا فى علم اللغة له علاقة باللغة العربية ، كما يعد — فى الوقت الراهن ، أستاذان آخران للقسم أطروحتين للدكتوراه كذلك أحدهما عن موضوع : **طرق تكوين المصطلحات السياسية والاجتماعية فى اللغة العربية المعاصرة ، والثاني عن رحالة عربي فى البلدان الرومانية فى القرن السابع عشر .**

وحينما يشير الى تاريخ اهتمام الرومانيين بالاستشراق يقول : « وعلى الرغم من أن دراسة نظامية اللغة العربية بدأت فى رومانية بعد تأسيس قسم اللغة العربية فى نطاق جامعة بوخارست ، كانت توجد فى رومانيا اهتمامات قديمة بعلم الاستعراب وبالماضي الغني للعلاقات الرومانية العربية ، ونكتفي بالاشارة هنا الى أسمى اثنين من المستشرقين الرومانيين المشهورين : أحدهما واسمه ديميتري كانتمير ، عاش فى بداية القرن الثامن عشر وهو علامة عظيم تمت ترجمة مؤلف له فى اللغة العربية فى عام 1705 تحت عنوان « صلاح الحكيم وغسادة العالم الدميم » والآخر هو تيموتي تشيباريو وقد عاش فى منتصف القرن التاسع عشر وامتلك مجموعة غنية من الكتب والمخطوطات العربية اصبحت الآن رصيدا ثمينا من الكتب العربية التي تمتلكها مكتبة فرع اكاديمية العلوم الرومانية فى مدينة « طلوج » .

ويشير صاحب المقال كذلك الى **ان الاقبال يزداد على تعلم اللغة العربية ببلاده نتيجة للتوسع المستمر للعلاقات الرومانية العربية وزيادة الرغبة فى التعرف احسن فاحسن على حضارة الامة العربية ،** وتدرس اللغة العربية — عدا فى الجامعة الشعبية ببوخارست ، تدرس كذلك فى الجامعة الشعبية بمدينة « تيميشوارا » كما تدرس فى قسم اللغة العربية بجامعة بوخارست المشار اليه آنفا ويحضر هذه الدروس هواة تتراوح اعمارهم بين 15 و 65 سنة » ، وينوه الا انه **ابتداء من سنة 1971 بدا تدريس اللغة العربية بصورة تجريبية لتلاميذ الابتدائية فى مدرسة لمدة عشر سنوات ذات التدريس بلغات اجنبية** ويتنبأ الكاتب فى ذيل مقاله الى انه سوف تحقق انجازات ضخمة فى ميدان الاستعراب ببلاده فى المستقبل القريب ، كما يشير الى انه كتب هذه العجالة بمناسبة مرور خمس عشرة سنة على تاسيس قسم اللغة العربية والادب العربي بجامعة بوخارست .

الوشائج العريقة بين الخليج العربي والمغرب الأقصى *

عبد العزيز بن عبد الله
الأستاذ في جامعة الرباط ودار الحديث الحسنية

الخليج عريق فى العروبة وقد استعمل الجغرافي اليوناني سترابون (Strabon) المتوفى بين 21 و 25 ميلادية كلمة الخليج العربي فى وصفه للحملة التي قام بها الرومان على بلاد العرب ويرجع اطلاق المؤرخين اسم الخليج (1) الفارسي الى القائد اليوناني نيركس بعدما عاد من الهند مبعوثا من سيده الاسكندر الاكبر حيث لم يمر الا من الساحل الشرقي فظن ان المنطقة كلها فارسية وتتجلى عروبة المنطقة أيضا منذ اعرق (2) العصور فى الاسم الذي تحمله مقاطعة « خوزستان » الايرانية التي كانت تسمى من قبل الفرس الى السنوات الاخيرة « عربستان » اي « بلاد العرب » ولا تزال تقطنها الى الآن قبائل عربية مختلفة كبني تميم الذين ينتسب اليهم الخليفة الاول أبو بكر الصديق رضي الله عنه « وعربستان » هذه هي التي كانت تسمى « الاهواز » والاهواز كما جاء فى معجم البلدان جمع هوز واصله حوز لانه ليس فى كلام الفرس حاء حيث يقولون مهمد لمحمد ولذلك نرى ان كلمة الاهواز اسم عربي اطلق على هذا الاقليم فى العصر الاسلامي وتسمى بهذا الاسم فى المغرب الاقصى ناحية مراكش عاصمة المرابطين والموحدين والسعديين ولعل لهذه التسمية صلة بما يحكيه بعض المؤرخين حول اسباب اطلاق اسم سوس على اقصى جنوب المغرب فى الاطلس الصغير فيروي المؤرخ الروماني سالوست (Salluste) المتوفى فى عام 35 قبل الميلاد (فى الكتاب الذي صنفه حول « حرب يوغورتا » ملك نوميديا من اسر امراء البربر والمولود عام 154 قبل الميلاد) ان الفرس الذين حاولوا الاغارة على شبه الجزيرة الايبيرية (اي اسبانيا والبرتغال) فى عهد هيراكلس (Héraclés) (وهو هيركول اللاتيني الذي سميت به اساطين هرقل اي مضيق جبل طارق شمالي المغرب الاقصى) قد تحولت اشرعة مراكبهم بشدة الريح الى المحيط الاطلنطيقي فوصلوا

(x) هذا نص محاضرة القاها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله فى ابى ظبي يوم رابع يناير 1973 .

(1) ودرج على ذلك المؤرخ الروماني بلين (Pline) المتوفى عام 79 م حيث سمى الخليج باسمه الصحيح وهو الخليج العربي .

(2) وقد ندد الرائد الدنماركى كارستن نيبور عام 1762 م (1176 هـ) بهذا الزعم الذي ردده جغرافيون صوروا جزءا من بلاد العرب كانه خاضع ـ كما يقول نيبور ـ لحكم ملوك الفرس كما أبرز هذه الحقيقة الرحالة الانجليزي هورو دريك اوين فى القرن العشرين رغم تواطؤ الكثير من الجغرافيين المعاصرين على الغض من عروبة الخليج .

الى جنوب المغرب حيث اتصلو بالجيتول (Gétules) (وهم اهل جزولة الحالية على ما يظهـــر) فتصاهروا معهم وسميت سوس (وكذلك كل من مدينتي سوسة التونسية والليبية وهما متشابهان ونهر سوس قرب قرطبة واشبيلية بالاندلس وسوسية كـــورة بالاردن (معجم البلدان ج 5 ص 173) وسوسة مدينة بالصين (صبح الاعشي ج 4 ص 483) اقتبسنا من كلمـــة سوسانة (Susiane) (او ارض عيلام (Elam) الواقعة بمنطقة الاهواز على ان الفرس قد اشتهـــروا قديما بالنوميديين ومعناه الرمل بلغتهم وقد أطلق هذا الاسم على اهل نوميديا وهي اقليم افريقي يقع بيـــن منطقة قرطاج التي اسسها الفينيقيـــون كعاصمـــة لمستعمرتهم عام 814 ق. م. وبلاد موريطانيا وقـــد خضعت هذه المنطقة بعد ثورة يوغورطا الى الحكـــم الروماني وسنرى كيف ان هذه العناصر تشكل حلقات فى الشبكة الواسعة التي حبكها الفينيقيون منذ اعرق العصور بين الشمال الافريقي والخليج العربي ، نعم كان للعرب الكنعانيين اي الفينيقيين جولات فى الخليج العربي فهم الذين اسسوا مدينـــة تيـــر (Tyr) (صور الحالية فى لبنان) فى الالـــف الثالثة قبـــل الميلاد ، وكانت عاصمة تشرف على القوافل التـــي تنقل الى الغرب ما ينتجه الشرق الأسيوي عبر بحر القلزم والفينيقيون هم الذين اسسوا مدينة قرطـــاج (واسمها محرف عن قرية حداش اي القرية الحديثة لانها اسست بعد كل من مدينة أوتيك (Utique) التونسية ومدينة ليكس (Lix) المغربية حوالي (110 ق. م.) وقد سقطت مدينة تير تحت الحكـم الروماني عام 64 ق. م. واشرف عليها وعلى قصـــر فرعون اي وليلي القديمة (Volubilis) بالمغرب الاقصى الامبراطور الرومانـــي سبتيـــم سيفيـــر (Septième sévère) بين سنتي 193 و 211 ق. م

ويرى بعض المؤرخين ان الفنيقيين كانوا قـــد استقروا فترة من الزمن فى شواطيء الخليج قبل ان ينتقلوا الى الساحل السوري وانهم سموا مدينة « صور» على شاطيء البحر المتوسط تيمنا باسم مدينتهـــم الاولى على شاطيء الخليج ولعل الآثار التي تم الكشف عنها فى المنطقتين تضفي على هذه الرواية سمة من الحقيقة لا سيما وان مؤرخين محدثين قد اكدوا ذلك ومن جملتهم الاستاذ جان جاك بيربي (J.J. Berreby) فى كتابه « الخليج الفارسي (Le Golfe Persique) والاستاذ امين الريحاني الذي ابرز بالاضافة الى ما ذكر تشابك الدوحة العربية بالدوحة الفينيقية فى كتابـــه « ملوك العرب » .

وبذلك يكون الفنيقيون قد هاجروا من الخليج الى البحر المتوسط منذ خمسة آلاف سنة كما يقول المؤرخ رولنســـون .

وقد وسع الفينيقيون شبكة مستعمراتهم على سواحل المتوسط واسسوا ليكس واوتيك ومالقـــة وقادس (بالاندلس) وهبو (عنابة وبنزرت) ثم تجاوزوا حسب سترابون اساطين هرقل وتأكد ذلك بعد قيام خبراء بحفريات على طول سواحل المحيط الاطلنطيقي مما قد يؤكد النظرية القائلة بأن هانون قد وصل فى رحلته فى القرن الخامس قبل الميـــلاد الى درعـــة والساقية الحمراء وربما غينيا فى قلب القارة الافريقية وقد اصبحت اللغة البونيقية (Langue punique) المستمدة من الكنعانية العربية مع تطعيمات محليـــة لغة اشبه بعامية افريقيا الشمالية فى العصر الحاضر نشرنا بحثا عنها فى مجلة « اللسان العربي » (التـــي اتشرف بادارتها ورياسة تحريرها وهي لسان « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطـــن العربـــي ») .

وخلاصة ما فى هذا البحث انه عثر فى البرازيل على حجارة مكتوبة بالعربية اليونانية تحمل تاريخ 125 قبل الميلاد نتج عن مقارنتها باللهجة الدارجة اليوم فى المغرب العربي ان هذه اللهجات ليست سوى امتداد اصيل للغة بني كنعان العربية التي استعملت قبـــل الاسلام فى كل من الخليج العربي قبل البعثة المحمدية بأزيد من الف عام ، وقد اعتبر الرحالة المغربي الكبير الحسن بن محمد الوزاني المعروف عند الغربين بليون الافريقي (Léon l'Africain) ان الفينيقيين عنصر هام فى سكان افريقيا الاقدمين حيث انتقل فوج منهم صحبة مصريين الى افريقيا الشمالية عام 1215 ق. م عندما اجلاهم الاسرائيليون عن فلسطين ثم تتابعـــت الجاليات ايام نبي الله داود عليه السلام عام 1055ق.م والواقع ان العرب كانوا يمـــلأون ـ باضافـــة الى الشمال الافريقي ـ هضبات وبطاح جنوب افريقيـــا حيث كشف الدكتور استانلي تيبور على مقربة من نهر زمبيز فى مقاطعة روديسيا آثارا منقوشة مع رســـوم مكتوبة استدل بها على ان العرب استثمروا مناجـــم الذهب التي كان قد استثمرها قبلهم اسلافهم عـــرب اليمن وقد لاحظ صاحب قصة الحضارة (ج2 ص 43) ان الحضارة ظهرت فى بلاد اليمن وبـــلاد المغـــرب القديمة وانتشرت فى صورة مثلث الى شومر وبابل واشور ومصر ويعضد هذه النظرية ما قيل من أبوة

اليمن (بلد العرب البائدة) للشعب العربي في سائر اقطاره وخاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط حيث كانت نسبة المواليد منخفضة والوفيات مرتفعة مما سهل استيعاب الهجرة .

وقد تحدث ابن خلدون في تاريخه (ج 1 ص 99 طبعة بيروت) عن عروبة جبال الاطلس المغربية فأشار الى ما أكده المؤرخون والنسابون العرب امثال الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي من أن صنهاجة (سكان الاطلس الاوسط) ومصمودة (سكان الاطلس الكبير) وكتامة (بشمال وشرقي المغرب الاقصى) عرب يمنيون من سلالة حمير فيكون البرابرة ـ حسب هذه الرواية ـ أعرق في العروبة من ربيعة ومضر لانتسابهم الى افريقش بن قيس بن صيفي الحميري وقد تحدث عن هذه النظرية القلقشندي في صبح الاعشى (ج 1 ص 321) فلاحظ أن افريقش هذا هو الذي نقل البربر من سواحل الشام ـ مركز الفينيقيين ومهاجري الخليج العربي ـ الى المغرب ملاحظا أن اكثر الاقوال جانحة الى عروبة البربر خلافا لابن حزم (في جمهرته) وتبعه ابن خلدون (التاريخ ج 6 ص 96) الذي زعم انه لم يكن لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن ويظهر أن ابن خلدون افضل الطريق القديمة التي كانت تصل اليمن عن طريق بحر القلزم (أي عيذاب وبور سودان الحالية) وصحراء السودان والتشاد بالصحراء المغربية الممتدة من تنبكتو الى النيجر الى مراكش تلك الطريق التي اكد الحسن الوزاني في وصف افريقيا (ج 1 ص 14 و29) أنه رافق عام 918 هـ تجارا انتقلوا من المغرب الى السودان ثم مصر حيث دشنوا طريقا جديدة من الجنوب تصل الصحراء بمصر عن طريق التشاد وكانت الطريق العادية بواسطة فزان وطرابلس قد هجرت منذ قرن نظرا لعبث عرب الساحل وكذلك البحر بسبب القرصان المسيحيين وقد لاحظ المؤرخ الالماني (هانز (Hanz Helfritz) في كتاب له حول اليمن (تعريب خيري حماد ص 134) التشابه الملحوظ بين الالحان في اغاني الجنوب العربي وبين الموسيقى البربرية التي تمكن كارل ولهام لخمان (1793 م ـ 1851 م) من تسجيلها فابرز وحدة الانشاد ، أضف الى ذلك وجود ابنية بالاطلس تشبه تلك التي تقوم في الجنوب العربي وتحمل نفس المظاهر المعمارية ، وقد شرح هورن بوستل النمسوي (1877 ـ 1935 م) انتماء البربر واليمنيين الى أصل واحد ينتسب الى آسيا الشرقية .

وسنرى كيف أن سجلماسة عاصمة الصحراء كانت منذ القرن الثالث الهجري مركزا للقوافل التجارية بين بصرة المغرب وبصرة الخليج وليس ببدع ان يوغل في الصحراء اهل هذه الصحراء لا سيما وان هؤلاء كان دابهم في جميع الاعصار الفرار من رطوبة السواحل والتوغل في الرمال سواء كانت في النيجر أم في السودان أم في الثلث الخالي من جنوب غرب آسيا وقد أسس العرب مراكز تجارية في غمار الصحاري كمحطات للقوافل المحملة بالبضائع المجلوبة من اقاصي البلاد وكانت التجارة آنذاك تمر حتما في الطرق البرية لأن العرب لم يكونوا قد استأنسوا بعد بالطرق الملاحية وقد ساعدت وحدة نظام الحياة القبلية في الصحراء على هذا الترابط .

ويعتبر القرن الثالث الهجري قمة نشاط الحركة التجارية برا وبحرا وفترة ذهبية في تاريخها فالى القرن الثالث الهجري يرجع تاريخ الكثير من رحلات الجغرافيين العرب حول العالم كابن وهب القرشي الذي رحل الى الصين عام 256 هـ وسليمان الصرافي الذي كتب رحلته الى الخليج العربي والخليج الصيني عام 237 هـ وسلام الترجمان الذي رحل الى الصين الشمالي أيام الخليفة الواثق بالله واليعقوبي صاحب البلدان وابن خرداذبة صاحب المسالك والممالك المتوفى عام 300 هـ أما في أوائل القرن الرابع فهنالك الحسن المهلبي الذي رحل الى السودان عام 375 هـ ومحمد التاريخي الاندلسي المتوفى عام 363 هـ وهو صاحب « كتاب وصف افريقية والمغرب » وأبو دلف الذي رحل الى الصين حوالي 331 هـ والاصطخري صاحب « الاقاليم » و « الممالك » الذي لقي ابن حوقل استغرق تجواله حول العالم ثلاثين سنة والمسعودي صاحب « مروج الذهب » و « معادن الجوهر » الذي فرغ منه عام 336 هـ وهو كما وصفه ابن خلكان امام المؤرخين ، والواقع أن طريق الوطن العربي الى الصين فتح منذ عام 31 هـ (651 م) بتتابع سفارات بلغت في ظرف 147 سنة ستا وثلاثين بعثة دبلوماسية عربية (مجلة بناء الصين عدد 3 ـ 1966) على أن الكلمة التي استعملها التجار العرب والرحالون الاوربيون في العصور الوسطى لتسمية بيكين (Pékin) هي لفظة خان باليك (Khan Balik) (دائرة المعارف الاسلامية ج 1 ص 1024) وكانت الخطوط التجارية كلها سواء انبثقت من غرب اوربا او من الشمال الافريقي او من روسيا تؤدي الى ميناء الأبلة وميناء البصرة وقد أكد الرحالة بانيكار في كتابه

حول « آسيا والسيطرة الغربية » ان العرب سواء فى الشرق ام فى الغرب اصبحوا يتنافسون مع الشعوب الاخرى على تجارة الافاوية فكان للتجار مستودعات بالقاهرة والاسكندرية بل حتى بمدينة فاس فى المغرب الاقصى (ص 37 ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد) اضف الى ذلك ان تجارة الرقيق المجلوب من افريقيا السمراء وحركة الحجيج كان لهما ضلع فى تعزيز هذه الحركة التجارية وقد بلغ من اهتمام المسئولين العرب بتأمين طرق المواصلات أن عزم عمرو بن العاص وبعده هارون الرشيد على شق ترعة السويس حتى تمتد الخطوط التجارية دون انقطاع من الاندلس والمغرب الى الصين وقد اشتهرت ثلاث مدن ملاحية فى الخليج العربي بنشاط غامر فى هذا الحقل التجاري فكانت سيراف تربط الخليج بالصين بينما كانت البصرة نقطة التقاء للسبل البحرية وطرق القوافل التجارية حيث بذت فى شهرتها ميناء الأبلة الذي ظل مع ذلك المركز التجاري الاوحد ما بين الخليج العربي والخط الملاحي لنهر دجلة الممتد الى البصرة وقد تعزز التبادل آنذاك بين الشرق والغرب بوحدة العملة حيث كان التجار يعتمدون العملة الذهبية وهي الدينار والفضية وهي الدرهم وقد بلغت مكانة سجلماسة مبلغا جعل الاندلسيين انفسهم يتعاملون بالدنانير السجلماسية (البيان لابن عذارى ج 2 ص 344) نظرا لضرورة توحيد العملة بين المراكز التجارية فى طريق القوافل وقد وقع العثور عام 1951 فى الانقاض الاسلامية بقصر فرعون (Volubilis) على 231 درهما فضيا من العصر الاموي مع دينار ذهبي دمشقي وكلها دراهم شرقية من واسط ومرو واضطخر وجند يسابور ودمشق وحمدان وافريقيا .

واذا علمنا ان البصرة تقع على الطرف المباشر للصحراء فى جانب الارض المزروعة وبساتين النخيل فى منطقة شط العرب علمنا لماذا كانت محط انظار الحضريين والصحراويين من المغاربة حيث اسست بصرة المغرب بالقرب من مدينة القصر الكبير شمالي المغرب وظلت مركزا اقتصاديا هاما لصنع الكتان ومرحلة فى طريق القوافل الى أن هدمها أبو الفتوح عام 368 هـ (البيان لابن عذارى ج 1 ص 330) وقد حدثنا ناصر خسرو الذي زار مدينة البصرة الشرقية عام 1050 م عما وجده من عادات لدى التجار الذين كانوا يملكون كمبيالات أو سفتجات يحفظونها لدى تاجر عملة أو رجل بنك مقابل ايصال وكل المشتريات تدفع بالشيكات أو الحوالات ويقوم التاجر طوال اقامته فى المدينة بصرف كل دفعاته بالشيكات على البنوك ومثل هذه الحوالات كانت ايضا بسجلماسة حيث كانت التجارة مزدهرة مع السودان والبصرة حسب ابن حوقل الذي حدثنا (المسالك والممالك ص 70) عن العوائد التجارية بهذه المدينة (عاصمة الصحراء المؤسسة عام 140 هـ) فلاحظ انه « راى صكا فيه ذكر حق على رجل من اهل سجلماسة لرجل آخر من اهلها بأربعين الف دينار » كما رأى ذلك بخراسان والعراق (ولعله يعني البصرة) وكان التجار المسيحيون الواردون من الاندلس وتلمسان يمرون بسجلماسة الذي اكد ياقوت الحموي فى معجمه ان مصانع نسيجها بذت فى جودة الانتاج مصانع مصر كما لاحظ ابن خرداذبة الجغرافي العربي فى القرن الثالث الهجري أن التجار الصقالبة كانوا يمرون فى وجهتم نحو لشرق عن طريق سوس الادنى اي طنجة ومنها الى افريقيا ومصر وتشمل مقاطعة سوس الادنى بالاضافة الى فاس مدينة البصرة المغربية بحيث يمكن القول بأن هذا المركز كان منطلقا للقوافل نحو البصرة الشرقية سواء عبر الصراء الجنوبية أم خلال بلاد الكنانة ولعله ليس من العبث ان تحمل مدن مغربية واندلسية على طول الطريق الغربي اسماء مدن أخرى تتلاحق فى الشق الشرقي لنفس الطريق فبالاضافة الى البصرة وسوس الاهواز وحمص (فى كل من فاس الجديد والاندلس) توجد فى قلب الاطلس مدينة القاهرة وفى قلب الريف اقليم فشتالة المعروف بالشام الصغيرة كما توجد فى الاندلس مدينة تدمير (Todmir)
Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 848
المتساوقة فى اسمها مع تدمر السورية (Taomor Palmyre) التي كانت منذ العصر الروماني من ابرز المراكز التجارية فى هذه الشبكة وكانت اشهر المدن والموانىء فى الخليج آنذاك ابولو جوس اي الأبلة (Abolla) التي ينتمي اليها أبو عبد الله الابلى شيخ ابن خلدون وقد ظلت الأبلة المخرج الرئيسي على الخليج من اجل التجارة الفارسية فى النقطة التي تلتقي عندها الطرق العظيمة من فارس وجزيرة العرب على ضفتي دجلة وقد لفت ابن خرداذبة الانتباه الى المكانة الهامة التي احتلتها الأبلة فى التجارة بين الشرق والغرب حيث كان التجار اليهود يقلعون من فرنسا فى البحر العربي (أي المتوسط) ويتجهون نحو انطاكيا ومنها الى بغداد ثم الأبلة فالسند والهند والصين وقد ظلت هذه المدينة بارزة على المسرح العالمي مرتبطة بالبصرة فى النشاطات البحرية الخاصة بالخليج لعدة قرون واذا كانت مدينة البصرة

الحديثة قد امتصت الأبلة فان ذلك لم يتم الا بعد القرن التاسع الهجري وهنا يمكن ان نتساءل عن الدور الذي قام به الخوارج لدعم الروابط السياسية بين الخليج والمغرب منذ صدر الاسلام ، فالأزارقة قد ثاروا فى الاهواز والبصرة حيث استباحوا دمـــاء واعـــراض المسلمين الخارجين عن نطاق فكرتهم ولكنهم ما لبثوا ان انهزموا لتطرفهم فخلفهم الصفريون القائلون بضرورة التعايش مع غير الخوارج وقد نفذ هؤلاء الصفرية فى المغرب الى قلوب البربر الذين شقـــوا الطاعـــة على الخليفة هشام واججوا نار الثورة عام 121 هـ باقليم طنجة وتسربت فلولهم الى الصحراء فأسست (عـــام 140 هـ) مدينة سجلماسة التي اصبحت حاضرة بني مدرار الى منتصف القرن الرابع الهجري وهو التاريخ الذي تهدمت فيه مدينة البصرة المغربية وانهار الحكم الخارجي وكذلك الشيعي فى المغرب بانهزام جوهـــر الصقلي الذي نقل عدته الى مصر حيث بنى القاهرة وليس من قبيل الصدفة ان يجعل الخوارج من البصرة موئلا لهم ومركزا ينافسون به الكوفة التي عدت قاعدة من قواعد الشيعة فى نفس الوقت الذي جعلوا مـــن سجلماسة فى قلب الصحراء المغربية حاضرة لامارة خارجية وحلقة اساسية فى سلسلة المراحل التـــي تأوى اليها القوافل التجارية كما انه ليس من قبيـــل الصدف ان تتقلص الحركة التجاريـــة بين الخليـــج والمغرب فى القرن الرابع الهجري فى نفس الوقـــت الذي تقلص فيه نفوذ الخوارج .

ومنذ ان استوثقت روابط المغرب بالصحراء فى القرن الخامس بدات اسواق النخاسة تتفق فى خفاء وكذلك كان الامر عندما شكل عنصر الزنج فى الدور العباسي الثاني (ما بين 233 هـ و 468 هـ أي 847 م 1075 م) طبقة متميزة فى المجتمع العربي وخاصة فى شمال الخليج فعززوا حركة الـــرق والنخاســـة يساعدهم امتداد النفوذ الاسلامي الى افريقيـــا (أي تونس وجزء من الجزائر) وازدهار الملاحة العربيـــة حيث ما فتىء الأيوليون أن سيطروا فى القرن التالي على الشق الشرقي لبحر العرب أي البحر الابيـــض المتوسط يساندهم فى الشق الغربي الموحـــدون الذين كان لهم اسطول من اربعمائة قطعة اعتبره المؤرخ الفرنسي اندري جوليان أعظم اسطـــول فى البحـــر المتوسط ولم يقبض العرب على زمام البحر الاحمر المتوسط فحسب بل أصبحوا سادة المحيط الهندي لا سيما بعد ان اكتشفوا الرياح الموسمية وسخروها لخدمتهم وانشأوا الموانىء والمنائر التي تشتعل فيها النيران ليلا لتهتدي بها السفن وعززوا المرافىء بمراكز الحاميات حفاظا عليها من القرصنة وغارات البدو ، وقد اشار ابن مرزوف فى « المسند الصحيح الحســـن » (هسبريس (Hesperis) ج 5 عام 1925) الى وجود « مدارس ومناظر على طول الساحل بين اسفي (فى المحيط الاطلنطيقي) وجزائر بني مزغانة (عاصمـــة الجزائر الحالية) تتخابر فيما بينها باشعال النيران فى اعلاها وفى كل محرس رجال مرتبون ونظار وطلاع يكتشفون البحر فلا تظهر فيه قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين والتنبير يبدو فى المحارس للتحذير » .

وقد اشار البكري (افريقيـــة والمغـــرب فى المسالك ص 35 و 48) الى محارس سوسة والمنستير وفى هذا العصر استعيض عن الموالي الصقالبة الذين نفقت نخاستهم منذ القرن الهجري واقترن اسمهم بها حتى صار الاوربيون يطلقون اسم الصقالبة (Slaves) على العبيد (Esclaves) (1) نقول استعيض عنهـــم بالزنوج الذين اصبح التجار المسلمون يأتون بأعداد ضخمة منهم وقد تجلت هذه الظاهرة بالقسم الشرقي من المغرب العربي اي فى تونس خاصة منذ استوطنت جماعات من الباطنيين والزيديين افريقيـــة فرارا من الاضطهاد العباسي ثم استفحل ذلـــك عندمـــا زج الفاطميون ــ اقتصاصا من بني زيري ــ بمائتي الف قرمطي من بني هلال وبني سليم الذين نشروا الدمار فى هذه البلاد مما حدا ابن خلدون الى التنكر فى القرن الثامن للعرب الذين لم يكن يقصد بهم سوى الاعراب وخاصة هؤلاء ولم تدخل الى المغرب من هؤلاء سوى فلول منتقاة كان الزمن قد عفى على عنجيتهم البدوية ونزعتهم القرمطية فكان لهم ضلع فى تعريب المغرب وشنقيط والواقعانالباطنيين من القرامطةاو اليزيديين قد عاثوا فسادا فى افريقية وجاس المغامرون منهم فى مجاهل الصحراء الافريقية لاصطياد الزنوج فى الادغال الكثيفة وفى هذا العصر حادت طريق البر فى شمال افريقيا عن خطها العادي لتتصل بالبصرة وبغـــداد وسوريا ومصر بواسطة الخط الساحلي على طول بحر

(1) صقلب هي أرض بالاندلس وصقلية حسب ياقوت (معجم البلدان ج 5 ص 372) ولعل قسما مـــن الصقالبة ينسب اليها لا الى جنس الســـلاف

العرب على أن حركة القرامطة الابادية قد بدأت منذ سنة 315 هـ / 927 م حيث استولوا على البصرة وظلوا يعرقلون سير القوافل التجارية أو قوافل الحجيج لاعتقادهم ان الحج من شعائر الجاهلية بل من قبيل عبادة الاصنام ولذلك اجهز القرامطة على من سموهم بالكفار وعبدة الاحجار بمكة فردموا بئر زمزم وكدسوا جثث القتلى فى المسجد الحرام واندفعوا يخربون جوانبه بحرابهم وخيولهم فاحتملوا معهم الحجر الاسود الى الاحساء حيث بقي ملقى الى عام 339 هـ / 00 9م .

وبنو هذيل هؤلاء الذين حاولوا فى الخليج الوقوف فى وجه القرامطة منتهكي حرمة البيت هم الذين أشرنا الى اعتدالهم عندما هاجروا الى المغرب الاقصى فى القرن السادس الهجري بدعوة من المنصور الموحدي بطل معركة الأرك فى الاندلس .

ومهما يكن فان هذه الاحداث قامت حجر عثرة فى طريق المبادلات التجارية حيث ان الحشاشين من الاسماعيلية الباطنية امتدت جذورهم فى شرقي الخليج حتى خلال الحكم الايوبي الى الوقت الذي زحف المغول على فارس حوالي 659 هـ / 1260 م .

واذا كانت التجارة قد تقلصت فى هذه الفترة بين المغرب والخليج خاصة وبين الشرق والغرب عامة فان ذلك لم يكن يرجع بالنسبة للمغرب الى وجود هذه الطوائف الهدامة بل لأن هؤلاء كانوا منبثين على طول مراحل القوافل شرقا ينهبون ويقتلون ويدمرون ومع ذلك فان نفس العوامل كانت تدعم حركة النخاسة والمبادلات لا سيما بعد أن احتل ملوك المغرب السعديون السودان أوائل القرن العاشر الهجري ثم العلويون بعدهم عندما توغل زعيمهم السلطان المولى اسماعيل فى قلب الصحاري الى حدود غينيا وشكل جيشا من العبيد (أي الزنوج) ما لبث أن أعاد تاريخ ثورات الزنج بالشرق وخاصة بالخليج الا أن عنصرا جديدا ظهر منذ أوائل القرن السادس عشر حيث حاول البرتغاليون الاستعماريون سد البحر الاحمر فى وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربي وكانوا قد انشأوا عام 1482 م فى ساحل الذهب أول مستعمرة لهم فى افريقيا وهنا يبرز دور المغرب فى انقاذ الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففى عام 1540 م دخل سليمان القانوني الى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين فى معركة ميناء « مصوع » على الساحل الافريقي من البحر الاحمر حيث اندحر البرتغاليون أمام الاسطول العثماني غير انهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية فى الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا اليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب فى الاندلس تقتيلا وتهجيرا ولكن رد فعل المغرب الاقصى كان عنيفا ، ففى عام 986 هـ (1578 م) هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان (Don Sébastien) وبلغ جند البرتغال آنذاك مائة وخمسة وعشرين الفا وقطع أسطولهم الرابضة فى أصيلا والعرائش 847 وزحف الجيش البرتغالي الى وادي المخازن فى متم جمادى الاولى من نفس السنة أي رابع غشت عام 1578 م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الاسلامي شرقا وغربا باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب الفاتكان وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة بقيادة البابا اقتصاصا من الوجود العربي بالاندلس وتعويضا للمسيحية عن فقدان روديس وجزء من هنغاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر مرسوم تقسيم العالم الى مناطق نفوذ بين اسبانيا والبرتغال عام 1494 غداة الكشف عن أمريكا ولكن أبى الله الا أن يهزم هؤلاء الاحزاب وينصر عباده المؤمنين فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر اسطوله فكانت هذه المعركة ـ كما يقول المؤرخ الفرنسي هنري طيراس ـ المعركة الفاصلة فى تاريخ الصراع بين المسيحيين والاسلام أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن الدون سبستيان مات بدون وارث فخلفه عمه فيليب الثاني ملك اسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال أزيد من ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للاسبان ولذلك تم خلال هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن منطقة البحرين التي احتلوها قرنا كاملا عام 1622 م اي بعد معركة وادي المخازن بأربع واربعين سنة ، كما طرد البرتغاليون عن مجموع مستعمراتهم على الشط العربي عام 1649 م الموافق 1059 هـ وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال الذين لطخوا تاريخ العروبة والاسلام طوال اربعة قرون .

واذا كان الخليج العربي قد غدا منذ القرن الثالث البحري المرحلة الرئيسية فى تاريخ الملاحة العربية تمر به المراكب فى ذهابها وايابها بين اوربا والشرق الاقصى عبر البحر الابيض المتوسط فان كلا من الخليج والبحر المتوسط كانا عالة الواحد على الآخر واستمر هذا التساوق الى القرن العاشر

الهجري عندما كان مضيق جبل طارق هو الممر الفاصل بين المحيط الاطلنطكي والمتوسط فكانت مدينة سبتة منطلق المراكب التجارية الى ديار الهند وظلت كذلك حتى بعد سقوط القسطنطينية في يد السلطان العثماني محمد الثاني عام 857 هـ 1453 م وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في الحرب الصليبية الثانية التي أججت أوربا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنطلق في حلقات أخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي ، غير أن حدثا جديدا كلل انبثاق العصر الحديث وانقضاء القرون الوسطى وهو اكتشاف امريكا عام 898 هـ / 1492 م من طرف كريستوف كولمبس ذلك الاكتشاف الذي يرجع الفضل فيه الى رجل من ابناء راس الخيمة على الشاطىء الغربي للخليج العربي ، وهذا الرجل هو ابن ماجد احمد السعدي اسد البحر ابن ابى الركائب الذي ساهم على غير قصد منه في تحطيم سيادة العرب على المحيط حين استعان به فاسكو دوغاما قائد الاسطول البرتغالي عام 1498 م لقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط الهندي وراس الخيمة هي احدى الامارات السبع التي ظلت الى منتصف القرن الثامن عشر عاصمة لجميع سواحل عمان وقد اقضت مضاجع اساطيل شركة الهند الشرقية في الخليجين والمحيط .

والغريب ان اكتشاف امريكا الذي نسبه الكثير من المؤرخين الى العرب يرجع الفضل فيه بالذات اما الى رجال الخليج قبل الميلاد أو الى عالم من علماء الاندلس والمغرب ، فقد تأكد ان الفنيقيين المنتسبين اصلا الى الخليج قاموا بدورة حول العالم طوال ثلاث سنوات طافوا خلالها حول افريقيا ووصلوا الى البرازيل واسسوا مملكة هناك ما زالت معالمها قائمة الى الآن ومن جملتها الحجارة المكتوبة باللغة البونيقة اي لهجة افريقيا الشمالية مما يدل ـ اذا صحت هذه الرواية ـ على أن القرطجنيين ـ وهم عرب فينيقيون تأقلموا في المغرب ـ هم الذين اسهموا مع المغاربة في اكتشاف امريكا على أن كريستوف كولومبس نفسه يعترف كما اورد ذلك المؤرخ الفرنسي رونان في كتابه « ابن رشد ومذهبه (Averroès et l'Averroïsme) بأن كولومبس ترك رسالة بعد وفاته يقر فيها بأن الذي أوعز اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هو ابن رشد المغربي في كتابه « الكليات » في الطب على أن مجلة « نيوزويك » الامريكية اكدت في عددها الصادر في ابريل 1960 (راجع الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص 13) ان الوثائق التي عثر عليها تثبت ان امريكا كانت معروفة للعرب « الذين قاموا ـ حسب تعبيره ـ قبل سنة 1100 م على الطرف الغربي للعالم الاسلامي ومن ميناء الدار البيضاء على التحديد ورسوا في عدة مواضع على الساحل الامريكي » وقد ايد هذه النظرية (1) الدكتور لين شينج بائج استاذ التاريخ واللغة الصينية بجامعة هارفارد كما أيدها الدكتور ريتشارد رودولف رئيس المؤتمر الذي عقدته الجمعية الشرقية الامريكية . وقد كان ابن عربي الحاتمي يرى أن وراء المحيط الاطلنطيقي امما وعمرانا وقد عاش قبل كولومبس بثلاثة قرون وتحدث محمود الاصفهاني (المتوفى عام 749 هـ) قبل كولومبس بمائة وخمسين سنة عن احتمال وجود ارض وراء المحيط كما ذكر ابن الوردي في جغرافيته أنه يوجد وراء الجزر الخالدات (اي كناريا) جزائر وصفها وصفا يكاد ينطبق على امريكا وقد عاش ابن الوردي قبل كولومبس بأكثر من مائة سنة (عبد القادر المغربي ـ محاضرات مجمع دمشق ج 2 ص 233) .

وهنا بدأت في المغرب والخليج فترة جديدة من الصراع تجلى في ظهور الانجليز على مسرح التجارة الخارجية حيث تنفسوا الصعداء من اندحار البرتغال فأقاموا في الشرق الشركة الهندية ، وفي المغرب شركة بربريا (Barbary Company) وبينما ارادوا ان يركزوا في الخليج وجودهم بملء ما تركه البرتغاليون من فراغ اذا بهم يكتفون في المغرب بالعمل على حماية صفاتهم التجارية من القرصنة وتأمين البحر المتوسط من غازات المراكب والسفن المغربية مما ادى ببعض الدول الكبرى كالدنمارك (2) والسويد وبعض المرافىء الحرة كهامبورغ وبريم بألمانيا الى دفع اتاوة سنوية خاصة للمغرب اعتصاما باسطوله من لصوصية البحر. وكان قراصنة المغرب قد مدوا شبكة غاراتهم الى المحيط الاطلنطيقي فواجهوا الانجليز في عقر ديارهم وقلصوا من جهة ثانية ضغط هؤلاء على الشرق العربي وخاصة الخليج لاضطرارهم الى الاحتفاظ بجزء من اسطولهم لحماية سواحل الجزر البريطانية الا ان الانجليز فوجئوا هنا وهناك في آن واحد على طول

(1) راجع الخليج العربي ـ قدرى قلعجي ص 56 .
(2) كانت الدنمارك تدفع سنويا للمغرب 51 000 ويكسدال اي ازيد من ربع مليون فرنك ذهبي .

طريق الهند المارة من جبل طارق بمزاحم جديد هو هولندا قامت هي الاخرى بتحدي القرار البابوي الهادف الى اقتسام العالم بين زعيمتي الكاثوليكية آنذاك اسبانيا والبرتغال وكان لقيام الحركة البروتستانية ضلع في دعم هذا الاتجاه فانشأ الهولنديون عام 1592 م شركة للتجارة مع الهند واتجه اسطول هولندي بين 1598 و 1601 م (موافق 1007 و 1010 هـ) الى المحيط الهندي عن طريق الممر الجديد براس الرجاء الصالح للاتجار والغزو معا بينما عقدوا المغرب الاقصى معاهدة عام 1610 م للحصول على رسوم الاسبقية في التجارة الخارجية ، ولم يكد يهل عام 1640 م (1050 هـ) حتى احتل الهولنديون مكان الصدارة في الخليج العربي الا أن صراعهم ضد الانجليز ما فتىء ان استفحل بسبب تدخل القراصنة المغاربة الذين كانوا يعملون بغير قصد منهم على التخفيف من ضغط الفريقين على الخليج العربي ، فقد كان كل من الانجليز والهولنديين يناصب العداء للاسبان عدوهم المشترك سياسيا ودينيا واقتصاديا الا أن الهولنديين ظلوا يمدون سفن القرصنة المغربية بالعتاد ومواد السفانة وقطع الغيار بينما طفق الانجليز يواصلون حربا شعواء ضد هؤلاء القراصنة حتى اندلعت الحرب بين الطرفين عام 1652 م (1063 هـ) طوال عامين واتسعت شبكتها الى ما وراء البحار فاشتبك الاسطولان الانجليزي والهولندي في مياه الهند المؤدية الى الخليج ، والواقع ان القراصنة المغاربة قلصوا من نشاط الانجليز فتعطلت تجارتهم في الشرق في نفس الوقت الذي ادى حياد القراصنة بهولندا الى نوع من الحصانة تمتع به اسطولها في البحر المتوسط مما فسح لها مجال الضغط على الخليج ،

وقد احتفظ المغرب الاقصى باستقلاله في هذه الفترات بل انه احتفظ باستقلاله خلال الف عام (الى عام 1912 م) فكان القطر العربي الاسلامي الوحيد الذي ظل في منأى عن سيطرة الخلافة العثمانية والذي عرف كيف يستغل انتصاره في معركة وادي المخازن حيث اصبحت دول اوربا تخطب وده لأن هزيمة دولة استعمارية كالدولة البرتغالية لم يكن بالامر الهين ولا بالشيء الذي يمر دون أن يثير اعجاب العالم مما حدا الانجليز الى مفاتحة المغرب في القيام بعمل موحد لخلق كوندومنيوم مشترك في الهند وفي عام 1600 م وجه المنصور الى اليزابيث ملكة انجلترا سفارة للقيام بمأمورية سرية من أجل تحقيق التحالف الانجليزي ضد اسبانيا وقد اقترحت ملكة انجلترا على السلطان اكتساح الهند بدل اسبانيا نظرا لكون فيليب الثاني يستمد موارده من الهند ، وقد شاطرها السلطان هذا الراي مطالبا لتمويل المشروع بمائة الف جنيه استرليني وانشغل المغرب في لم شتاته وتطوير صناعته فزرع قصب السكر (1) وفتح مصانع لتكريره فتنافس البلاطان الانجليزي والفرنسي على اقتنائه وصدره المغرب الى الشرق في جملة ما صدر من جلود وزيوت ومعادن (من نحاس ورصاص وحديد وقصدير بالاضافة الى ملح البارود والكبريت) واصبح للدينار المغربي نفاق في السوق العالمية رغم انخفاض وزنه الذهبي الى 3ر548 غرام وتهافت المضاربون من الانجليز على هذه العملية القوية يستعيضون بها عما خسروه من صفقات في الخليج (2) بل اصبح المغرب يدلي بدلوه في توجيه السياسة الاوربية وفي فتح قروض (ناب منها دولة هولندا مليون ونصف مليون دينار) واكتساح اوربا حيث وجه عملاء للدعاية

---

(1) كان السكر يصنع في شقي العروبة بافريقيا ومصر (الخطط للمقريزي ج 1 ص 203) وافريقية وخاصة في قابس وحلولا (المسالك للبكري ـ جزء افريقية والمغرب ص 17 و 32) وكانت معاصر السكر في المغرب تدر سنويا على المنصور السعدي أزيد من ستمائة الف أوقية ذهبية (وزن الأوقية 30 غرام تقريبا) وكان بالمغرب مناجم فضة وذهب (البكري) خاصة قرب سجلماسة (كتاب الاستبصار) والنحاس الخالص الذي لا يعدله غيره شرقا وغربا (الادريسي) بالاضافة الى القطن الذي كان يزرع بتادلا (وصف افريقيا للادريسي ص 50) وتطورت على يد الانجليز عام 1864 م في منطقة مدينة الجديدة صناعة قطن حريري شبيه بالقطن الامريكي كان نافقا في اوربا وذلك بالاضافة الى مصانع الطلس (Satin) ايام السعديين .

(2) كانت تنبكتو تؤدي الى المغرب جزية سنوية قدرها ستون قنطارا من التبر اي الذهب غير المسبوك مما جعل من المنصور الذهبي اعظم امير في العالم من حيث العملة وكان الانجليز يهربون الذهب في صناديق السكر المغربي .

لمنتجاته وسوائمه ومعادنه عاملا على حماية الصناعة الوطنية من المنزاحمة الاجنبية .

غير أن منافسا جديدا ما لبث أن برز هو الاستعمار الفرنسي الذي اضطر عدوتي الامس (هولندا وانجلترا) الى التحالف لدرء خطره الداهم ولكن ذلك لم يمنع فرنسا من تهديد مصالح الانجليز فى الخليج ، واستطاع نابليون أن يطأ تراب النيل فاتحا وان يهدد المولى سليمان ملك المغرب بالانقضاض عليه فى مائة الف من جنده اذا هو لم ينضم الى كتلة الحصار البري (Bloc continental) المضروب على الانجليز وكان اسطول القراصنة المغاربة يقض مضاجع الاوربيين فى المتوسط وفى عرض المحيط الاطلنطيقي الذي نقلوا اليه عملياتهم بعد أن أصبح طريقا جديدا الى الخليج ولم تكن علائق فرنسا مع المغرب مستوسقة بسبب ذلك الصراع البحري الذي جعل المغرب ينهج سياسة التدافع بين الدول الاوربية يثير هذه ضد تلك ويحالف جانبا للتملص من ضغط جانب آخر .

والواقع ان انقسام المغرب الى اقاليم مستقلة خلال القرن السابع عشر (قبيل توحيد المغرب على يد الدولة العلوية) هو نفسه الذي ترك ثغرات تسرب منها المستعمرون مثل ما وقع فى امارات الخليج بالنسبة للهولنديين والانجليز والفرنسيين .

ففي الوقت الذي اتسع نطاق التجارة الانجليزية فى الشرق وأوربا الشرقية أي القرن السادس عشر تزايد ايضا مع المغرب وحتى غينيا بافريقيا ، غير ان الفرنسيين كانوا قد بذوا حتى الهولنديين فى مبادلاتهم مع المغرب حيث دخلت فى عام واحد (1698 م) لمرسى سلا اربعون سفينة تجارية وتأسست بعد ذلك بسنتين شركة تجارية فرنسية اضطلعت باصدار المنتجات المغربية وقد بلغ عدد السفارات المغربية الى فرنسا نحوا من سبع وعشرين سفارة ، أولاها عام 1576 م والاخيرة عام 1909 اي قبيل الحماية بثلاث سنوات

كانت حجرة بادس تعتبر ميناء فاس فى البحر الابيض المتوسط ، وكان الاسطول التجاري لبعض الدول يرابط فيها الا ان القراصنة الجزائريين اتخذوها عام 1564 م (971 هـ) مقرا للهجوم على سواحل الاندلس واقتناص السفن المتوجهة للهند والخليج وكان قراصنة تطوان والعرائش يتعاونون معهم لأن القرصنة الجهادية كانت عبارة عن رد فعل المسلمين على ما لحق اخوانهم فى الاندلس من نفي وتنكيل وتقتيل وقد تحالف قراصنة سلا (وهم خليط من العرب والمسلمين والاعلاج من كافة سواحل المتوسط) مع الانجليز لمساعدتهم على احتلال جبل طارق وكانت معظم الدول الاسلامية المتوسطية تساند هذه القرصنة لا لكونها انطلاقة مشروعة ضد العدوان الايبري فحسب بل ايضا لأنها أعادت الى العرب سيادة المتوسط والمحيط وواجهت القرصنة المسيحية ونشرت الأمن والطمانينة فى البحار بالنسبة للسفن العربية والحليفة ، وكان معظم البوارج الحربية فى أوائل العهد العلوي (أي فى نهاية القرن السابع عشر) قد اقتنصها القرصان من الاسطول الفرنسي أو الهولندي أو الانجليزي واهمها تسع عشرة سفينة انجليزية واربع فرنسية مما يدل على هيمنة أسطول القرصان الجهادي، وقد بلغ عدد القطع البحرية الخمسين فى عهد المولى محمد بن عبد الله وسبعا واربعين أيام المولى سليمان ولكن المغرب ظل مع ذاك ينعم فى الحقل الدولي بمكانة ملحوظة مما حدا روسيا الى طلب انضمامه فى حرب القرم (1854 م – 1856 م) الى كتلة المحايدين واستدراجه للدخول الى الحلف الروسي الامريكي ضد تركيا وفرنسا وانجلترا ، وكان المغرب يشعر بأن انغماره فى هذا الحلف يعزز مركزه ضد الفرنسيين والانجليز الذين بدأوا يتنافسون لبسط نفوذهم على المغرب لا سيما بعد ما احتلت فرنسا الجزائر واجبرت المغرب على امضاء معاهدة لالة مغنية عام 1845 ولكن المغرب راعى ذمام الاسلام فلم يجرؤ على الدخول فى حلف موجه ضد تركيا المسلمية رغم كونها كانت حجرة عثرة فى سبيل وصل علاقاته مع الشرق العربي وخاصة الخليج منذ أن سيطر العثمانيون عليهما فى منتصف القرن الخامس عشر ، وتمتاز هذه الصلات العريقة بين الخليج العربي والمغرب الاقصي وهما شقان متنائيان للوطن العربي الممتد الى المحيط – بظاهرة هي اصالة معظم مصطلحاتهما الدارجة بالنسبة للفصحى ! ولا شك أن هذه الوصلة التي استوثقت عبر العصور راجعة بالاضافة الى العوامل التي اشرنا اليها كوحدة الاصل الكنعاني والتأثير الحميري المشترك الى وحدة المنبع المالكي فى مفرداته الفقهية ومصادر اقتباسه الحديثة والقرآنية ، ولا شك أن لرواج المصطلحات المالكية فى جميع المناحي الاجتماعية خاصة فى ابي ظبي اثرا قويا فى تكييف هذا التراث الوحدوي ، كما أن احتكاك التجار المغاربة بزملائهم الخليجيين قد خلف مجموعة من الالفاظ الدارجة اشرنا الى بعضها فى معجم خاص حاولنا فيه ابراز مظاهر الوحدة فى عاميتي المغرب والخليج ونشر فى مجلة اللسان العربي (عدد 5 –

1387 هـ / 1967 م) . وهذه الكلمات موحدة المعنى في الخليج والشام والمغرب أي في المراكز التي ورثت لغة كنعان العربية وتأثرت بلغة القرطاجنيين أي اللغة البونيقية ، وهاكم جملة منها : البايت (للباقي من طعام الامس) والبحرة أو البحيرة (للمستنقع) والبراحة (للبراح) والبساسة (للبساس) وبغى (يبغي (بمعنى أراد) والبلدة والبلع (لمنزلتي من منازل القمر) والبلدية (لاحدى دوائر الحكومة) وبلم فمه (أي أغلقه) والتحسونة أو الحسانة (للحلاقة) والجنطة أو الشنطة (للحقيبة) والحارة (للمحلة والحي) وحب (بمعنى قبل) وحويل أو حولي (أي ما دار عليه الحول والخاطر (بمعنى الضيف الطارق) والختمة (بمعنى اتمام القرآن) والخنفرة (أي الانف الكبير) والدرويش (بمعنى الفقير) والربعة (أو الربيعة لصندوق ايداع أجزاء القرآن) والردحة (بمعنى الرقص) والشاهد (بمعنى السبابة من الاصابع) والصيني (أي اناء النحاس أو الخزف) والطنا (بمعنى الاغاظة تقول أطنانسي أي أغاظني) والعرضة (أي حفلة الزواج) والعزيمة (أي الدعوة الى مأدبة) والاعشار (بمعنى الزكوات) والعمارية (أي الحفة) والعيال (بمعنى الاولاد الصغار) والغربي (أي الهواء يهب من جهة الغرب) والفكغ أو الفقاع (أي الكمأة) والكحة (بمعنى السعال) وكخ (للنهي عن الاقتراب من الشيء القذر) والمرفاعة أو المرفع (للرف المعلق) والمشموم (للباقة من الرياحين) والمطهر (للمرحاض) والمكبة أو المكب (لغطاء صحن الطعام) ، وهنالك اسماء أعطيت لمدن ومناطق شتى تقع في امتداد طرق القوافل منها « الجبل الاخضر » في المغرب وهو ينبثق كجزيرة في قلب الصحراء وكذلك « الجبل الاخضر » الذي يقوم على محاذاة ساحل عمان وسط كثبان الرمال من الصحراء الحمراء الخليجية .

وتبرز امارة ابي ظبي في هذه المجموعة الخليجية كمرحلة من مراحل القوافل المغربية نظرا لواحاتها الثرية واتصالها بالبر بطريق ضيق تقع على حدود المملكة العربية السعودية ونظرا لما كان يسودها من امن وهدوء حتى استحق ساحلها وهو ساحل عمان أي يسمى ساحل الهدنة .

تلك مظاهر للوحدة الاصيلة المتغلغلة بين الخليج العربي والمغرب العربي تبرز امتداد الوطن العربي من المحيط الهندي الى المحيط الاطلنطيقي ، وقد عادت هذه الوحدة اليوم الى عنفوان عزها بعد انهيار الاستعمار وانكشاف الستر الكثيفة التي قامت حائلا اصطناعيا بين اخوان طوال عدة قرون ولكننا عند اللقاء من جديد بعد طول الفرقة نشعر وكأننا لم نفترق لأن خلجات قلوبنا متساوقة ولأن لنا في مقومات تراثنا العربي الاسلامي سندا قويا لم تفصمه نوائب الدهر ولم تحل عراه الوثقى مكائد المستعمرين .

صور لشاعر العروبة عزيز أباظة باشا

في قمة الادب العربي المعاصر شعراء لا يزيدون على عدد اصابع الكف هم بأية ذخر ممن لا يجود بهم الدهر الا نادرا ، ولعل احدا لا يخالف في كون عزيز اباظة باشا واحدا من هؤلاء العباقرة ان لم يكن على راسهم .

وقصيدته التالية من آخر ما نظم وهو يصطاف في سويسرة وكأنه يرمز الى ما عانته اللغة العربية في مختلف اطوارها من ازدهار تبعه نضال في سبيل الحياة ابان القرون الوسطى ثم من محاولة لنهضة حديثة بعد ما خشينا عليها الغروب نهائيا وفي ندائه الليل صرخة امل لا ياس فيها ولا قنوط .

الشعر الرمزي يفهمه كل قارىء على مقدار وقد يتضارب تفسير مع تفسير آخر ، ومثل هذه القصيدة قد تغني وينطلق فيها صوت المنشد ينادي الليل فهل يستجير به أم يقفه عن طيرانه ودورانه ليصغي الى شكواه كما قال شوقي في عبده الحمولي :

يسمع الليل منه في الفجر يا ليل فيصغي مستمهلا في قراره

ممدوح حقي

ظلال

تعالي الى الوادي الظليل نلذ به ونطرح اسانا في خمائله الخضر
تعالي فذا كافوره شاقه الهوى فمال على الصفصاف في ذهب العصر
اذا سرت الارواح أمسك بعضه بأعطاف بعض واهتدى الثغر للثغر
ورفه صدر عند صدر همومه وشف الضنى خصرا فذاب على خصر
بربك غضي الطرف عنها لعلها تلذ بهذا الوصل في غفرة الدهر

عواصف

الا ما لخفاق النسيم تبدلت ... خلائقه بعد السماحة واليسر
تعالي الى الأيك الرؤوم فنتقي ... ضفيائه انواء عاصفة تسري
الا فانظري الأشجار كيف تأودت ... فضجت بشكواها الى دامع الزهر
وهذا الغدير الصفو قد كان آمنا ... فما باله طافت به رجفة الذعر
بكى شطه الحالي وعربد ماؤه ... لكثرة ما لاقى من المد والجزر
كأن اصطخاب الموج بين ضفافه ... لواعج اشواق تدافعن في صدري

غروب

تعالي فهذا موكب الشمس غاربا ... يودع هذا الكون بالأدمع الحمر
بدت في حواشي الصبح لماحة السنى ... وزالت كما زال الهوى في زها العمر
بنفسي أساها وهي تمضي حزينة ... الى سفر ما ينقضي أبد الدهر
أصفرة وجد تلك ؟ لا بل هو الردى ... تهادى اليها في غلائله الصفر
هوت فاحتواها البحر نشوان ثائرا ... وغنى لها لحن الردى زبد البحر

سحر

تعالي فان الليل حسن وهذه ... مراشفه ظمأي الى قبل البدر
ويا ليل ستر الله انت وستره ... ومهد الهوى يا ليل انت فهل تدري
ويا ليل هذي منية النفس اسمحت ... فهات الحلال العذب من سحرك الطهر
ويا ليل نادمنا . ويا ليل غننا ... بأكرم الحان الخنود من الشعر
وقصي علينا قصة الدهر وأروها ... وهل هي غير الحب والوصل والهجر
وبتنا نشاوى ينفح المسك ثغرها ... وتسكب عيناها فنونا من الخمر
وقمنا نزيد الله حمدا وطاعة ... ونزجي له التسبيح في سجدة الفجر

الوديعة

إلى مجلة «اللسان العربي»

يوسف الغريب
أستاذ اللغة العربية في جامعة كوردوبا
(أرخنتينا)

رب فكر يحول الخمر سحرا ... في ضمير العنقود عبر الليالي
والحجى ، والحياة ، والعقل ... والسكرة الكبرى ودفق الخيال
كل شيء يدوم في الارض حتما ... فهو باق على مدى الاجيال
لا فناء ، فما العناصر الا ... خالدات ، لا في طريق الزوال
مادة اثر مادة ، فبقاء ... فحلول ، فصعدة باعتدال
جوهر الكون لم يكن غير سر ... غامض ، دائم ، غير بالي
كنت يا صاح صورة من ضباب ... فتحولت حفنة من رمال
ثم في الحقل نبتة من قصيل ... تعبت من كثرة التجوال
(حيوان مستحدث من جماد) ... لم يكن واعيا او مبال
ثم جئت ، وهكذا جئت ، كامل — الشكل بقدرة المتعال

صورة من هيولى ، ونفحة من جلال الله ، وذرة من كمال
انت ، انت هنا ، وديعة الله ، فكن حريصا عليها ووال

كل ما في الحياة والكون جمعا ... هو في الاصل من رفيع عال
كل هذا ، يا صاح ، اعطا له الله — من جوده المفضال
بعد هذا وذاك ، قل لي لماذا ... لم تزل عامها اسير الضلال
أين منك البقاء والفناء والتجلي — وروعة الاحوال
والوديعة التي ائتمنت عليها ... لم تزل فيك درة من غوالي
هي انت ، فكن امينا عليها ... لا تبعها ببدرة من مال

نشاط
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
والمكتب الدائم لتنسيق التعريب

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- رحلة وفد المكتب الدائم فى البلاد العربية
- اللغة العربية فى المؤتمر الافريقي التاسع
- اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر فى نشاطها الغامر
- نحو استراتيجية جديدة للتربية فى البلاد العربية
- بين المجلة وقرائها
- حول ثورية التعريب

للاستاذ سعيد الديوه جي

- عن التعريب وقضاياه

لقاء مع الدكتور احمد سعيدان مندوب الاردن فى المكتب الدائم لتنسيق التعريب

- اللغة العربية الفصحى والعامية

للاستاذ فولكهارد فيندور

- معجم الطحانة والخبازة والفرانة

للدكتور سامي الدهان

- راي .. نحو تفصيح العامية فى الوطن العربي

للاستاذ عمر الطاهر

- تعليق على موضوع : التطور اللغوي ونشوء اللغة
- عبنة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون

للاستاذ محمد قلبي

- رجال مجهولون وراء مشروع عظيم
- تعقيب على نسبة ابيات

للاستاذ حبيب علي الراوي

- تراجم الكتاب والباحثين فى مجلة اللسان العربي

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

◆ وكالة متخصصة تعمل فى نطاق الجامعة العربية وتهدف الى :

— تمكين الوحدة الفكرية بين اجزاء الوطن العربي فى التربية والثقافة والعلوم .

— رفع المستوى الثقافي فى الوطن العربي حتى يقوم بواجبه فى متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الايجابية فيها .

◆ ويتم تحقيق تلك الاهداف فى البلاد العربية عن طريق :

— تنسيق الجهود العربية فى مجالات التربية والثقافة والعلوم .

— النهوض بمستويات التعليم والثقافة والعلوم وتشجيع مجالات البحث فيها .

— اقتراح المعاهدات وجمع المعلومات والحقائق والبيانات المتصلة بمجالات انشطة المنظمة .

— تبادل الخبرات والخبراء والمعلوماتوالتجارب

— الحفاظ على المعرفة وتقدمها ونشرها وذلك بالمحافظة على التراث العربي وتشجيع التعاون بين الأمة العربية والأمم الاخرى بطريقة التعاون الدولي .

◆ بدأت المنظمة العربية نشاطها بانعقاد مؤتمرها الأول فى 25 يونيو 1970 وتشترك فى عضويتها: دولة اتحاد الامارات العربية ؛ المملكة الأردنية الهاشمية ؛ دولة البحرين، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ؛ جمهورية السودان الديمقراطية ؛ الجمهورية العربية السورية ؛ الجمهورية العراقية ؛ فلسطين ؛ دولة قطر ؛ دولة الكويت ؛ الجمهورية العربية الليبية ؛ جمهورية مصر العربية ؛ الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية ، المملكة العربية السعودية .

◆ **اجهزة المنظمة هي :**

— المؤتمر العام

— المجلس التنفيذي

— المدير العام

— الادارة العامة وتضم : ادارة التربية ، ادارة الثقافة ، ادارة العلوم ، ادارة التوثيق والاعلام، ادارة الشؤون المالية والادارية ، معهد احياء المخطوطات العربية .

— الأجهزة وتضم : الجهاز الاقليمي العربي لمحو الامية ، معهد الدراسات العربية العالية ،

المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي، مكتب الوفد الدائم لدى اليونسكو .

— الشعب المحلية .

* عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية ، اجتماعها الثاني بمقر الأمانة العامة بجامعة الدول العربية بالقاهرة فى الفترة من 30/4/5/ 1972 واشترك فيه وفود : من اتحاد الامارات العربية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية ، جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، كما اشترك فى هذا الاجتماع ايضا مندوبون عن الادارة القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم ، واكاديمية البحث العلمي لجمهورية مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي خرجت بها اللجنة فى هذا الاجتماع ، انشاء مركز عربي للوسائل التعليمية فى نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم مشروع متكامل لأنشائه .

* انعقد بالقاهرة فى الفترة من 6 الى 1972/5/11 مؤتمر الوحدة والتنوع فى الثقافة العربية المعاصرة ، واشتركت فيه وفود من : جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية اليمنية ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، المملكة الأردنية الهاشمية، الجمهورية التونسية ، جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية، المملكة الأردنية الهاشمية، السورية ، فلسطين ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، كما اشترك فى هذا المؤتمر مندوبون عن بعض الجامعات والمجامع والمجالس العليا لرعاية الفنون والآداب ، الجمعيات الأدبية ، بالاضافة الى بعض المعنيين بموضوع المؤتمر بصفتهم الشخصية، وقد تأكد من خلال المناقشات التي دارت أن الاهتمام موجه الى دراسة التنوع الطبيعي الذي يجد سبيله الى الثقافة العربية ويعبر عن حيويتها وتطلعاتها ، وليس الى التنوع المفتعل الذي يناقض الوحدة او يخالفها ، كما راى المؤتمر أن يفرق بين هذين الاتجاهين ، وقد اتخذ المؤتمر توصيات للنهوض بمجالات القصة والمسرح ، والسينما والشعر والاذاعة المرئية والمسموعة ، كما تناولت ايضا مجالات الفصحى والعامية ، والمنهج الاقليمي فى تاريخ الأدب العربي وتوثيق الروابط بين المثقفين وتداول الانتاج الثقافي .

* التحق بمعهد البحوث والدراسات العربية هذا العام 202 طالب من عدة بلاد عربية واسيوية . وقد منح المعهد هذا العام عدة درجات علمية على مستوى الماجستير وذلك فى مجال الدراسات الاقتصادية، والاجتماعية والتاريخية، والجغرافية ، والقانونية ، والشرعية ، والأدبية والشعرية ، وايضا فى مجال الدراسات الفلسطينية .

* عقدت اللجنة العربية للوسائل التعليمية اجتماعها الثاني بمقر الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، فى الفترة من 4/30 الى 1972/5 ، واشتركت فيه وفود من اتحاد الامارات العربية، المملكة الاردنية الهاشمية ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية السورية جمهورية العراق ، سلطنة عمان ، فلسطين ، دولة قطر ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية ، الجمهورية العربية اليمنية ، كما اشترك فى هذا الاجتماع ايضا مندوبون عن الادارة القانونية بجامعة الدول العربية ، المركز الدولي للتعليم الوظيفي بسرس الليان واكاديمية البحث العلمي بجمهورية مصر العربية ، وكان من اهم التوصيات التي خرجت بها اللجنة فى هذا الاجتماع : انشاء مركز عربي للوسائل التعليمية فى نطاق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تشكيل لجنة فرعية فنية لوضع نظام اداري لهذا المركز وتقديم مشروع متكامل لانشائه .

* عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حلقة دراسية عن الظروف البيئية وخطط التنمية فى البلاد العربية وذلك بالخرطوم بجمهورية السودان الديمقراطية فى الفترة من 15 الى 12 فبراير / شباط 1972 . وقد نسقت

هذه الحلقة أعمالها مع المؤتمر السوداني عن الانسان والبيئة الذي عقدته الجمعية السودانية لتقدم العلوم بالاشتراك مع المجلس القومي للبحوث ؛ اشترك فى هذه الحلقة وفود من : المملكة العربية السعودية ؛ جمهورية السودان الديمقراطية ؛ الجمهورية العربية السورية ؛ الجمهورية العراقية ، الجمهورية العربية الليبية ؛ جمهورية مصر العربية ، دولة الكويت ؛ فلسطين ، كما اشترك فيها مندوبون عن الهيئات الدولية والمنظمات الاقليمية العربية ؛ الامم المتحدة ؛ اليونسكو ؛ منظمة الأغذية والزراعة ؛ المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار فى العالم العربي واتحاد المهندسين العرب . ونوقشت خلال هذه الحلقة موضوعات متعددة تتصل بانتاج المحاصيل ، الانتاج الحيواني ؛ المياه الجوفية والثروة المعدنية ، تلوث الهواء ؛ تلوث البيئة الريفية وصحة البيئة ؛ كما تم التوصل الى عدد من التوصيات تتصل بالنواحي التالية : الاهتمام باستغلال وتنمية مصادر الثروة الطبيعية ؛ الاهتمام بالانسان وتنمية الموارد البشرية ، علاقة تدعيم الأنشطة التي تبذلها الجامعات والمعاهد العليا ومراكز البحوث ؛ مكافحة تلوث البيئة عن طريق انشاء مركز عربي لدراسة هذه الناحية والاهتمام بالاشتراك فى المؤتمر الدولي للانسان والبيئة الذي تنظمة الامم المتحدة .

* عقدت بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، فى الفترة من 1 الى 7 مايو (أيار) 1972 ، حلقة تطوير تدريس العلوم البيولوجية على مستوى المرحلة الثانوية ، وحضرها مندوبون عن الدول العربية الآتية : المملكة الأردنية الهاشمية ، جمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية السودان الديمقراطية ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، الجمهورية العربية الليبية ، جمهورية مصر العربية .

وقد نوقشت خلالها عدد من الموضوعات الهامة التي تتعلق بأوضاع تدريس البيولوجيا ومناهجها الحالية والمقترحة ، ورؤى ان تشكل لجنة لاستكمال الدراسات والبحوث اللازمة لمسح واقع المناهج الموجودة على ان تعقد حلقة لدراسة الموضوع فى يناير 1973 ولمدة شهر فى كلية من كليات العلوم باحدى الدول العربية وذلك بهدف التوصل الى ما يؤدي الى تنفيذ المشروع فى الصف الأول من المرحلة الثانوية ثم يخطط بعد ذلك لاعداد مجموعة من المعلمين والقادة حلقة تدريبية لمدة شهر قبل بدءالعام الدراسي 1974/73 تمهيدا لتطبيق المشروع ؛ كما رؤى ان تعقد حلقة اخرى على مستوى الخبراء فى يناير 1974 وثالثة فى يناير 1975 لاستكمال المناهج المقررة فى باقي صفوف المدرسة الثانوية .

* عقدت بمدينة الاسكندرية بجمهورية مصر العربية فى الفترة من 8 — 13 يوليو / تموز 72 حلقة تطوير وتدريس الرياضيات الحديثة على مستوى المرحلة الاعدادية فى العالم العربي . اشتركت فيها : المملكة الأردنية الهاشمية ، دولة البحرين ؛ الجمهورية التونسية ؛ جمهورية الجزائر الديمقراطية الشعبية ؛ الجمهورية العراقية ؛ المملكة العربية السعودية ؛ الجمهورية العربية السورية ؛ الجمهورية العربية اليمنية ؛ دولة الكويت ؛ الجمهورية العربية الليبية ، وجمهورية مصر العربية ، وقد بحثت فى هذه الحلقة أوضاع تدريس الرياضيات فى العالم العربي وذلك من خلال تقارير المندوبين. كما درست عدة مشروعات لتطوير تدريس الرياضيات ، وشكلت لجان لدراسة وتطوير هذا النشاط بوضع خطة زمنية لهذا الغرض تنتهي فى صيف عام 1976 ، وذلك لعقد حلقة دراسية لتقويم المنهج الذي تم تطبيقه ، وكتب الصفوف الثلاثة ومرشد المعلم ، وقد توصل المجتمعون فى الحلقة الى عدد من التوصيات اهمها اعداد خطة شاملة لتدريس الرياضيات ، الشروع فورا فى انشاء هيئة عربية لتطوير تدريس الرياضيات ، تطوير مناهج اعداد المعلمين بمستوياتها المختلفة وتطوير طرق تدريس هذه المناهج ، انشاء نواد للرياضيات وتوحيد المصطلحات المستعملة فى الرياضيات فى البلاد العربية .

* قامت المنظمة بالتعاون مع مركز التوثيق التربوي بالقاهرة بتنظيم دورة تدريبية لمبعوثين عن الدول العربية فى مجال التوثيق التربوي . وقد بدأت هذه الدورة فى شهر أبريل 1972 ، وكانت مدتها ثلاثة أشهر تم فيها تدريب أفراد من العاملين فى حقل التوثيق على عمليات الفهرسة والتصنيف واعداد المستخلصات والتعاريف والأخبار واعداد النشرات الاعلامية والاجابة على الاستفتاءات . وقد اشترك فى هذه الدورة على نفقة المنظمة أفراد من الجمهورية العربية الليبية ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، والجمهورية العراقية .

* قامت بعثة من معهد المخطوطات العربية بالسفر الى المملكة المغربية فى شهر مايو 1972 لفهرسة وتصوير المخطوطات بها ، كما قام المعهد بطبع العدد الأول من المجلد الثامن عشر من المجلة التي يصدرها .

التاريخ يمنية :

ورد فى كتاب الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ان كلمة التاريخ يمنية عربية والكتاب لشمس الدين السنحاوي المتوفى عام 902 هـ وقد سبقه اليه المؤرخ الدمشقي ابن عساكر صاحب تاريخ الشام ووجد احمد كمال المصاري تاريك المصرية يمنية الاصل .

— التاريخ بالليالي : الكتب عن السلطان تؤرخ بالليالي والتي من الادنى للاعلى تؤرخ بالايام (معالم الكتابة ص 51)

المكتب الدائم لتنسيق التعريب

رحلة وفد المكتب الدائم في البلاد العربية

بعد ما أتم المكتب الدائم سنته العاشرة، وانجز أعمالا وفيرة : من معاجم فنية وتقنية ، ومعجمات معان ، ونشر مجلته « اللسان العربي » ، يحررها كبار رجال الفكر واللغة في داخل العالم العربي وخارجه ، والحق بأمانة الجامعة العربية ، ثم بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المتفرعة عن الجامعة ، قام وفده برحلة في البلاد العربية لعرض نتائج اعماله ، والاتفاق مع المسؤولين الثقافيين فيها على تنظيم مؤتمر التعريب . ومثل المكتب مديره العام السيد عبد العزيز بنعبد الله ، وكبير خبرائه الدكتور ممدوح حقي ، في رحلة استمرت قرابة اربعين يوما ، جالا خلالها في تونس ، ومصر ، والسودان ، والسعودية ، والكويت ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والجزائر ، وعرج في طريق العودة على باريس للاتصال باليونسكو ، والاتفاق على تنسيق العمل بين المكتب وبين هذه المؤسسة الدولية . ولم يكن لديه من الوقت ما يكفي لزيارة البلاد العربية الاخرى ، فأرجأها الى حين آخر.

وكان هدف الوفد الاتصال بوزراء التعليم العالي والتربية والثقافة ، والمجامع العلمية ، والجامعات ، والاساتذة المختصين بالعلوم للاتفاق معهم على ما يلي :

ا ــ تنسيق الجهود الرامية الى انجاح مؤتمر التعريب الذي سيعقد في الجزائر اواخر عام 1973 .

ب ــ انتداب أعضاء علميين للمؤتمر ممن مارسوا تدريس العلوم في الجامعة لخبرتهم بالمصطلحات ودقتها .

ج ــ تأسيس شعب وطنية للتعريب تهتم بجمع حصيلة ما يعرب وارساله الى المكتب الدائم لتنسيقه .

د ــ تعيين مراسلين علميين يكونون حلقة اتصال بين الشعب الوطنية للتعريب والمكتب الدائم .

هـ ــ وضع قوائم بأسماء الهيئات العلمية والأفراد العلميين ليرسل المكتب اليهم مطبوعاته ومعاجمه

و ــ انتداب خبير لمدة بضعة شهور يطلع فيها على اعمال المكتب وطريقته في التنسيق ، ليعمل بها في شعبته الوطنية .

ز ــ تبادل المطبوعات فيما بين المكتب الدائم والمكتبات التابعة للوزارات والجامعات في كل وطن .

وقد استقبل الوفد استقبالا حسنا جدا في جميع البلاد التي زارها ، وقوبل بالترحاب في الاوساط العلمية والصحفية والاذاعة والتلفاز ، واقيمت له حفلات التكريم ، والمحاضرات ، والجلسات العلمية ، بحيث يمكن القول انه كان ناجحا في مهمته أتم نجاح .

ولما كان بين هذه الجولة ومؤتمر التعريب اكثر من عام ، فقد اتفق المكتب الدائم مع المعنيين بالأمر على ما يلي :

ا ــ ان تدور ابحاث المؤتمر حول ستة معاجم اعدها المكتب مطبوعة طباعة نقية قبل قيامه بالرحلة، وهي :

(الكيمياء ــ الفيزياء ــ الحيوان ــ النبات ــ الرياضيات ــ الجيولوجيا)

ب ــ يرسل المكتب المعاجم للمختصين فور حصوله على القوائم التي تعدها الوزارات المعنية والجامعات فى الوطن العربي من نسختين : احداهما على هيئة كتاب ، والثانية على هيئة اوراق يترك فيها الفراغ الكافي لملاحظاتهم .

ج ــ تبقى المعاجم لدى المختصين ستة اشهر على الاكثر يصلحون ما فيها من خطأ ، ويضيفون اليها ما نقص ، ويقترحون ما يشاؤون لتعديلها او تقويمها .

د ــ ترجع الأوراق المعجمية بالملاحظات الى المكتب ليعود فينسقها تنسيقا جديدا يسهل به على اعضاء المؤتمر دراستها ومناقشتها فى وقت قصير .

ج ــ تركيز المناقشات ايام المؤتمر فى موضوع المصطلحات غير المتفق عليها ، مع العمل على تحقيق الاتفاق حول المصطلح المشهور او المرجع درءا لاستمرار الخلاف .

ز ــ تفريع اعضاء المؤتمر الى لجان تختص كل واحدة منها ببحث مشروع معجم معين حسب الاختصاص .

و ــ ترك تنظيم أعمال المؤتمر الداخلية الى الدولة المضيفة (الجزائر) على أن يكون المقرر العام للمؤتمر كبير خبراء المكتب الدائم ، ليستطيع الاشراف على التنسيق بمعونة خبرائه بعد المؤتمر .

واتصل الوفد بالمسؤولين فى الجزائر ، فراى منهم كل الترحيب والجدية التامة ، وعقد جلستي عمل فى وزارة التربية حضرها مندوبون رسميون عن كل الوزارات المعنية . وانتهى النقاش والعرض الى الاتفاق على ما يلي :

ا ــ ان يؤجل عقد المؤتمر الى اواخر عام 1973 ليستطاع اعداده اعدادا لائقا ولضمان نجاحه .

ب ــ تتكفل كل دولة بمصاريف انتقال مندوبها ذهابا وايابا ، وتعرض الدولة المضيفة ضيافتها خلال ايام المؤتمر .

ج ــ تشكيل لجنة لتحضير المؤتمر فى الجزائر ، وتشترك مع المكتب فى اقتراح ما ينبغي لتسيير امور المؤتمر بنجاح ، ثم تقديم تقرير فى الموضوع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

د ــ امكان دعوة خبراء للمؤتمر : من مستشرقين ومعجميين عرب وغير عرب .

هـ ــ وتدرس فى المؤتمر خاصة مشاريع المعاجم الستة المعروضة من قبل المكتب . وستعد اللجنة التحضيرية بالجزائر دراسة حول امكان تخصيص لجنة لتقييم أعمال مؤتمر التعريب السابقة ونقدها .

و ــ وضع خطة عمل معجمية للمستقبل منسقة بين جميع الدول العربية على ضوء تقرير يقدمه المكتب الدائم بناء على تجربته فى الموضوع .

ز ــ العمل بكل الطرق والأساليب الممكنة لنشر المصطلحات بعد توحيدها فى جميع البلاد العربية ، وممارسة استعمالها .

ح ــ عرض بعض المشاكل التي يعانيها المختصون بتدريس اللغة العربية ، للاستنارة بآراء الخبراء والمختصين ، كالطباعة ، والحرف ، والخط ، وتسهيل الكتابة ، وتسهيل اللغة ، والتعليم بالعربية فى جميع المراحل .

وعاد الوفد ليباشر تنظيمه الجديد على ضوء ما افاده فى رحلته الطويلة لخدمة اللغة ، وليضاعف نشاطه وهمته لرفعها الى المستوى الحضاري المرموق ، وتاييد الكسب السياسي الذي حصلت عليه بمسعى الجامعة العربية فى الأوساط الدولية بكسب علمي يجعلها اداة طيعة فى التعبير بدقة ووضوح فى مختلف مجالات العمل الدولية .

اللغة العربية في المؤتمر الإفريقي التاسع

وجه المكتب الدائم بمناسبة انعقاد الدورة التاسعة للمنظمة الافريقية خطابا الى رئيس المؤتمر واعضائه ملوك ورؤساء الدول الافريقية بثلاث لغات هذا فحواه :

اصحاب الجلالة والفخامة والمعالي رؤساء الوفود الافريقية المشاركة

انه لمن دواعي السرور ويمن الطالع ان ينعقد جمعكم السعيد على ارض المملكة المغربية باب افريقيا على دنيا العلم وعالم المدنية وان يلتئم شملكم العظيم في احضان اخوة لكم يستشعرون المسؤوليات الجسام الملقاة على حشدكم الميمون في سبيل غد لقارتنا الام صبوح وعزة لانسانها الافريقي الطموح .

فاهلا بكم في هذا الجزء من وطنكم الكبير ومقاما طيبا سعيدا بين ظهرانينا وشكرا لكم وتقديرا لكل مراميكم التي تستهدفون ودعاء الى الله ان يعين على تحقيق الآمال التي تبتغون

يتشرف المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي — بالرباط احد اجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المنبثقة عن جامعة الدول العربية ان يقدم اطيب تحياته وازكى متمنياته بالسداد والتوفيق في خدمة قارتنا الفتية كما يشرفه بان يبعث بعميق شكره وامتنانه ان قررتم اختيار اللغة العربية واحدة من اللغات الرسمية التي تسير بها اعمال مؤتمركم الموفق وتصدر بها مقرراتكم السديدة .

واذا كانت اللغة هي مفتاح العلوم وادواتها الطيعة ، وكانت افريقيا الفتية التي نهضت لتواكب ركب العلم حتى تلحق بمقدمته وجهدت لتزيح ذلك الكابوس الرهيب الذي ران على صدرها ردحا طويلا من الدهر حتى كاد يستنزف خيراتها ويمتص رحيقها ، واذا كانت اللغة العربية هي لغة ما يقرب من نصف تعداد سكان افريقيا وانها اصبحت في اغلب المحافل والهيئات الدولية اللغة الرسمية الخامسة وان لدراستها نصيبا في كثير من جامعات العالم فضلا عن الجامعات الافريقية حتى اضحى لها قسمها الخاص وكرسيها المحدد بين قريناتها من لغات العالم الحية — فانه لحري بنا نحن ابناء القارة الفتية ان نقتحم ميدان العلم من اوسع ابوابه تصحبنا اللغة

الطيعة الحية التي تتسع لتستوعب كل ما يتطلبه التقدم العلمي من مصطلحـــات ومسميات ومدلولات ، ولا تقصر فينحسر مدها عن احتواء كل ذلك لتكون لنا خير مطية نزاحم بها من يسيرون فى موكب العلم وننافس من يشايعون ركب التكنولوجيا الحديثة نجتاز الحواجز ونطوي مسافات الزمن ونستعيض عما فاتنا ــ بالرغم منا ــ فلا تفصلنا عن اولئك الذين ركبوا اجواز الفضاء ومشوا على سطح القمر وغزوا الكواكب وعوالم السماء ــ مسافة فلكية ــ او حتى لا نكون وقد تشبثنا باهـــداب العلم ومشينا فى موكبه فى مكان الذيل من الجسد ، وحتى تعود للقارة الســمـــراء وليست المظلمة ــ كما يحلو لمن نهبوها ويعن لمن سلبوها أن يسموها ــ عزهـــا ومجدها وتصبح وهي مجد الأحفاد ، كما كانت مهد عظمة الأسلاف والاجداد الذين بنوا المعجزات واقاموا من عجائب الدنيا ما عجز عنه علم اليوم وما يفخرون به أن يدنوا منه أو يستكشفوا سره ويزيحوا الستر عن كنهه وطبيعته .

ان المكتب الدائم المنوط به تنسيق التعريب بين الدول العربية والوقوف علـــى آخر المصطلحات العلمية والتعبيرات الفنية لتوحيدها والعمل على اذاعتها وشيوعها واقرارها وتدريسها ليشرفه ايما تشريف ويسره السرور كله ان يضع بين ايديكـــم الكريمة بعضا من نتاجه المتواضع يتشكل من مجلته الدورية التي تصـــدر باســـم ((اللسان العربي)) وهي تتضمن ابحاثا فى اللغة لكبار كتاب العربية من ابنائها او ممن عكفوا على دراستها من المستشرقين من قدامى الاساتذة فى مختلف جامعات العالم الكبرى ، وايضا من مجموعة من المعاجم باللغات الثلاث الانجليزيـــة والفرنسيـــة والعربية لبعض من العلوم الحديثة ، وكذا نبذة موجزة للتعريف بالمكتب واهدافـــه وتاريخه ومنجزاته ، ومشاريعه ، آملا ان يكون قد استطاع القيام ببعض مما انيط به ليسهم ولو بلبنة صغيرة تدعمها جهودكم الموفقة ودفعاتكم الحميدة ونشاطكـــم الدؤوب فى سبيل خير افريقيا والافريقيين .

وفقكم الله وسدد خطاكم واعلا شاو قارتنا بفضلكم وهداكم ...

اللجنة الأردنية للتعريب
والترجمة والنشر في نشاطها الغامر

منذ انعقد مؤتمر التعريب الاول فى 21 ابريل بالرباط بدعوة من المغفور له جلالة ـ محمد الخامس ـ رحمه الله ومنذ انبثاق المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي عن هذا المؤتمر ، واللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر تعمل جاهدة فى نطاق اختصاصاتها على توسيع رقعة نشاطاتها من لجنة تعنى بشؤون التعريب الى لجنة نشيطة لم ينحصر عملها فى التعريب فحسب بل تعداه الى الترجمة والنشر كذلك ، فالمتتبع لخطوات هذه اللجنة يتبين بوضوح مقدار الجهد الذى تبذله فى مجالات التعريب والترجمة والنشر جميعا ، وذلك بما انتجته من كتب قيمة ، واخرجته من مؤلفات جليلة ، وترجمته من اعمال فى مختلف العلوم والفنون .

ولقد ظلت علاقة اللجنة بالمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط علاقة عمل مشترك وتعاون متين فى مختلف فروع المعرفة والعلم ، وفى الملخص الذى سنورده للكتاب القيم الذى اصدرته هذه اللجنة يجد القاريء الكريم كثيرا من هذه الحقائق ، كما يلمس مقدار التعاون الوطيد الذى ـ كان وما زال ـ قائما بينها وبين مكتب التعريب فى الرباط ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرهما من الهيئات العلمية الاخرى . وهذا يدل على الرغبة الاكيدة فى العمل ، تلك الرغبة التي تمتلىء بها نفوس اخواننا فى هذه اللجنة ، الساهرين على منجزاتها ، والتى تترجم ـ فى جلاء ـ الآمال البعيدة التى تراود انفسنا جميعا من اجل تأدية الدور الكبير المنوط بنا، والنهوض بالعربية والسير بها قدما نحو مدارج التقدم والرقي ، واحلالها محل زميلاتها من اللغات الحية المعاصرة ، كما هي رغبة تنم عن مدى التقارب القوي الموجود بين اللجنة وبين مختلف الهيئات والمؤسسات فى الاقطار العربية الشقيقة ، فهي لا تألو جهدا فى هذا الصدد ، ولا تدخر وسعا فى تحقيقه ؛ وقد استجاب رئيسها المفضال وزير التربية لرغبة المكتب الدائم فى الحصول على خبير للرياضيات وانتدبت احد اعضائها البارزين وهو الاستاذ الدكتور احمد سليم سعيدان .

واذا كان لا بد لنا من كلمة قبل تقديم هذا التلخيص للكتاب المذكور ، لا يسعنا الا ان نحيي فى هذه اللجنة روحها الوثابة وايمانها الخالص ، ورغبتها الصادقة فى مواصلة العمل البناء لدعم حركة التقدم والازدهار فى الوطن العربي .

وقد اصدرت هذه اللجنة بمناسبة مرور احدى عشرة سنة على تأسيسها كتيبا قيما تناولت فيه تاريخها ومختلف نشاطاتها فى مجالات الترجمة والتعريب والنشر منذ تأسيسها سنة 1961 الى اليوم .

يقع الكتاب فى 79 صفحة من الحجم المتوسط، اشرف على اعداده استاذ عيسى الناعوري سكرتير

اللجنة ، ولقد قدم له معالي الاستاذ الدكتور اسحق الفرحان رئيس اللجنة ، ووزير التربية والتعليم ، بكلمة قيمة نوه فيها « بالجهود المتواصلة التى قامت بها اللجنة الأردنية للتعريب عن طريق المساهمة فى التعريب ، وفى الترجمة والنشر » ، كما اشار معاليه الى صلة اللجنة الوثيقة بالادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الرباط ،الذى قال عنه سيادته : « .. يقوم هذا المكتب بأعمال كبيرة مشكورة فى حركة التعريب ذات الارتباط الوثيق بتراث الامة العربية وحضارتها الماجدة » كما انه تمنى ان تكون المرحلة القادمة لتطور هذه اللجنة هي « تحويلها الى مجمع علمي لغوي اردني يعمل الى جانب المجامع الاخرى القائمة فى اقطار العربية الشقيقة » وبناء على توصيات مؤتمر التعريب الاول الذى عقد فى الرباط من 3 الى 7 ابريل 1961 والذى جاء من بين توصياته انشاء (شعبة وطنية للتعريب) فى كل بلد عربي مهمتها تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب فى بلدها وتكون صلة بينها وبين المكتب الدائم وتقدم اليه الحصيلة العلمية التى تنتهي اليها الجهود فى ذلك البلد » .

وبناء على القرار المقدم من طرف المرحوم قدرى طوقان (ممثل الاردن فى المؤتمر) الى وزير التربية والتعليم آنذاك انشئت هذه اللجنة باسم « اللجنة الاردنية للتعريب » غايتها « تتبع نشاط الهيئات المشتغلة بالتعريب ، وتكون حلقة اتصال بينها وبين المكتب الدائم فى الرباط فتسجل كل ما يترجم فى الاردن من الكتب وتوافي المكتب الدائم بذلك وتقوم بتنفيذ ما يمكن تنفيذه من مقررات مؤتمر التعريب ».

ولما تم تعيين الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله (رئيسا) للمكتب الدائم قامت الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية بابلاغ اللجنة وجميع الدول العربية الاعضاء فى الجامعة كما قام الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله نفسه بابلاغ اللجنة كذلك .

ومنذ اجتماع اللجنة الاولى فى صباح يوم السبت 3 / 6 / 61 وهي تواصل مجهوداتها فى شتى المجالات العلمية والتعريب. ووفقا لهذا الاجتماع قامت اللجنة بتزويد المكتب الدائم ، والادارة الثقافية بقائمة من الكتب المترجمة فى ضفتي الاردن حتى ذلك العام .

وفى سنة 1964 اتسعت رقعة عمل اللجنة الاردنية للتعريب الى ميداني الترجمة والنشر ، حيث نشرت وترجمت عديدا من الكتب التى ارسلت منها نسخا كثيرة الى المكتب الدائم للتعريب بالرباط ، والادارة الثقافية والى مختلف الهيئات والمؤسسات العلمية الاخرى .

ولما اجتمع اسبوع التعريب فى الرباط من 3 الى 9 يناير عام 1963 قررت اللجنة ايفاد احد اعضائها وهو الدكتور عبد الكريم خليفة ليمثلها فى هذا الاجتماع،ولقد أشار الدكتور عبد الكريم خليفة فى تقريره المقدم الى اللجنة « ان الاردن هو القطر العربي الوحيد الذى بعث بمندوب خاص الى هذا المهرجان فى حين اكتفت البلدان العربية بتفويض سفرائها او ملحقيها الثقافيين فى الشمال الافريقي لتمثيلها ».

وهكذا يسترسل الكتاب فى تسجيل تاريخ هذه اللجنة ويرصد ما قامت به من نشاطات شتى فى مختلف المجالات . مع ذكر علاقاتها بسائر الهيئات العربية وعلى راسها الادارة الثقافية والمجامع العربية والمكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط .

وفى سنة 1963 كلفت لجنة خماسية من اعضاء اللجنة نفسها بوضع مشروع نظام شامل دعته (مشروع نظام اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر) ويشتمل هذا المشروع على اربعة وعشرين مادة موزعة على سبعة فصول ، هي :

1 ـ تعريفات عامة .

2 ـ تأليف اللجنة وشروط العضوية .

3 ـ أعمال اللجنة واهدافها .

4 ـ خطة العمل .

5 ـ شروط العمل

6 ـ الشؤون المالية .

7 ـ احكام عامة .

ثم اعيد النظر فى هذا المشروع ، ووضع مشروع نظام جديد حيث رفع الى رئاسة الوزراء بتاريخ 7 ـ 1 ـ 1967 ، فووفق عليه ونشر فى الجريدة الرسمية الاردنية بتاريخ 1 ـ 3 ـ 1967 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 . العدد رقم 1988 ، ثم صدر فيما بعد تعديل برقم (35) لسنة 1968 .

وبعد هذه اللمحة التاريخية عن هذه اللجنة النشيطة يعدد الكتاب « خلاصة اعمال اللجنة منذ تأسيسها التى كانت اهدافها الرئيسية التى قامت من اجلها تتلخص فيما يلي :

1) مساعدة اقطار الشمال الافريقي العربية على تعريب اللغة لتفي بجميع الاغراض التى تستخدم فى مختلف مرافق الحياة .

2) العمل على ترجمة عدد من روائع الآثار الفكرية الحية .

3) التعاون مع الدول العربية على وضع الفاظ عربية للمصطلحات الاجنبية .

وفى حقل الترجمة والنشر اصدرت اللجنة العديد من الكتب العالمية والعربية قام بترجمتها ونشرها اساتذة اعضاء فى اللجنة ، اما فى ميدان التعريب فقد ساهمت مساهمة كبيرة فى دراسة كثير من المعاجم التى وصلت اليها من المكتب الدائم فى الرباط ومن لجنة التنسيق بين اللجان الوطنية لليونسكو ، والادارة الثقافية لجامعة الدول العربية وغيرها .

ويشير الكتاب الى ان اللجنة ما زالت سائرة بعون الله الى الامام ، وتطويرا لدائرة عملها وتوسيعا لرقعة نشاطاتها ارتأت تقسيم لجنة التعريب الى اللجان الفرعية التالية :

1 ـ لجنة احياء التراث العربي الاسلامي (يعنى بتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها) .
2 ـ لجنة الفكر العربي (هدفها ترجمة الفكر العربي والتعريف به فى اللغات الغربية)
3 ـ لجنة الكتب العلمية ، (هدفها ترجمة الكتب العلمية والتقنية)

4 ـ لجنة الفكر العالمي (هدفها ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية) .

وختم الكتاب برسالة بعث بها معالي وزير التربية والتعليم ورئيس اللجنة الاستاذ اسحق الفرحان الى دولة رئيس الوزراء حول انشاء مجمع علمي لغوي اردني ، ونقتطف من هذه الرسالة الكريمة الفقرة التالية : « ولعل من المناسب ان اذكر لدولتكم ان الاردن كان اول بلد استجاب لتوصيات المؤتمر المذكور ، واسس شعبة وطنية ، هي « اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر » ولقد عقدت اللجنة خلال الاعوام الاحد عشر التى مرت منذ تأسيسها حتى الآن خمسة وخمسين اجتماعا ، ونشرت عددا من الكتب المترجمة والموضوعة ، وشاركت فى دراسة مشاريع المعاجم التي وصلت اليها من المكتب الدائم للتعريب ، وظلت على اتصال مستمر بالادارة الثقافية لجامعة الدول العربية والمكتب الدائم للتعريب ، بحيث اصبحت لدى هاتين الجهتين هي المثال والقدوة فى نشاطها وجهودها الكبيرة فى حقل التعريب والترجمة ، ونالت الثناء الواسع منهما فى مراسلات عديدة وكذلك فى مجلة «اللسان العربي» التى يصدرها المكتب الدائم للتعريب فى الرباط » .

وهكذا يتجلى لنا من خلال هذه العجالة مدى الجهد الكبير الذى تبذله هذه اللجنة التى نتمنى لها مزيدا من التقدم والنجاح فى مراحلها القادمة وهي تتحول من صورتها الحالية الى نواة لمجمع علمي لغوي يساهم فى خدمة اللغة العربية وتراثها الخالد بجانب مجامعنا اللغوية الاخرى فى الدول العربية الشقيقة.

نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية

انعقد بصنعاء (اليمن) المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب من 23 – 30 ديسمبر سنة 1972 . وبهذه المناسبة اصدرت الامانة العامة لجامعة الدول العربية وثيقة هامة اعدها كل من الدكتور يوسف صلاح الدين قطب ، والدكتور محمد الهادي عفيفي ، والدكتور محمد سيف الدين فهمي ، والدكتور محمد احمد الغنام .

وقد رسم معدو الوثيقة فى دراساتهم المختلفة « استراتيجية جديدة للتربية والتعليم فى البلاد العربية » على ضوء التحديات والصراعات التي يواجهها المجتمع العربي المعاصر حتى يتمكن من العبور بقوة وسرعة الى التقدم المنشود والى أوضاع تعليمية بناءة تسعى الى تنمية الثروة البشرية كلها . وليس الى فئة محدودة منها بحيث تصبح قادة على مواجهة هذه التحديات التي تقف فى سبيل تقدم الامة العربية » .

ومن التحديات التي سجلتها الوثيقة والتي تواجه امتنا العربية ، تحدي النمو السكاني بما يصحبه من خلل ديمغرافي مع عدم توازن فى التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى معظم الاحوال ، وهناك الصراع ضد التخلف طلبا لحياة عصرية متقدمة ، والصراع ضد التجزئة طلبا للوحدة ، والصراع ضد التناقض الثقافي والاجتماعي طلبا للوحدة الثقافية وتجددها ، ولتكامل المجتمع وانسجامه ، والصراع ضد الصهيونية والاستعمار تحريرا للوطن وتمكينا للانسان العربي من الانطلاق بنفسه وبمجتمعه على طريق التقدم » .

ويمكن عرض الوثيقة فى النقط التالية :

1 – بدات الوثيقة فى تحليل ضاف للصراعات والتحديات التي تعيشها الامة العربية ، واولى ملامح هذه التحديات : **النمو السكاني** ، حيث بلغ المعدل المرتفع منه فى الستينات من هذا القرن الى 3 ٪ سنويا ، وينتظر ان يتجاوز فى السبعينات هذه النسبة ويقفز مجموع سكان البلاد العربية من 124 مليون نسمة سنة 1970 الى 172 مليون نسمة سنة 1980 . وهذا النمو يؤثر سلبا فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ويزيد من حدة مشكلاتها ، وغالبا ما يأتي على الجهود التربوية ويأكل جزءا كبيرا من عائدها » .

وعلى هذا الاساس تنوه الوثيقة بضرورة الاخذ فى الاعتبار بهذا الامر ، عند رسم سياسات التعليم واستراتيجيته وبنيته ومحتواه والتخطيط له .

وثاني هذه الملامح : **ظاهرة الهجرة من القرية الى المدينة** ، التي تنتج عنها مشكلات اجتماعية خطيرة .

ثالث هذه الملامح : **عدم اتزان توزيع السكان الجغرافي** ، بحيث يتكتلون فى مساحات دون اخرى .

والملمح الرابع : **تركيبهم العمري الذي ينحاز نحو الاطفال .**

ولهذه النسبة المرتفعة من الاطفال داخل سكان البلاد العربية تاثيرات مهمة فى العرض والطلب على التعليم ، مما يجعل العبء اثقل على التعليم وقد نوهت الى هذه الظاهرة الخطيرة الامم المتحدة غير مرة .

— **الصراع ضد التخلف :**

بينما يضاعف العالم المتقدم خطاه على الطريق نحو الامام ما زالت الامة العربية تخوض معركتها ضد التخلف بجميع اشكاله ، مما يجعل الهوة تتسع بين هذه البلاد وبينها من البلاد النامية .

وتشير الوثيقة الى : « انه فى الوقت الذي تملك فيه البلاد العربية موارد اقتصادية وامكانات مادية مؤهلة وتراثا حضاريا عريضا ، فضلا عما يتوافر حولها من اسباب المدنية الحديثة ، فان جمهرة ابنائها لا يقومون بمستوياتهم الثقافية المنخفضة على استثمار هذه الموارد والامكانات والتراث بما يدفعهم الى طريق التقدم بالسرعة المرجوة » .

كما اشارت الوثيقة الى الوان اخرى من الصراعات كالمتناقضات الثقافية والاجتماعية ، فعلى الرغم من مظاهر الوحدة وتوافر عناصر التجانس الثقافي المتماسك الاجتماعي — على الرغم من ذلك — فان الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية قد خلقت منها تفاوتات وتباينات ارتفع بعضها الى حد التناقض والصراع بالاضافة الى عوامل اخرى كالصراع بين القديم والجديد ، والتناقض القائم بين ثقافة الريف والحضر ، ومسالة توزيع الثروة الخ .

ومما يزيد من هذه الصراعات جميعا الهزيمة المريرة التي يعيشها العرب فى الوقت الذي يتوفر لديهم كافة الامكانيات لمحوها وتخطيها .

وتلخص الوثيقة الى القول الى ان هذه التناقضات برمتها تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءا من ثقافته ، مؤكدة ضرورة حسم كل الخلافات ومواجهته كل الصعاب حتى تتحول كل تلك الملاحم الى مجالات للتفاعل الصحي بين الافراد وعاملا من عوامل التماسك الاجتماعي والتكامل الثقافي .

— **الصراع ضد التجزئة :**

توضح الوثيقة كيف ان الاستعمار سعى دائما الى تشتيت شمل الوحدة العربية واثارة النعرات على اختلافها ، فيما بينها ، واستغل الاستعمار هذا الانقسام والتفكك ليجعل فلسطين ارضا تقوم عليها دولة اسرائيل المغتصبة .

كما اشارت الوثيقة الى ان «العقود الثلاثة الاخيرة **قد اكدت ان الوحدة ينبغي لها بجانب سعيها الى اتقان لغتها والاعتزاز بتاريخها والاحتفاظ بتراثها والتمسك بقيمها الاصلية ، أن تاخذ بالعلم والتكنولوجيا فى صورهما التقدمية على اوسع نطاق** ، كما اكدت ان الصراع القائم حاليا بين الامة العربية والصهيونية والاستعمار ليس مجرد صراع عسكري او سياسي فحسب . وانما هو فى الحقيقة صراع حضاري شامل ينبغي ان يلعب فيه التعليم دورا مركزيا .

وبعد دراسات وافية لواقع التعليم فى البلاد العربية والاستراتيجيات الموجهة له ، انتقلت الوثيقة الى رسم استراتيجية جديدة للتربية فى البلاد العربية»

ويمكن تلخيص هذه الاستراتيجية فى اربعة عناصر متكاملة — حسبما جاء فى مقدمة الوثيقة نفسها — وهي :

ا — التغيير التقدمي الشامل فى التربية الذي يقوم على تصحيح رؤية جديدة للتعليم كل التعليم ، تلتقي الجهود التربوية على تحقيقها من اكثر من موقع فى النظام التربوي ، وذلك كبديل لاستراتيجية الاصلاح الجزئي الذي يبقي التقديم مع بعض التعديلات او الاضافات فى جانب من جوانب التعليم او مستوى من مستوياته .

ب — تعليم المجتمع كل المجتمع ، كباره مثل صغاره ، بمؤسساته المدرسية وغير المدرسية ، وذلك كبديل لاستراتيجية تعليم الصغار قبل الكبار بل على حساب الاخيرين فى المدارس .

جـ ــ الاهتمام بجودة التعليم أسوة بكمـــة ، أو دون فصل بين الكم والكيف ، وذلك كبديل لاستراتيجية الكم مع اهمال الكيف على حسابه .

د ــ الاتجاه التربوي العربي الواحد الذي يبـــدأ بالالتقاء على ملامح رؤية تعليمية جديدة على المستوى القومي تتحول بها نظم التعليم فى البلاد العربية قولا وفعلا ، الى نظم تربوية عربية حقيقيـــة ، ويتحقـــق بتجسيدها فى الواقع تعبئة التعليم فى كل موقع عربي لتجديد الثقافة العربية وتحويل المجتمع العربـــي الى مجتمـــع عصـــري .

كما انه بفضل هذا الاتجاه تجتمع للبلاد العربيـــة على اعمال مشروعات تربوية مشتركة وتنسيق خططها التعليمية وجهودها العلمية ، واولا واخيرا تبذل جهود مشتركة لتمكين الفلسطينيين العرب من ان يكون لهم تعليمهم الذي يمكنهم من مواصلة النضال واسترداد حقوقهم وبناء فلسطين الجديدة .

وتصر الوثيقة على انها ليست فى الواقع سوى مجرد فتح باب حوار طويل وعميق امام السادة وزراء التربية والتعليم العرب ، ومن ورائهم من مختصيـــن وفنيين وخبراء ومعلمين .

وتشير فى الاخير الى انه لا بد بعد الحـــوار ، والالتقاء على العناصر الاساسية للاستراتيجية الجديدة ــ بعد تنقيحها وربما تعديلها ــ لا بد لها من ضمانـــات لوضعها مو ضع التنفيذ وهذه هي الضمانـــات التـــي ساقتها الوثيقة تحقيقا لذلك :

— تبني القيادات السياسية للاستراتيجية وتعبئتها الجهـــود لتنفيذهـــا .

— البحث العلمي فى عناصر الاستراتيجية المقترحة والقيام بتجارب طليعية قبل التوسع) تنفيذها .

— التخطيط الكفء لتنفيذ الاستراتيجية الجديدة مع مواصلة البحث والمراجعة فى مشكـــلات التنفيذ والتطـــور .

— تطوير الادارة التربوية وتكثيفها وتعبئتها بمـــا يتلاءم مع طبيعة الاستراتيجية الجديدة ويوفـــر لها الكفاءات القيادية فى التوجيه والتنفيذ .

— اعادة النظر فى برامج اعداد المعلمين وتدريبهم فى ضوء مفاهيم الاستراتيجية الجديدة ومطالبها ليكونوا اداة فعالة فى تنفيذها .

— توعية المجاهير بالاستراتيجية الجديدة وفتـــح باب الحوار فى عناصرها وخصائصها واهدافها ووسائل تنفيذها .

— اعادة النظر فى توزيع المواد المالية المخصصة للتعليم فى ضوء مطالب الاستراتيجية الجديدة والاستخدام الامثل لهذه المـــوارد ، مع فتـــح المجال للمبادرات الشعبية والدعم المادي مـــن جانب الافراد والجماهير .

— الاستعانة بالخبرة العالمية والمساعدات الدولية وبخاصة من جانب منظمـــة اليونسكـــو ، فى التحرك على الطريقة الجديدة بنجاح وكفاية .

بين المجلّة وقرّائها

ما زلت أيها القارىء العزيز ـ في مطلع كل عدد جديد ـ تتاكد من الحقيقة التي آمنت بها منذ صدور أول عدد من مجلتك « اللسان العربي » فقد اتخذت من هذا اللسان أداة للتخاطب والتفاهم والتعلم الأولى التي لا ترضى بها بديلا باي لسان اعجمي آخر ، بل اننا نلمس بوضوح ان ايمانك بحقيقتك هذه يزداد يوما بعد يوم حيث جعلت من هذا « اللسان » المنبر الحر الذي تعرض فيه كل ما يعن لك في امور اللغة من قضايا ومشكلات ، وفي الوقت ذاته تبرز القدرة الهائلة التي تنطوي عليها لغتك الخالدة ، وتسخرها في خدمة « العلم » بمختلف فروعه وانواعه ، حتى تساير ركب التطور المعاصر الذي ما عرف التاريخ يوما تقدما يضاهيه ، وانت بذلك انما تبدد أوهام المغرضين المقللين من شان هذه اللغة الجاهلين لها ، وتسهم في بناء صرحها التالد الذي يزداد بك وبايمانك متانة وصلابة وقوة . « واللسان » هي بدورها كانت حريصة كل الحرص على أن تعمل دائما على مضاعفة ايمانك بهذه الحقيقة وما زالت تبذل قصارى جهودها في تاكيد هذا الايمان وترسيخه في النفوس بابراز جلال العربية وعظمتها والسير بها قدما نحو لغة حية معاصرة قادرة على احتواء كل جديد حديث في كل علم وفن .

وما زالت الصلة الوثقى التي بين المجلة وقرائها الأعزاء تزداد تقاربا ومتانة يدعمها السيل العارم من رسائلهم المختلفة الحافلة باجمل العواطف واصدقها .

ونحن اذ نشكر للقراء نبل مشاعرهم ونؤكد للجميع هذه الرغبة فينا ، نشد على ايديهم بحرارة ونعدهم على ان نعمل دون هوادة او توان لبلوغ الغاية التي ننشدها جميعا بحول الله .

ولا ننسى ان نذكر مرة اخرى ان هذا الباب من القراء واليهم وهو ملتقى افكارهم ومنتدى آرائهم وهو ينتظر منهم دائما كل توجيه او نقد او تعليق او اية وجهة نظر اخرى في كل ما يتعلق بنشاط المكتب عامة والمجلة خاصة .

من المملكة المغربية :

* من مدينة طنجة بعث الينا الاستاذ عبد السلام العوام بادسي برسالة رقيقة نقتطف منها هذه السطور:

« اهنئكم على المجهودات الجبارة التي تبذلونها من اجل احياء لغة الضاد ، واحلالها مكانتها الرفيعة التي كانت تتبوأها في عصورها الذهبية السالفة » .

* من مدينة وزان كتب الينا القارىء الكريم السيد المكي الريسوني الكلمة التالية : يشرفني أن انوه بالمجهودات القيمة الجبارة المتجلية فى انشطتكم المتنوعة واخص منها مجلة « اللسان العربي » التي تشرف مكتبنا الدائم للتعريب وتدفع كل مواطن للاعتزاز به نظرا للخدمات الجليلة التي يعمل المكتب دائبا على تحقيقها لمسايرة ركب التقدم والحضارة »

* من القصر الكبير وجه الينا السيد الطاهري محمد الكلمة التالية : « لقد سعدت بالاطلاع على مجلتكم الهادفة الى تحقيق واعلاء اللغة العربية والخروج بها من مشكلاتها الى طريق التقدم حتى تكون لغة حية قادرة على مجابهة العصر الذي يمطرنا يوميا بكل جديد » .

* ومن مدينة الدار البيضاء كتب الاستاذ عبدالرحمن القباج كلمة رقيقة جاء فيه : « لقد اصبحت « اللسان العربي » بفضل مجهوداتكم ومساهماتكم مجلة واسعة الانتشار جديرة بالافتخار فطوبى لكم وهنيئا » .

* وهذه تحية السيد الحسين بن محمد السملالي من الدار البيضاء كذلك جاء فيها : « لقد كان سروري عظيما بمجلتكم الغراء نظرا للجهود الجبارة والخدمات الجلى التي تبذلونها فى اخراج هذه المجلة خدمة للتراث العربي العظيم وللغته » .

* وافانا الاستاذ السفير الدكتور عبد الهادي التازي برسالة جاء فيها : « لقد تلقيت رسالتكم حول اعتزام المكتب التعريف بأصدقاء المجلة وكتابها ، وقد كان ذلك تفكيرا سديدا منكم لا يهدف فقط لربط الاواصر بين رجالات الفكر فى المشرق والمغرب ، ولكنه كذلك يعرف الجمهور بهؤلاء الجنود المخلصين الذين يقفون وراء هذا العمل الضخم الذي يقوم به المكتب ، **ولا اكتمكم حقيقة لمستها من خلال عملي خارج المغرب سفيرا لبلادي ، كنت كثيرا ما اتلقى مثل هذا السؤال : من هم الذين يعدون « اللسان العربي » فى مثل هذا الاخراج ومثل هذه المادة ؟ وكم كنت اقرا على ملامح الاصدقاء معالم التقدير والاكبار لجهودكم الشريفة ،** تلك التقديرات التي أغتنم هذه الفرصة لانقلها اليكم صادقة مؤملا لكم المزيد من النجاح والمزيد من التوفيق » .

من الجمهورية الجزائرية :

* من الجزائر العاصمة جاءتنا كلمة رقيقة من معالي وزير الاعلام والثقافة الاستاذ أحمد طالب الابراهيمي الى السيد مدير المجلة يقول فيها: «يسرني أن أكتب لكم هذه الرسالة مجددا عهد الاخوة والتعاون بيننا ومثنيا على الجهود المجدية المشكورة التي تقومون بها فى مجال التعريب »

* ومن مدينة وهران وصلتنا كلمة رقيقة من رئيس قسم اللغة العربية وآدابها الدكتور عبد الملك مرتاضي جاء فيها : « اننا نبارك اعمالكم وجهودكم المتواصلة المثمرة فى مجال التعريب ، واصدار المعاجم الحديثة التي تشمل مختلف مجالات الحياة » .

* ونعود الى مدينة الجزائر لنلتقي مع رسالة اخرى من رئيس ركن التعريب بوزارة الدولة المكلفة بالنقل الاستاذ مصطفى كمال مغربي نقتطف منها ما يلي : « اشكركم الشكر الجزيل عن الجهود الجبارة التي تبذلونها من أجل تنسيق التعريب فى الوطن العربي ، واطلب الله أن يمدكم بالنجاح الدائم ويوفقكم فى كافة نشاطاتكم » .

* ومن مدينة تلمسان تطالعنا رسالة الأخ عبد الجليل مرتاض قال فيها : « لقد اتيح لي أن اطلع على مجلدين من مجلدات « اللسان العربي » الغراء التي يصدرها مكتبكم الموقر ، واعجبت بما جاء فيها من مقالات ومحاضرات وبحوث قيمة تعد بحق ثمرات جهود مضنية طويلة » .

* ووصلنا من الجزائر خطاب رقيق من السيد ناجي يحيى ، يزجي فيه الشكر للمجلة وهو مغتبط جدا بالنهج الذي تتجه فى دراستها اللغوية وتحقيقاتها المختلفة ويقدم لنا بعض الاقتراحات منها :

— يتمنى أن يبادر المكتب بالكتابة الى جميع المؤسسات العربية والهيئات والمجالس والمعاهد والحكومات حتى تفرض رقابة صارمة ـ وبصفة مستمرة ـ فيما يخص استعمال مختلف المصطلحات التي ينبغي أن تكون موحدة فى جميع أقطار الوطن العربي .

— أن ينشر المصطلح العربي فى صور الانتاج بحيث تمنع كتابة تعريفات المنتوجات التي وجد لها اصطلاح ، بأحرف عربية ومعنى أعجمي مثل « كولونيا » للدلالة على العطر أو الطيب ، وكذا « كازينو ، وبسكوت»

ولا يمنع ترجمة اسم المنتوج الى لغة اخرى ، لكن فى هذه الحالة ينبغي كتابة الاسم بكيفية يظل فيها الاسم العربي هو البارز .

* وهذه تحية من السيد ابن عبد الله الاخضر من وهران بالجزائر الشقيقة كذلك جاء فيها : « اطلعت على المقال الذي نشرته صحيفة « الصباح التونسية » ، والذي نقلته عنها صحيفة « العلم الاسبوعية » ، والذي أثنى فيه صاحبه على الجهود المبذولة لتطوير اللغة وجعلها تساير مسيرة الركب الحضاري ، وذلك بما تبذلونه من مجهودات كبيرة فى هذا المضمار سعيا وراء دحض ادعاءات المغرضين على اللغة فسعدت بذلك كثيرا » .

من الجمهورية الليبية :

* من ليبيا بعث الينا الاستاذ سامي عطا حسين التحية الرقيقة التالية : « ليتني استطيع تصوير مدى اعجابي وتقديري للابحاث والدراسات الجيدة ، وللجهود العظيمة التي تبذلونها فى سبيل لغة القرآن »

* ومن طرابلس حمل الينا البريد الكلمة التالية من الدكتور علي عبد المنعم : « أرجو أن اكون على صلة بهذا الجهد العلمي المنظم الدقيق ، والذي يسهم فى التعريب الفكري بين المثقفين العرب ، والذي يعمل على احياء الثقافة والمدنية العربية كحضارة ذات ابعاد متعددة الجوانب ، بعيدة الاعماق تكون أصلا ثابتا للنهضة العربية المعاصرة » .

* ومن ليبيا ايضا وافانا الاستاذ محمد العيساوي الشتوي بعرض مبسط عن « تهذيب المقدمة اللغوية » للعلائلي .

ولقد اشار الاستاذ الشتوي الى المكانة التي يحتلها الاستاذ العلائلي فى ميدان اللغة والادب ، وعدد كثيرا من كتبه المتنوعة فى شتى المجالات وهي كتب معروفة لدى الباحثين والمتتبعين .

يقول : انقسم الناس امام كتاب العلائلي الى مشفق ومؤيد ومستغرب ـ على حد تعبير الدكتور اسعد علي ـ . . فالاستاذ اسماعيل مظهر سكرتير المجمع المصري للثقافة العلمية ابدى اشفاقه على نفسه، وعلى الكتاب ، وعلى مؤلفه ، اذ اعتبره الصيحة الاولى لقيام التوسع فى اللغة ، هذا الاشفاق من المسئول الرسمي عن الثقافة العلمية . . اما الذين ايدوا الكتاب، ورحبوا به بدون خوف ولا احتراز فهم الاساتذة : الاب انستاس الكرملي ، ابراهيم مصطفى ، طه حسين ، وعلي الجارم ، وعبد الغني حسني ، وسلامة موسى ، ومارون عبود ، وميخائيل نعيمة ، وقد حفلت مجلات ذلك الوقت بأبحاث مطولة حول الكتاب القيم كالمقتطف ، والثقافة ، والشراع ، والاهرام ، والمصري ، والدستور ، والتربية الحديثة . . »

اما المستغربون لكتاب العلائلي فهم المحافظون من اللغويين الذين لا يرضون بالتغيير والتجديد والاجتهاد فى ميادين اللغة الرحبة » .

وبقى هذا الكتاب على حالته وطبعته سنة 1938م الى ان جاء الدكتور اسعد علي فالف سنة 1968 كتابه حول تهذيب المقدمة اللغوية ، ونشرته « دار النعمان» وجاء كتاب التهذيب هذا فى اربعة ابواب وخاتمة .

الاول ـ التطور اللغوي ونشوء اللغة العربية .

الثاني ـ معقول العرب ومستقبل العربية .

الثالث داء العربية ودواؤها .

الرابع ـ المجمع والمعجم .

وقد نوه الاستاذ الشتوي فى الاخير بالمجهود الكبير الذي بذله الدكتور اسعد علي فى « تهذيبه » لمقدمة الاستاذ العلائلي وتمنى اعادة طبع هذا الأثر القيم، حتى يتسنى لكافة الباحثين الاطلاع عليه والافادة منه .

من جمهورية مصر العربية :

* نفتتح هذه السلسلة برسالة من الاديب الأستاذ علي الجندي عضو المجمع العلمي بالقاهرة ، جاء فيها: « لقد أتحتم لنا فرصة ذهبية للاستمتاع بهذا الكتاب الجليل والموسوعة الفذة التي تدل على العلم الغزير والفكر الثاقب والتنسيق الدقيق ، والغيرة على لغة الكتاب العزيز ، فبارك الله جهودكم وافاض عليكم القوة والقدرة ووفقكم لخدمة اللسان العربي واثابكم الثواب الوافر »

* من القاهرة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الأديب الأستاذ وديع فلسطين يقول فيها : « ادعو لكم بمزيد من التوفيق فى مآتيكم العلمية وميادينكم الفكرية فانتم تنهضون برسالة للضاد مقدسة وتخلصون فى ادائها اخلاصا عرفته العامة والخاصة ، وتبذلون من ثمين الوقت والجهد ما نلمس آثاره فى كل

مكان » . **وفى رسالة أخرى منه كذلك يقول :** « اعود الى الثناء على الجهد الذي يبذله مكتبكم الموقر فى خدمة الضاد والترجمة والمصطلحات والمعاجم . وهي تبعات تنوء بها العصبةمن افذاذ الرجال ، وما دمتم متفرغين للعلم والثقافة والفكر ، فخدمتكم هي الباقية فى جماعتنا العربية ، وهي تجمع عليها مشارقنا ومغاربنا ولا تختلف ، فألزموا مكانكم فى ميدان الثقافة والفكر ، وتابعوا نشاطكم بتجرد واخلاص ، واسهروا على خدمة الضاد الحصان فى جامعتنا الكبرى وعروتنا الوثقى وشرقنا الاكبر » .

وهذه رسالة من الأستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بالانابة يقول فيها : « ان معهد المخطوطات يتابع نشاطكم الكبير فى خدمة اللغة العربية واثرائها » .

* وأما الأستاذ محمد ابراهيم عطية فيقول فى رسالته « يسعدني أن أحييكم وأشكركم على هذه الموسوعة العربية الغنية التي تصور مدى ما تقومون به من خدمات جلى وجهود مضنية من اجل رفع شان الاسلام واللغة العربية ، حقا انها لموسوعة لما تتضمنه من دراسات وابحاث ومعاجم تهم كل عربي وكل من يغار على العربية مهما كان تحصيله العلمي، وانني لشديد الفخر والاعتزاز « باللسان العربي » وبأسرة تحريرها » .

* ومن القاهرة نفسها بعثالينا الاستاذ توفيق علي وهبة مدير الشؤون القانونية يفتتحها بقوله : « لقد سعدت أيما سعادة ، بالاطلاع على العدد الثامن من مجلتكم القيمة « اللسان العربي » التي تزخر بالموضوعات القيمة ذات المستوى الرفيع ، وفى الحقيقة لقد سدت هذه المجلة فراغا فى المكتبة العربية فأدعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقكم لخدمة العربيةلغة القرآن الكريم » .

* ومن مصر العربية كذلك حمل الينا البريد الكلمة الرقيقة التالية وهي من الأستاذ المسرحي الكبير زكي طليمات : « ان مجلتكم تفيض بكل مفيد وطريف مما يزيد فى ثراء لغتنا العربية المستحدثة ويعمل على توحيد لسانها وتقارب لهجاتها الاقليمية فى زمن نحن أحوج ما نكون فيه الى الوحدة اللغوية » .

* وتلقينا من الأستاذ محمد صبحي عيسى من قسم الدراسات العربية ــ الجامعة الامريكية ــ رسالة يقول فيها : « لكم اسعدني أن تصدر مجلة كهذه بالمستوى العلمي الدقيق الذي يمتع الدارس المتخصص ويرفع من مستوى لغتنا الغراء ويقرب بين جهود العلماء والدارسين فى جميع انحاء العالم العربي وغير العربي .. وفقكم الله وأفاد بجهودكم فى رفعة شأن العربية أنتم وجميع من يسهرونبطريق مباشر أو غير مباشر فى هذا العمل الجليل » .

* وأما رسالة الأستاذ عبد اللطيف عبد الحليم المعيد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة فقد جاء فيها : « لا يسعني الا أن اشيد بجهودكم الكبيرة التي تسدونها الى اللغة العربية لتعزيز صرحها الشامخ ، اذ انه جهد توفر له الاخلاص الصادق والتفكير القويم ، فلا يملك اي منصف الا أن يذكر بالاجلال والتقدير هؤلاء الذين يقفون بعزم راسخ وراء هذا العمل الكبير الذي يحتل مكانا كبيرا فى عقول الدارسين ووجدانهم » .

* وكتب الينا الأستاذ وجدي رزق غالي من القاهرة أيضا رسالة رقيقة يزجي فيها الشكر للمجلة والعاملين بها ويخبرنا عن صدور معجم له بعنوان « المعجمات العربية » ، ببليوغرافية شاملة مشروحة تقديم الدكتور حسين نصار ويقول انه قام بحصر شامل الى درجة قصوى للمعاجم العربية المطبوعة فى جميع أرجاء العالم منذ اول معجم طبع 1505 حتى آخر معجم صدر عام 1970 .

يقع فى ثلاثة اقسام :

الاول : المعاجم العربية العامة الاحادية اللغة (عربي ــ عربي)

الثاني : المعاجم الثنائية والمتعددة اللغات (عربي ــ أجنبي ، أجنبي ــ عربي)

الثالث : المعاجم المتخصصة ورتب هذا الباب هجائيا على رؤوس الموضوعات الدالة على العلوم ومجالات المعرفة المتخصصة ،

ويخبرنا أن معجمه هذا سجل من أعمال المكتب الدائم « معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية ، والمعجم الصوفي ، والمعجم الفقهي المالكي، وكلها من تأليف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله .

من الجمهورية العربية السورية

* من دمشق وصلتنا رسالة رقيقة من السيد محافظ متحف الفن الحديث ــ المتحف الوطني ــ الأستاذ

حسن كمال جاء فيها : « يسعدني حقا ان اتلقى مطبوعاتكم القيمة التي كانت وما زالت كنزا ثمينا يغني المكتبة العربية التي كانت الى عهد قريب تفتقر الى مثل هذه المعاجم والمؤلفات الأخرى التي نفيد من ابحاثها كل الفائدة ، وننقل الكثير من معارفها الى طلابنا في الجامعة ، اذ فيها يجد القارىء العربي ضالته المنشودة وامنيته التي ظل ينتظرها عهدا طويلا والتي بدأ يحققها بما اصدرتم من كتب هامة في السنوات التي خلت والتي ما زلتم عاقدين العزم على نشرها في المستقبل ، احيي اسرة هذا المكتب العاملة باخلاص وتفان وأتمنى لكم كل النجاح ما دام رائدكم الاعتزاز بلغة الضاد » .

* ومن دمشق كذلك جاءتنا الكلمة التالية الرقيقة من الدكتور عبد الرحمن الصابوني عميد كلية الشريعة بجامعة دمشق يقول فيها : « جزاكم الله كل خير وان « اللسان العربي » لعمل نفخر به مع الأجيال الصاعدة بتحقيق صمود لغتنا وتحديها للزمن » .

* وهذه رسالة ثالثة من دمشق ايضا بعث بها الينا الأستاذ أحمد بهجة قنصه رئيس نقابة التراجمة المحلفين نقتطف منها ما يلي : « اطلعت على بعض منشوراتكم ، ولاسيما ما يتعلق بمعاجم المفردات ويطيب لي أن أعرب لكم عن سروري البالغ بهذا الانجاز العلمي القيم ، الذي يغني لغتنا بما تفتقر اليه من تعابير علمية وتقنية وفنية » .

* ومن العاصمة السورية كذلك تطالعنا رسالة الاستاذ محمد سعيد مولوي الخبير في المخطوطات العربية نقتطف منها هذه الفقرة : « اطلعت بسرور غمرني فيها انها المجلة التي طال بحثنا عنها وتشوفنا عظيم ، وشغف كبير ، على مجلة « اللسان العربي » اليها ، لخدمة لغتنا العربية العظيمة . وتجديد حيويتها ونشاطها بما يؤهلها لحمل تبعات الحياة الجديدة ، والمخترعات الحديثة ، وتطلعات الفكر الجبار »

* ومن مدينة حلب جاءتنا هذه الكلمة الرقيقة من الأستاذ المحامي فرنان باي يقول فيها : « ولا يسعني في هذه المناسبة الا ان اعرب لكم عن بالغ اعجابي وتقديري للجهود الضخمة التي تبذلونها في هذا الحقل ، راجيا الله ان يسدد خطاكم الى ما فيه رقي وازدهار امتنا العربية الماجدة » .

* ونعود الى مدينة دمشق لنلتقي مع رسالة الاستاذ عبد الودود طليمات الذي « يحيي فيها المكتب عن الجهود العظيمة التي يبذلها في سبيل نشر اللغة العربية وتوعية الجماهير العربية وتثقيفها باللغة الفصحى التي هي من أولى مقومات النهضة العربية ادعو الله ان يوفق خطاكم ويسددها لما فيه خير الأمة ووعيها » .

* وهذه رسالة اخرى من الاستاذ وليد حسن السعيد الى السيد مدير عام المكتب نقتطف منها هذه السطور : « من خلال ما راينا وقرانا ، فقد تجلى لنا عظيم عملكم ، وكبير فضلكم في خدمة امتكم وابناء وطنكم ، وفي سبيل الحفاظ على لغتكم العربية انتم ورفاقكم الذين يعملون معكم في المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، ولقد كانت محاضرتكم « ثورية التعريب » التي نشرت في الصفحة السابقة من الجزء الاول من المجلد التاسع ، تعبيرا صادقا عن عملكم الكبير ، وغايتكم النبيلة ، وجهدكم العظيم ، وفقكم الله وسدد خطاكم » .

* وهذه رسالة اخرى جاءتنا من حمص من الاستاذ يحيى عبارة يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم الغراء « اللسان العربي » فراقتني ابحاثها الشيقة ومواضيعها القيمة ، وتحقيقاتها اللغوية الرصينة ، والتعليقات الرائعة على الكتب العربية المحققة ، خدمة للتراث العربي ، وصونا له من الضياع ، وكذلك متابعة مجلتكم لمشكلات التعريب والتصدي لوضع المصطلحات الفنية الملائمة مما جعل مجلتكم فريدة في ابوابها ، وفي طليعة المجلات العربية ذات الشان » .

من الجمهورية اللبنانية

* ومن لبنان نبدأ من صيدا لنلتقي مع الاستاذ محمد العدناني في هذه التحية الرقيقة : « لقد تسلمت الدفعة الأولى من مجلتكم النفيسة ومطبوعاتكم ، فاذهلني ذلك الجهد الجبار الذي تبذلونه لخدمة الفصحى ، واقالتها من عثرتها ، حفظكم الله ذخرا للضاد وبنيها »

* ومن مدينة طرابلس تطالعنا رسالة الاستاذ اكرم صوفي رئيس الدائرة الاقتصادية في لبنان المالي التي جاء فيها : « لقد تسنى لي أن أطلع على الجزئين الأولين لمجلة « اللسان العربي » فاكبرت الجهود المضنية التي اسفرت عن هذا الانتاج الضخم ، وتبدو اللغة العربية احوج ما تكون اليه في عصرنا الحاضر ، لاسيما واننا في عز مسيرتنا الجبارة للانتظام في صفوف الصدارة من موكب الأمم الناهضة » .

* ومن بيروت وجه الينا الأستاذ قاسم منصور مدير الثانوية العاملية التحية التالية : « ونحن اذ نبدي اعجابنا بقيمة هذه الكتب وتقديرنا للمجهود الكبير الذي بذلتموه في سبيل اعدادها ، نشكر لكم تلطفكم بارسال هذه المنشورات الينا » .

وهذه رسالة اخرى من طرابلس كذلك جاءتنا من الدكتور عبد المجيد نقعي يقول فيها : « لقد جاءت « اللسان العربي » لتسد فراغا كبيرا في مجال تنسيق عمليات التعريب في عالمنا العربي وذلك ان المثقفين والعاملين في مجالات الثقافة والفكر كانوا في حاجة ماسة لما أخذتم على عاتقكم القيام به في مجال تسهيل عمليات نقل الفكر الاوروبي الى اللغة العربية وبصورة خاصة في مجال نقل التراث العربي الى اللغات الاوروبية » .

* وهذه رسالة اخرى من بيروت بعث بها الينا الاستاذ حسن شقير جاء فيها : « سنحت لي الفرصة أن اطلع على « اللسان العربي » فأعجبت بما تضمنته هذه المجلة من أبحاث واجتهادات قيمة في اللغة العربية وارتباطاتها الفكرية والعلمية والثقافية بلغات أخرى ، كاللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ، فوجدت أنه بامكاني الاعتماد الى حد بعيد على مجلتكم الغراء»

* ومن مدينة زحلة وجه الينا الاستاذ جورج ليان حميصه هذه التحية : « في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ أمتنا ، وبينما تستيقظ معاني القومية في وجدان شعوبنا سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية أو الثقافية ، تستوقف المثقف العربي بعض مظاهر هذه اليقظة في منظمتكم الثقافية الكريمة ، لاننا نجد انفسنا اليوم احوج ما نكون الى جهودكم الخيرة في سبيل ايجاد معجم لغوي وعلمي كاللسان العربي » بغية احياء وبعث لغتنا العربية بحيث تهضم معطيات الحضارة الجديدة وتناضل فيها » .

* ونعود الى بيروت لنلتقي مع رسالة الأستاذ جوزف افرم البستاني رئيس دائرة المكتبة المركزية التي جاء فيها : « انه لمن اسعد المناسبات هذه التي تتيح لنا التعبير الوافي عن مدى اغتباطنا وفخرنا البالغين بهداياكم الخطيرة في اهميتها والنفيسة في قيمتها والناتجة عن مجهودات ذوي العلم والكفاءة المشحونة بالطاقات الأدبية والثقافية والفكرية والعلمية ، والتي تعطي بالتالي ثمارها الطيبة لتتغذى بها أجيال المستقبل من المثقفين من خلال مكتباتنا العامة التي لا يمكن لها أن تنمو وتتسع الا بهذه الاعمال المبنية على الفكر المبدع في مختلف ميادين الحياة المعاصرة »

* ومن الخيام كتب الينا الأستاذ فايز عباس ابو عباس يقول : « تحياتي وتقديري للمجهودات الضخمة التي تبذلونها ، لاخراج أعداد « اللسان العربي » الذي هو بحق من أروع ما انتج من دراسات وموضوعات لغوية وعلمية وادبية وغيرها ، مما يجعل منه مصدرا لا يستغنى عنه كل باحث ودارس ، ومرجعا يعود اليه في كل حقل من حقول المعرفة الانسانية »

* « بسرور وغبطة وتقدير بالغ لعملكم الجليل ، طالعت على مجلتكم الغراء « اللسان العربي » فوجدتها بحق دواء ناجعا للسان العربي الخالد لذلك كاتبتكم شاكرا ومقدرا لكم هذه الجهود الكريمة في سبيل خدمة اللغة العربية ، ولما تقدمون من زاد لغوي حي تتغذى به المكتبة العربية » . هذا بعض ما جاء في كتاب الاستاذ سليم نجيب البيطار من المنية بلبنان .

من المملكة الاردنية :

* من عمان حمل الينا البريد التحية الرقيقة التالية من الدكتور عبد العزيز الدوري من الجامعة الاردنية: « أود أن أعرب لكم عن بالغ تقديري لجهودكم القيمة ولانتاجكم المثمر في خدمة العربية »

* من عمان جاءتنا رسالة من الاستاذ عيسى الناعوري سكرتير اللجنة الاردنية للترجمة والتعريب والنشر يقول فيها : « أرجو ان تأذنوا لي بابداء ملاحظة عرضت لي وانا أعود الى مطالعة اعداد مجلة « اللسان العربي » النفيسة التي لا شك في انها تؤدي رسالة رفيعة جدا ، هي رسالة النهوض بلغة الضاد العزيزة ، وابراز مزاياها وخصائصها المهمة ، ليكون ذلك وسيلة الى اعادتها الى عزها وزهوتها وغناها ، وبالتالي الى اعادة العزة القومية الى اهل هذه اللغة المجيدة » .

ويشير الاستاذ عيسى الناعوري في رسالته ملاحظة مهمة تتعلق بالترقيم فيقول : « ان العناية بالترقيم في بعض الابحاث التي تنشر في المجلة اما انها مفقودة تماما ، واما انها غير كافية ، وعلامات الترقيم اصبحت من العوامل المهمة ، المساعدة على صحة القراءة وجودتها » .

ويضيف قائلا : « انا لا اجهل ان العرب القدماء لم يعرفوا الترقيم ، وان الكتب القديمة ـ الا في بعض

طبعاتها الحديثة ـ تخلو منه خلوا تاما . ولقد وجدت عناء كثيرا في مطالعة تلك الكتب ، فكنت اضطر الى قراءة الفقرة الواحدة مرارا ، لأعرف كيف اقراها قراءة صحيحة سليمة المعاني .

ولست اجهل كذلك ان علامات الترقيم حديثة العهد ، ولعلنا أخذناها في ما أخذنا ـ عن الغرب الحديث . ولكننا فعلنا حسنا جدا في ذلك . فقد اصبح الكاتب منا يعرف كيف يجزيء عبارته وفقا للمعنى ، وكيف يعطي المعاني حقها في الجمل عن القراءة » .

ثم يشير صاحب الرسالة الى انه لاحظ بشكل خاص ان جميع الابحاث التي يكتبها الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، رئيس تحرير المجلة ، خالية تماما من علامات الترقيم ، كما ان هناك ابحاثا أخرى تخلو جزئيا من هذه العلامات » .

ويضرب امثلة على ذلك ، بمقال الدكتور محمد المبارك ، من جامعة دمشق حول « التفاعل الحضاري في تكوين اللغة وتطويرها » المنشور في العدد السابع من المجلة ؛ وبمقال الدكتور شوكت الشطي ، كذلك ، حول « تبلور الفكر العربي في علم الطب » المنشور في العدد السادس .

ثم يضيف : « ان تقدم اللغة ، وتطورها يتطلبان تيسير قراءتها ، وتسهيل الوصول الى تناول ما تقدمه من معان . وعلامات الترقيم تساعد على ذلك مساعدة كبيرة ، وتوفر على القارىء جهد الركض واللهاث في قراءة لا يعرف اين يقف منها ، واين يسير ، والى أين ينتهي » .

« **اللسان العربي** » : تشاطر الاستاذ عيسى الناعوري ما ذهب اليه من رأي ، لأن مسألة الترقيم اصبحت حقيقة من الضروريات في جميع الكتابات والتأليف لكونها تخفف على القارىء عناء المراجعة ، وتسهل عليه تفهم المعنى بسرعة ويسر .

ونحب ان نشير هنا الى انه اذا اهمل الترقيم في بعض المقالات والبحوث فليس معنى ذلك ان الكاتب توخى ذلك عن قصد ، وانما هو راجع في عديد من الاحيان الى عوامل شتى ، منها طريقة الكاتب في الكتابة او التصنيف ، او قد يكون احيانا سبب سقوط اكثرها عند التصحيح ـ غير اننا سنولي هذا الامر مزيدا من العناية .

ومع تقديرنا لملاحظة الاستاذ الناعوري ، نشكره ونتمنى ان يوافينا دوما بملاحظاته القيمة واقتراحاته السديدة .

من المملكة العربية السعودية :

* من الرياض وجه الينا الاستاذ عثمان الصالح رسالة رقيقة نقتطف منها ما يلي : « لقد وفق الله المغرب العربي المسلم الى تصحيح اللسان العربي بكفاح في تنقيح اللسان وتوشيته بالبلاغة والبيان ليعود لساننا كما كان ابان ازدهار اللغة العربية فيرجع الينا أمثال الأصمعي والكسائي وسيبويه وغيرهم من اركان العربية الفصيحة وان المكتب الدائم لتنسيق التعريب ليعد ثورة على الدخيل على اللغة يطهرها من كل ما شابها من لكنة او عجمة ، انني لشغوف بكل ما يصدر عن هذا المكتب من جلائل الأعمال »

* ومن القصيم حمل الينا البريد التحية التالية من النادي الأهلي الثقافي جاء فيها : « لقد اطلعنا على مجلتكم « اللسان العربي » فوجدناها مليئة بالبحوث العلمية ولقد اطلعنا على التراجم في مختلف الفنون والعلوم وتعد هذه المجلة الرباط الذي يجمع بين الشرق والغرب ، تقبلوا صادق تقديرنا لما تبذلونه من جهود في سبيل العلم واللغة »

* ومن مكة المكرمة جاءتنا هذه التحية من رابطة العالم الاسلامي ، الأمانة العامة من الاستاذ محمد صالح القزاز الأمين العام نقتطف منها هذه السطور: « ما زلنا نتابع نشاط المكتب ونثني على اعماله وجهود رجاله المشكورة ، راجين لهم التوفيق في مهمتهم وتحقيق غايتهم »

* ومن جدة وجه الينا الاستاذ محمد ثاني هوساوي الكلمة الرقيقة التالية : « اهنىء نفسي وكل الذين يلتقون حول مائدة القرآن لينهلوا النبع الصافي للعمل الكبير الذي ساهم به المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي في خدمة لغة القرآن ، انه لجهد عظيم يثلج صدر كل مسلم غيور ، **فما احوجنا الى كشف كنوز لغتنا وما احوجنا للرد على كل المحاولات التي تستهدف طمس معالم لغتنا المشرقة ومكتبكم في هذا الصدد يضطلع بالدور الكبير الذي أنيط به منذ تأسيسه ولقد تمثل هذا الجهد في مجلدات « اللسان العربي »** وفي غيره من المطبوعات القيمة التي تصدر عن داركم الموقرة » .

* من جدة كذلك وصلتنا رسالة رقيقة من الاستاذ علي حافظ جاء فيها : « اشكركم واقدر مجهودكم العلمي اللغوي التعريبي » الذي تخدمون به لغة القرآن والاسلام اجل الخدمات ، ولست ادري لو لم يكن هذا المكتب كيف كان حال لغتنا بالنسبة لأحداث العالم التي تتوالى وتتجدد كل ساعة » .

من الجمهورية العراقية :

* من بغداد وصلتنا هذه الكلمة الرقيقة من الدكتور توفيق ابراهيم غنيم — كلية الطب البيطري ، جاء فيها: « من الأشياء التي تثلج صدر المرء وتجعله سعيدا في غدوه ورواحه ان يرى لغته العربية وقد صارت في مصاف اللغات الحية ، لغات العلوم والفنون — لغة القرآن الكريم والحياة ، **انني اتابع باهتمام كل ما تنشره مجلتكم الموقرة ((اللسان العربي)) واعاهدكم أن أعمل جهدي في نقل هذه الجهود الجبارة لأبنائي الطلبة وزملائي في العمل))**

* من بغداد كذلك بعث الينا الأستاذ صبيح الغافقي برسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « لست في حاجة الى أن أعيد ما ذكرته لكم شخصيا في الرباط من أن مجلة « اللسان العربي » وملاحقها المعجمية لا تمثل اتجاها خاصا في خدمة لغة القرآن ، ووحدة الفكر العربي ، والعمل من أجل نشر الثقافة الاسلامية الصافية ، **وانما يمثل هذا المجهود في رأيي جامعة عربية لوحدها** ، وما احوجنا في هذه المرحلة الى مثل هذا المجهود الضخم الذي ينشر وحده لواء المعرفة الصادقة للجماهير العربية »

ويقترح حضرة الاستاذ على المجلة أن تكرس جانبا من كل عدد من « اللسان العربي » لاحياء الفكر الاندلسي ومتابعة الجديد من ابحاثه وتسجيل الاكتشافات التي يصل اليها الاثاريون الاسبان »

* ومن مدينة البصرة وجه الينا الأستاذ عادل يعقوب يوسف من كلية العلوم جامعة البصرة — رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « لن ازيد مقدار ذرة على المجلة فلو اثنيت واطنبت في ثنائي فهي بلا مدافع مجلة العرب الاولى ، وليتني املك مكتبة لا تضم الا اعداد هذا السفر القيم ، ولاغنيت نفسي عن مشقة البحث والتنقيب في بطون الكتب ، نحن ندرس في الجامعة العلوم بلغة اجنبية هي لغة الدراسة الرسمية وفي الفرع الذي انتمي اليه — علوم الحياة — تدرس اسماء الاحياء والاعضاء باللغة اللاتينية ، واقسم انني وزملائي نحفظ اسماء الاعضاء والاصطلاحات دون ان نعرف معانيها فنعرف ان الاسم كذا يعود الى العضو كذا ، ولكن ما معنى هذا في لغتنا .. لا ندري .. وتخلو المعاجم الانجليزية من هذه الاسماء ، لذا فقد كان لمجلتكم ومعاجمكم فضل علينا لا يعادله فضل لما فيها من الفائدة ما يربو على شعر الراس. ولشد ما اعجبني في المجلة باب **(قل ولا تقل)** الذي يحارب الدخيل ويحل محله اللفظ العربي الأصيل »

* ونعود الى بغداد لنلتقي برسالة الأستاذ محمد عبد الرزاق التي افتتحها بقوله : « لقد اطلعت مؤخرا على العدد الاخير من مجلتكم الغراء وانشرحت لها نفسي ، وشغف القلب وهفا لها لما تضمنته من مواضيع في اللغة العربية على قدر بالغ من الأهمية والقيمة »

* ومن بغداد نفسها حمل الينا البريد هذه التحية الرقيقة من أمين مكتبة النفط الوطنية العراقية الأستاذ حسين محمد حسن تويج جاء فيها : « ان طوق الجميل الذي طوقتموني به ما زال ولم يزل في موضع الاعزاز والاكبار مني ما بقيت منذ أن بدأت مجلتكم الزاهرة « اللسان العربي » يحملها البريد الي من المغرب الاقصى تباعا ، فانكب — عليها ما وسعني الوقت — انهل منها واعب ، وما ان بدأت في تصفح المجلد الثامن من المجلة حتى وجدتها غنية بمحتواها منسقة في تبويبها وعرضها للمواد ، وقد راقني الجزء المخصص منها لمادتي البترول والجيولوجيا فلم املك نفسي دون قراءته من الفه الى يائه فوجدته عميم الفائدة لي ولاخواني العاملين معي في نفس المؤسسة مما حداني ان اطلب اليكم التفضل بارسال خمس نسخ من المجلد الثامن باجزائه الثلاثة لكثرة الطلب عليها وشدة الحاجة اليها وبهذا تضيفون منه الى ما سبق منكم من أياد بيضاء ومآثر تذكر ، وفي الختام لا يسعني الا أن أكبر فيكم هذه الروح الوثابة في نشر اسباب الثقافة وتعميمها وفقكم الله لما فيه خير امتنا ورفعة مكانتها بين الأمم »

* وننتقل الى الكاظمية لنلتقي مع تحية اخرى رقيقة من أمين مكتبة جمعية التوجيه الاستاذ الحاج حسين الشيباني حيث يزجي فيها الشكر للمكتب مقدرا الجهود المبذولة لتهيئة وطبع واخراج هذه المطبوعات بشكلها المفيد راجيا للمكتب التوفيق في كافة اعماله ومنجزاته » .

* وهذه رسالة أخرى من بغداد بعثتها الينا صاحبة مكتبة الصياد السيدة سلمى مجيد حميد العبيدي تقول فيها : « فقد تصفحنا مجلة « اللسان العربي » فوجدناها زاخرة بالبحوث والمواضيع التي لا يستغنى عنها اي مثقف عربي وقد زادها فخرا أن تصدر في المغرب الأقصى لتكون جسرا يعرف ويربط بين أبناء الوطن العربي شرقه وغربه » .

* ومن بغداد كذلك وجه الينا الأستاذ مسلم حمزة مهدي الكلمة الرقيقة التالية : « لقد ملئت فرحا عندما سمعت بصدور مجلة « اللسان العربي » حيث عثرت على هذا الكنز العظيم في كلية الآداب بجامعة بغداد ، ان لهذه المجلة الفضل الكبير في انتشار اللغة العربية خاصة في مناطق شمال افريقية وجنوب جزيرة العرب وغيرها من أصقاع عالمنا العربي »

* ومن سليمانية بعث الينا الاستاذ عبد الأمير الورد برسالة رقيقة يقول فيها: « أحيي مجلتكم المباركة « اللسان العربي » هذه المجلة الرائدة في لغة العرب في عصر أصبحت فيه أحوج ما تكون الى من يشد أزرها وهي تواجه هذا التيار الجارف من الكلمات التي تأتينا بها الحضارة المتطورة في العالم المحيط بها » .

* من الأستاذ الشيخ يونس السامرائي صاحب مجلة « **صوت الاسلام** » جاءتنا هذه التحية : « فقد تصفحت أعدادا من مجلة (اللسان العربي) فوجدتها خير لسان يترجم لنا لغة الضاد ولغة القرآن الكريم ولا شك ان استمرار اصدارها ووصولها الى القراء سوف يعمل على توحيد اللغة الفصحى بين أبناء الوطن العربي الواحد وبعدها سوف تكون خير بشير للعربية والاسلام » .

* وهذه رسالة من الأستاذ غالب عباس جاء فيها : « لقد شدني الشوق وملأتني الفرحة وراودتني البشرى لهذه الأمة المجيدة التي كتبت أعظم فخر للانسانية ولا زالت تبني جديدا مشيدا على ماضي تليد وذلك بفضل رعاية ابنائها الذين لا يألون جهدا في سبيل تقدمها ورقيها ومسايرتها لركب الحضارة الجديدة بأساليب شتى منها الاعتناء باللغة لسان الأمة وسلاحها على يد مكتب التعريب التابع لجامعة الدول العربية الذي يبذل مساعي جبارة في هذا المضمار » .

* ومن بغداد حمل الينا البريد الخطاب التالي من الاستاذ خضير مروك الجنابي : « لقد كان اعجابي كبيرا بمجلتكم « اللسان العربي » وذلك لما تحتوي عليه من موضوعات علمية وأدبية ممتعة وما تتسم به من جدية نبيلة القصد ، عظيمة الفائدة ، ولقد قدرت حق التقدير الجهود الجبارة الفريدة التي يبذلها السادة أعضاء المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يحملون ».

* ونختتم جولتنا في العراق برسالة من السيد علوان كريم منى : « اطلعت على الموسوعة الكبيرة (اللسان العربي) وتفصحتها عن كثب فنالت اعجابي واكباري لما تحتويه من بحوث قيمة بأقلام كتاب أجلاء رصدوا أنفسهم لخدمة اللغة العربية وتخليصها المكتب بمثل هذه الحركة والحيوية التي بها يعملون ».

من دولة الكويت

* ومن الكويت الشقيقة جاءتنا هذه التحية من الاستاذ أحمد عبد الغني باغي ، يقول فيها : « أشكر كل من شارك في تحرير « اللسان العربي » ، القراء ، مقدرا مجهودهم الكبير ، ومسعاهم المحمود، نفعنا الله به ، ونفع أمتنا ووقاها شر الدخيل من الكلمات ، والأفكار والأحكام التي أخذت تتفشى ، وتستشري وتفتك في جسم أمتنا وتراثها الاصيل ، وشريعتها النقية البيضاء » .

* ومن الكويت كذلك وصلتنا الرسالة التالية من الاستاذ محمد حمد ابراهيم الفوزان جاء فيها : « كنت في زيارة الرباط في صيف 1970 وسمعت من صديق الطرفين السيد قاسم السداح الثناء الجم على جهودكم المباركة في مجال التعريب وكنت حريصا على التشرف بلقائكم لولا ان اقامتي القصيرة في الرباط لم تمكني من ذلك ، وعلى كل فاننا في المشرق العربي نتابع جهودكم الخيرة بكل اعجاب وتقدير جزاكم الله أحسن الجزاء »

* ومن الكويت الشقيقة كذلك حمل الينا البريد هذه التحية من السيد المدير العام لغرفة تجارة وصناعة الكويت الاستاذ هيثم الملوحي جاء فيها : « أتاحت لنا احدى الزيارات لمكتبة الجامعة الامريكية في بيروت فرصة الاطلاع على بعض المعاجم الصادرة عن مكتبكم الموقر ، وتأكد لنا ان هذه المعاجم تعتبر لبنة اساسية وقوية في مكتبتنا العربية ومرجعا هاما لكل باحث »

من جمهورية السودان :

* من الخرطوم وجه الينا الأستاذ يحيى محمد ابراهيم عن مدير دار الوثائق المركزية رسالة نقتطف

منها هذه السطور : « ننتهز هذه الفرصة لنعرب لكم عن عظيم سرورنا بهذا المجهود الكبير الذي تقومون به لخدمة الثقافة ودعم الروابط الثقافية فى الوطن العربي »

من البحريـــن :

* من المنامة وجه الينا السيد جاسم محمد جاسم الدرازي رسالة مطولة نقتطف منها ما يلي : « انني اشكركم من الأعماق على هذه الجهود العظيمة التي تبذلونها سعيا وراء نشر الثقافة وطلبا لرفع مستوى الفرد العربي العلمي وتغذيته بشتى فنون العلم والأدب واطلاعه على كل ما استجد واستحدث فى عالم المصطلحات واللغة »

* وهذه تحية اخرى من البحرين كذلك وصلتنا من السيد عبد الاله حميد الصباح جاء فيها : « انني من المعجبين بمجلتكم الثمينة والمشوقة وان هي الا مرجع كبير يفيد كل متعطش للعلم وطالب له ارجو لكم التوفيق فى كافة مشاريعكم لخدمة الأمة العربية بما تضطلعون به من أعباء » .

* من السيد سالم عبد الله سالم جاءتنا التحية التالية : « انني لا أستطيع التعبير من عظيم امتناني لما تسدونه لأبناء العروبة من أياد بيضاء ناصعة مساهمة منكم فى خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن العظيم . ولست بمغال اذا قلت انني تعلمت الكثير من أسرار لغتنا الحبيبة من مجلتنا الغراء (اللسان العربي) أكثر مما تعلمته فى دراستي الجامعية المختصة فى هذا المجال ، وهذا راجع لما تحتويه مجلتكم من موضوعات حية معاصرة تجعلني مدينا لكم ومعددا لأفضالكم » .

من الجمهورية الاسلامية الموريتانية :

* من نواكشوط جاءتنا رسالة من وزارة التربية والثقافة من مفتشية التعليم الابتدائي بالوسط الشرقي تقول : « لقد تصفحنا المجلدين السابع والثامن من المجلة الدورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب فى العالم العربي ، ولا يسعنا الا أن نعبر لكم عن سرورنا وارتياحنا لهذا العمل الجليل الذي نعتبره ـــ نحن هنا ـــ فاتحة عهد جديد فى حياتنا » .

* ومن نواكشوط كذلك بعث الينا السيد حمود بنعبد الودود برسالة جاء فيها : « اسمحوا لي أن أعرب لكم عن اعجابي وتقديري لما تقومون به من رعاية وتوجيه وتنسيق فى سبيل رقي ونهضة اللغة العربية لتتسع مدارك الناطقين بالضاد عن طريق ما تصدرونه من قيم المنشورات الممثلة فى مجلتكم الغراء « اللسان العربي » .

من باكستـــان :

* ومن السيد سفير المملكة المغربية بباكستان وماليزيا ـــ اسلام آباد جاءتنا التحية التالية : « لا أستطيع أن أعبر لكم عن تقديري ، واعجابي للجهود المثمرة التي تبذلونها ويبذلها مكتب التعريب : **وهي جهود تقدر هنا عند علماء هذه البلاد** وتقوم السفارة بتوزيع منشوراتكم على ذوي الاختصاص والمعرفة » .

ـــن تركيـــا

* من اسطانبول حمل الينا البريد خطابا رقيقا من السيد بكر قاراليف من دار الحكمة والدعوة نقتطف منه هذه السطور : « نرجو الله عز وجل أن يوفقكم ويوفق العالم الاسلامي فى نهضاته العلمية والثقافية والدينية ، نتمنى دائما أن نتوصل بأسفار مجلداتكم القيمة « اللسان العربي » .

من هولانـــدة :

* من هولاندة وجه الينا السيد محمد سليماني خطابا جاء فيه : « اننا نحاول ونعمل من أجل ادخال الكلمات المعربة الجديدة قصد تحسين لغتنا ونحن ننوه دائما فى هذا الصدد بمكتبكم الجليل الذي يعمل باستمرار من أجل رفع اللغة العربية الى المكانة اللائقة بها وجعلها لغة كل الميادين العلمية المعاصرة، **ونزداد فخرا بمكتبكم عندما يطلع الأجانب على اعمالكم الجبارة فيدهشهم المستوى الذي وصلتم اليه** » .

من السويـــد :

* من قسم الدراسات العربية بجامعة غوتنبورغ كتب الينا الاستاذ فاروق ابو شقرا يقول : « أثناء وجودي بمعهد الدراسات العربية فى جامعة غوتنبورغ الملكية راجعت مكتبة هناك حيث لا تحتوي على كتب

كثيرة تتعلق بالدراسات العربية والاسلامية لذلك يدفعني الامل بكم والتطلع الى مساعدتكم بتزويد مكتبة المعهد بما يصدره مكتبكم بما يعطي انعكاسا ايجابيا لثروة لغتنا الواسعة من آداب وقيم علمية يستفيد منها الطالب والباحث والمستشرق وكل من يهمه الاطلاع على حضارتنا » .

من اسبانيا :

* من كلية الفلسفة والآداب فى بلنسية جاءتنا رسالة من السيد المدير العام المكلف بقسم اللغة العربية يقول فيها : « لقد اطلعت على مجلتكم « اللسان العربي » فوجدتها على جانب كبير من الاهمية فى خدمتها للغة العربية المعاصرة »

من ايطاليا :

* من روما بعث الينا السيد عزرا هنري جورجي عن مدير مكتب الاعلام والتوثيق بمعهد الامم المتحدة لأبحاث الدفاع الاجتماعي ، كلمة رقيقة جاء فيها : « اتشرف بالكتابة اليكم شاكرا على ما زودتم به مكتبنا من مطبوعاتكم القيمة التي هي ثمرة الجهود المتواصلة فى سبيل تنسيق التعريب فى العالم العربي. واود ان انقل لكم اهتمام مركزنا فى روما بما تصدرونه من مطبوعات خاصة مجلة « اللسان العربي » .

من فرنسا :

* من السيد مدير المكتبة العربية بجامعة ليون (قسم الدراسات العربية) جاءتنا التحية التالية : « لقد وصلتنا اعداد « اللسان العربي » الغراء واننا لنشكركم لكون هذه المجلة سوف تعمل حتما على تطوير معرفة الطلاب للغة العربية » .

من بولاندا :

* من مدينة كراكوف بعث الينا السيد طاهر شافي الطالب « بمعهد التعدين » فرع البترول قسم الحفر رسالة يقول فيها : « كان لي شرف عظيم بأن اطلعت على ما تنشرونه فى « اللسان العربي » وبالتحديد على معجم البترول ، ان محتوياته كانت دائما بالنسبة لي شيئا مجهولا ، قبل اطلاعي على هذا المعجم كنت اجهل المقابلات العربية لعديد من المصطلحات ، ولكني بعد ان اطلعت على المعجم المذكور فى مجلتكم « اللسان العربي » كان سروري عظيما » .

من يوغوسلافيا :

* من يوغوسلافيا وصلتنا من السيد نياز محمد سكريج التحية التالية : « لا شك انكم تعلمون بوجود عدد غير قليل من المسلمين فى بلادنا لهم رغبة فى التثقيف بالثقافة العربية الاسلامية ونحن نعتبر مجلتكم الغراء « اللسان العربي » احدى وسائل هذا التثقيف نظرا للدور الذي تقوم به فى صالح الأمة العربية والاسلامية » .

من بريطانيا :

* من قسم المعاجم الانجليزية ــ العربية بأكسفورد بعث الينا السيد ن. س دونياك بالكلمة التالية : « سرني أن أتسلم الأجزاء التي ارسلتموها من مجلتكم الغراء « اللسان العربي » وبعضها خاص بالقواميس وقد احسست بالمجهود الكبير الذي تبذلونه فى سبيل التعريب ، تقبلوا تحية تقدير واعجاب » .

* وفى رسالة اخرى للسيد دونياك يقول : اثارت مجلتكم اهتمامنا منذ زمن بعيد ذلك لصلتها الوثيقة بعملنا فى وضع المصطلح العربي ــ الانكليزي ولما بهامن مقالات وابحاث لغوية قيمة ، لكم شكرنا وتقديرنا لما تقومون به من مجهود فى خدمة اللغة العربية وتطويرها » .

* ومن نفس القسم كتب الينا الأستاذ محمد محمد حلمي هليل خطابا جاء فيه : « بمزيد من الغبطة تسلمت اجزاء من مجلتكم الدورية « اللسان العربي » التي يصح لنا ان نفتخر بها وسرني ان اطلع عليها الزملاء المستشرقين هنا ، شكرا جزيلا لكل يد ساهمت فى هذا العمل الكبير ولجهودكم فى خدمة لغتنا الحبيبة هذا وقد سارعت بدراسة الجزء الثالث من المجلد الثامن فازددت ايمانا بهذا الجهد الذي بذل .. وقد اعجبت جدا بباب « قل ولا تقل » ويا حبذا لو ظهر ما جمعتموه فى شكل كتيب ان امكن .

والاجزاء التي ارسلتموها ستبقى لنا هنا مادة غنية للقاموس الذي نعمل حاليا فيه وسأوافيكم بملاحظاتي بعد دراسة الأجزاء باذن الله .

ــ نشكر السيد محمد محمد حلمي هليل على عواطفه النبيلة واما بخصوص ملحوظته حول باب «قل

ولا تقل » الذي يطلب منا جمعه ، ننهي اليه أننا كنا قد نشرنا كتيبا مستقلا يحمل نفس العنوان فى سلسلة حملاتنا على الدخيل الاجنبي .

من الأرجنتين :

* من بينوس أيرس كتب الينا الرحالة الشاعر الاستاذ يوسف العيد رسالة مطولة جاء فيها : « ان مجلة (اللسان العربي) اليوم هي اللواء الذي يقتفي اثره الأدباء العرب وسوف يبقى خالدا لتتكلم عنه الأجيال الآتية بالاكبار والتعظيم ، ما اجمل هذا الاسم الذي يبخر الفم ، ويرقص الأعصاب عزة بلغتنا : لغة القرآن الشريف ، وأؤكد أن المجلة ترى بعيني كل اديب عظيمة بغايتها وكبيرة ببحوثها اللغوية وتجديدها كلاما خلقه التطور البشري ، وتعريبها لأسماء المخترعات الجديدة المستنبطة بأسماء أعجمية فهي الضالة المنشودة التي ينشدها كل اديب عربي ، هذه جهود جبارة وخدمات جليلة للغة الضاد » .

وبعد هذه التحية يسوق صاحب الرسالة رأيا فى الشعر الحديث ، ويعتب على المجلة عدم نشرها للشعر الكلاسيكي ، ويحسن أن نورد كلمته فى هذا الصدد ليطلع عليه القراء : « ارى ان المجلة تهتم بنشر النثر ولا غرو فهي أنشئت لهذه الغاية ولكنها لم تهتم بنشر الشعر الكلاسيكي ولو قليلا ولا اقول الشعر الرمزي الذي اراه كرقعة قاتمة على ثوب ابيض ناصع خالص من الشوائب السمجة وانتم ترون ان هذا الشعر الرمزي يبرز الى ميدان الخليل بن احمد الفراهيدي على فرس ليكسب قصب السبق فيه ولكن هيهات هيهات ان ينتصر وأوكد ان اتباع الشعر الحديث ينظمون اشعارهم وهم انفسهم لا يفهمونها فكيف لنا أن نفهمه نحن أصحاب الأوزان الشعرية والقوافي الرنانة ، هم يقولون : ان الشعر الحديث يؤثر فى تكثيف التعاطف بين الجماهير والشعراء لان الشعر الكلاسيكي متحجر ، وأي عاطفة يشعر بها قارىء قصائدهم ما دام لا يفهمها وما هي الا كالصور الرمزية التي أخذ بعض الرسامين يرسمونها وأين منها صور رفائيل ودافنشي وجورجوني وتنتوريتو الخالدة المتكلمة بدون لسان .

لا يحسبن هؤلاء الشعراء الرمزيون اننا نحن الشعراء بالكلاسيكية من المحافظين المتحجرين هذا وان نعتونا بهذه النعوت فكلامهم يحول عندنا شري اشعارنا صورا خلابة جميلة رنانة كعود موزة .

ان مجلة « اللسان العربي » هي اليوم بمقدمة الصحف والمجلات العربية فى العالم كله فاذا لم تتدارك تيار الشعر الرمزي بمقالات واضحة حرة صادقة فأية مجلة غيرها تقف لتقول الكلمة الحق ، وكم اكبر فى المجلة قولها : يسرنا أن نجعل من المجلة ميدانا للنقاش العلمي الحر ، فهذا القول يشجعني لارسال مقالي هذا لها . كما أطلب أن يكون فى المجلة نصيب للشعر الكلاسيكي » .

— وبما أننا جعلنا هذا الباب من القراء واليهم ، لذا فقد نشرنا راي الشاعر يوسف العيد فى الشعر الحديث ويظل باب النقاش مفتوحا أمام القراء ، وأما بخصوص نشرنا للشعر الكلاسيكي فنحن لا نرى مانعا من ذلك غير أن معظم اهتمامنا ينصرف الى نشر البحوث والموضوعات اللغوية التي هي محور المجلة .

من الهند :

* من دلهي الجديدة جاءتنا رسالة مطولة من الأستاذ عبد الحليم الندوي رئيس القسم العربي بالجامعة الملية الاسلامية جامعة نجر نقتطف منها ما يلي : « اسمحوا لي أن اشكركم الشكر الجزيل كما ارجو ابلاغ امتناني بواسطتكم الى جامعة الدول العربية الموقرة ، لهذا الكرم والمنة التي تختصون بها طلاب العلم واللغة العربية وخاصة فى بلد بعيد عن مهد العروبة — الديار الهندية — والتي ظلت تعمل جديا بكل نشاط واخلاص ، للنهوض بهذه اللغة الشريفة ونشر لوائها فى هذه الديار ، ورغم تقلبات الزمن لا تزال توجد عندنا جامعات ومعاهد عربية كبرى تتحمل مسؤولية تثقيف الجيل الناشىء الاسلامي بالثقافة الدينية الاسلامية العربية من ناحية، ومن ناحية أخرى تقوم بتعليم الطلبة اللغة العربية وآدابها ، بحيث يتمكنون من اتقانها قراءة وكتابة وكلاما . والى جانب هذه المعاهد والجامعات الدينية التي تضاهي بعضها جامعة القرويين ، والجامع الأزهر ، مثل دار العلوم ديوبند ودار العلوم لندوة العلماء ، توجد عندنا جامعات عصرية اسلامية ايضا، مثل الجامعة الملية الاسلامية بدلهي الجديدة والجامعة الاسلامية بمدينة عليجرة ، والجامعة العثمانية بمدينة حيدرآباد بجنوب الهند ، التي تتولى مهمة تدريس اللغة العربية الى جانب تدريس العلوم والمواد العصرية الأخرى »

ويضيف الأستاذ الندوي قائلا : « وقد اثمرت الجهود التي بذلتها الأمة الاسلامية في الهند بواسطة هذه المعاهد والجامعات ، أن الهند لم تزل توجد بها نخبة مختارة من المتضلعين باللغة العربية والملمين بها ، فأنجبت علماء وأدباء وشعراء ، كان لهم القدح المعلى في دنيا الأدب والفن ، تفيض بذكرهم أقلام كبار الأدباء العرب والعلماء ، **ولست مغاليا اذا قلت ان التعاون الذي نحظى به من جانبكم في هذا الحقل يحفزنا الى المزيد من العمل الجدي المثمر ويشجعنا للمضي قدما نحو الأمام في هذا المضمار .**

واننى اذ اشكركم على حسن صنيعكم بنا هذا ، **اعبر عن تقديري للجهود الجبارة التي تبذلونها نحو انماء ثروة اللغة العربية بتعريب المصطلحات الأجنبية الحديثة ، والقيام بدراسات قيمة ثمينة حول مختلف الموضوعات والمواد المتعلقة بتطور اللغة العربية** وازدهارها عبر تاريخها المديد الزاخر فجزاكم الله عن اللغة والعروبة خير الجزاء » .

« واللسان العربي » اذ تشكر الأستاذ الندوي عن هذه المعلومات القيمة التي وافانا بها عن النشاطات العلمية والجامعية التي يضطلع بها علماء الاسلام في الهند — والتي ننشرها تعميما للفائدة — تتمنى ان يمدها دائما بكل جديد في الموضوع .

* ومن دلهي الجديدة كذلك وجه الينا الاستاذ سيد نثار علي الأمين العام لاتحاد عمال دار الأدوية همدرد . الخطاب التالي : « يسرني أن اعرفكم بدار المطالعة التي تجري تحت اشراف — اتحاد عمال دار الأدوية — همدرد — الشهيرة الذي يبلغ عدد اعضائها الى حوالي الف عضو واكثرهم ينتمون الى الاسلام وهم ميالون الى قراءة الجرائد والمجلات الخاصة بالآداب واللغة والعلوم ولما وفقنا لرؤية مجلتكم « اللسان العربي » الموقرة وجدناها مفيدة للغاية ومزودة بمعلومات وافية عن اللغة العربية الحبيبة ومختلف العلوم » .

* ومن ولاية كيرالا جاءتنا رسالة رقيقة من الاستاذ محمد بن علي محمد يقول فيها : « لقد وجدت فرصة طيبة لرؤية المجلد السابع من مجلتكم الغراء « اللسان العربي » حينما قضيت مدة شهر في الجامعة العثمانية بحيدر آباد ، ولم أضع هذه الفرصة الذهبية فطالعتها صفحة صفحة بلذة واعتزاز ، وانني موقن أن هذه المجلة الجليلة تعمل على انماء ما لدينا من العلم في اللغة العربية والقرآن المجيد هنا في الهند » .

كاليفورنيا :

لفظ محرف عن لفظتين اسبانيتين معناهما الفرن الحامي ولا يبعد ان يكون ذلك عربيا : كالي = قالي فورنيا = القرن (الواسطة في أخبار مالطة ص 94)

حول ثورية التعريب

للأستاذ سعيد الديوه جي
(الموصل)

توصل مدير المجلة بالرسالة الآتية :

أستاذنا الجليل عبد العزيز بنعبد الله المحتـــرم

بعد تقديم الاحترام : قرات بحثكم القيم « ثورية التعريب » وهو من اجمل ما قرأته فى هذا الباب ، لما فيه من حجج دامغة ، صفعتم بها دعاة التفرقة ، وأذناب الاستعمار ، الذين تناسوا انفسهم ، وباعوا ضمائرهم ، وصاروا يواكبون كل داع الى التفرقة والانقسام ، لقاء دريهمات تلقى اليهم ، وخانوا امتهم ـ ان كانوا عربا ـ ولا أخال انهم يمتون الى العروبة بسبب . وبدا لي بعض الملاحظات خلال قرائتي هذا البحث الطريف ، ارجو ان تسمحوا لي بتقديمها اليكم ولكم مني مزيد الاحترام .

اللغة العربية لغة اعراب ، فاللفظ الواحد تتغير حركته بالنسبة لموقعه من الكلام ، بخلاف اللغة التركية ، فهي لغة تكون الفاظها ساكنة الآخر مهما تبدل موقعها من الكلام ، فالتركي يكتب كما يلفظ ، ولا يلتبس ما يكتبه على من يقراه .

واما اللغة العربية فانها ليست كذلك ، فاذا كتب بالحرف اللاتيني من كان جاهلا بقواعد اللغة العربية ، فانه يكتب كما يلفظ ، وقد يكون ما كتبه خطأ ، فيقرأ من كتب له خطأه من غير ان يشعر ، وعلى هذا فان الامر يلتبس على القارىء ، ولربما فهم عكس ما أراد ان يعبر عنه الكاتب .

فاذا اردنا ـ مثلا ـ ان نبين « ضرب احمد محمدا » وكتب من لم يحسن قواعد اللغة العربية ضرب أحمد محمد Daraba Ahmada Mohammado من غير ان يعلم سبب كتابته ، ومن يقرأ هذا يستفيد عكس ما أراد ان يبينه الكاتب ، ولا يخفى ما يحصل بهذا من ارتباك وفهم سقيم وضياع حقوق فيصبح الطالب مطلوبا . وعلى هذا فمن لم يعرف قواعد اللغة العربية فانه لا يتمكن ان يكتب ـ بالحرف اللاتيني ـ لغيره ما يريد أن يقرره ، فيوقع القارىء فى خطأ وارتباك .

كما ان الكتابة بالحرف اللاتيني تكون أطول مما هي فى الحرف العربي ، لان كل حركة يعبر عنها بحرف فيتضاعف عدد الحروف فى الكلمة الواحدة ـ كما تبين لنا من الجملة السابقة ـ والامم تسعى فى هذه الايام الى اختزال الكتابة ، حفظا للوقت ، ودفعا لسآمة القارىء . والمأجورون يدعون الى تشويه ما فى لغتنا من جمال الحروف ودقة واختصار .

وقد لاحظت بنفسي في عدة اجتماعات مع علماء من الاتراك ، ان الاتراك الذين كانوا يكتبون في الحرف العربي ، ثم حملوا على الكتابة بالحرف اللاتيني ، كانوا في كتابة الملاحظات وجمع المعلومات يكتبون بالحرف العربي ، وسألت بعضهم عن سبب كتابتهم بالحرف العربي في مثل هذه المناسبات ، فكان جوابهم : الاختصار ، وسألت بعض علمائهم عن سبب ترك الحرف العربي والعدول عنه بالحرف اللاتيني ، فكانوا يظهرون الاسف ويحجمون عن ذكر السبب .

ونحن نعلم ان الذي حمل مصطفى كمال على هذا التبديل : انه اراد ان يقطع الصلة بينهم وبين الماضي يوم كانوا يتولون الخلافة ، ولهم زعامة العالم الاسلامي، وحماة الحرمين الشريفين فأبعدهم عن حظيرة الاسلام وقطعهم عن ماضيهم ، وصبغهم بصبغة اوربية ، وكان له ما اراد ، انما فعل هذا لامر سياسي ، بأن ينشيء جيلا لا يعرف عن ماضيه شيئا الا ما يسطره له الموجهون بالحرف اللاتيني ، بعيدا عما في تراثه من علم وادب وفن ، لانها صارت بعيدة عن متناولهم . فاذا ما حدثت احدهم عما في خزائن كتبهم — التي هي مكتوبة بالحرف العربي — من علم وفن ومعرفة ، فانهم يظهرون استغرابا ودهشة واسفا ، لعدم معرفتهم مآثر اجدادهم ، كأنما حدثتهم عن امر كان مطمورا واستظهر بعد بحث عنه ، وهو كذلك عندهم .

على ان التراث التركي اكثره من العرب والفرس، ولا يقاس بالتراث العربي الزاخر ، في شتى العلوم والفنون والمعارف ، فهو تراث الانسانية جمعاء .

ودعاة هذه الحركة هم مأجورون ، يدسون السم في الدسم ، وهم — كما تفضلتم — يدرسون ويخططون ويصممون ، ويحسبون انهم يحسنون صنعا ، وانما هم يخبطون ويخلطون ، ويعلمون حق العلم ان عملهم باطل لا يجدي نفعا ، تجاه لغة لها حماتها ، ولها ركنها القويم الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم » .

وقد مر على اللغة العربية ادوار عصيبة ، كانت اشد سوءا مما يدعو اليه هؤلاء المأجورون ، ولكنها صمدت امام موجات التتر والمغول وغيرهم من الامم الاعجمية ، ثم ما لبثت ان طغت على لغتهم ، وحملت القوم على تعلمها وتذوقها ، واخذوا يتفاخرون بما ينتجونه في لغة القرآن ، وهكذا خرجت ظافرة منتصرة على كل الغزاة ، وصهرت لغاتهم ومعتقداتهم ، وجعلتهم عربا في اللغة مسلمين في الدين يتلون كتاب الله في عباداتهم ، ويتحادثون في لغته ويؤلفون بها مختلف الكتب ، ينظمون الشعر ويعانون الادب ، فكانوا حماتها وعلماءها وشعراءها .

هذه اللغة التي يفخر بالحفاظ عليها كل عالم يؤمن بوحدة الدين واللغة ، لا ان تكون شعوبا وقبائل ، تفرق بيننا رطانة العامية ، وتجعلنا لقما سائغة لكل طامع .

الم يعلم هؤلاء الدجالون المضللون : أن من اسباب نهضة العرب — قبيل الاسلام — هو القضاء على اللهجات العربية التي كانت في قبائل العرب ، وان لغة قريش كان لها الفضل في ذلك ، بأسواق الادب التي كانت تقام وتنشد الاشعار فيها بلغة قريش ، وفي الاجتماعات التي تكون في مواسم الحج والتجارة ، فان لغة قريش كانت اجمل اللغات العربية ، سادت وانتشرت بين القبائل فكانت لغة الجزيرة العربية : لغة الشعر والخطابة والمفاخرة والمنافرة ... الخ .

ثم نزل القرآن الكريم بها فكانت لغة الدين والعلم والادب ، وكانت وحدة شاملة جمعت العرب ووجهتهم الى ما فيه سعادة الدارين ، وانتشرت في اقطار الشرق والغرب .

وعلى هذا فان توحيد اللهجات العربية وذوبانها في لغة قريش كان من اقوى اسباب النهضة العربية الاسلامية . بها انزل القرآن الكريم ، وبها فصلت احكامه ، وبها دونت العلوم والفنون والمعارف ، فكانت لغة الدين والعلم .

وان عملاء الاستعمار ومن لف لفهم ، ينفخون في ابواق قد اعدها لهم غيرهم ، من اعداء العرب والاسلام ويأتون بأصوات منكرة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وهم يوهمون انفسهم بأنهم يوقعون انغاما شجية تهز العرب ، وتفرقهم شذر مذر ، وهذا ما لا يكون ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، وللغة العربية اهل يعتزون بها ويحمونها ، ويركنون الى كتاب الله العزيز الذي كان ولم يزل السند القوي لها في كل العصور .

فاللغة العامية لا تصمد امام اللغة الفصحى ، خاصة كاللغة العربية الاصيلة التي قد تعهدها أهلها ، وحرصوا على تبسيطها ونشرها في اختلاف المجالات، وجعلوها لغة العلم والادب في المعاهد العلمية ، ولغة الصحافة والاذاعة ، فانها على مر الايام تقضي على الكثير من الاصطلاحات والكلمات الدخيلة التي تغلغلت فيها . وليس ببعيد أن نرى يوما ما اللهجات العامية

فى اختلاف البلاد العربية قد قربت من اللغة الفصحى، وتقاربت مع بعضها .

اذا رجعنا الى ما كانت عليه لهجاتنا العامية ـ قبل نصف قرن ـ وما كان فيها من رطانة والفاظ دخيلة من اختلاف اللغات الاعجمية ، مما يمجها الذوق، فكنا نتكلم بها ولا نعلم معناها ، ثم ما هي عليه اليوم لهجاتنا العامية من نبذ تلك الالفاظ الدخيلة والتعابير الاعجمية . ولو كلمنا احد اولادنا بما كنا نتكلم به قبل نصف قرن لاشكل عليه فهم كثير من التعابير والالفاظ التي كانت فى لغتنا العامية . وكان هذا التقارب بينها وبين الفصحى بنشر اللغة وتعليمها فى المعاهد المختلفة ، وتاثير الصحافة والاذاعة والتلفزيون وغير ذلك مما يذاع باللغة الفصحى .

فاللغة العربية كانت ولم تزل من اجمل اللغات واوسعها ، الم تكن لغة العلم والفلسفة والفن والادب فى الشرق والغرب ؟؟ الم يدرس بها علوم الفلسفة والطب والرياضيات فى جامعات اوربا ؟؟

فكيف تضيق اليوم عن التعبير بما عبرت عنه يوم كانت لغة العلم والدين والسياسة فى اكثر اقطار العالم .

فهل عجزت اللغة او قصرت فى ترجمة كتب الامم التي تقدمتها من مختلف العلوم والفنون ؟ الم تكن ادق تعبيرا عما فى غيرها من اللغات ؟ ولم يزل ما وضع فيها من الفاظ واصطلاحات لمختلف العلوم والفنون باقيا فى لغات الشرق والغرب ، يشهد بدقتها وسعتها ومطاوعتها للتعبير فى اختلاف العلوم وشؤون الحياة .

هذا قليل من كثير عما كانت ـ ولم تزل ـ عليه لغتنا « ام اللغات » من سعة وجمال ودقة وكمال ومطاوعة فى مفرداتها وتعابيرها ، وجمال فى كتابتها ، وهي صامدة امام كل عميل وداع الى الضلال .

قد احتضنت ابناءها العرب تحت راية القرآن ، وهم فخر معتزون بهذه الأم الحنون التي كانت ولم تزل من اهم اسباب جمع كلمة العرب وتوحيدهم والسير بهم فى سبل الحق والعلم والهداية .

البحث (العلمي)

روي ابن الانباري (طبقات الادباء ص 127) ان المأمون امر الفراء ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب وافرد له حجرة وصير له الوراقين والمنفقين لامداده ووكل به الجواري والخدم فصنف كتاب المعاني ثم خرج فأملاه على الناس .

عن التعريب وقضاياه

لقاء مع الدكتور أحمد سعيدان عضو اللجنة الاردنية ومندوب الأردن في المكتب الدائم لتنسيق التعريب.

أجرى الحديث : محمد محمد الخطابي

الدكتور احمد سعيدان عضو اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب ، واستاذ الرياضيات بكلية العلوم بالجامعة الاردنية ، ومندوب المكتب الدائم للتعريب في الاردن ، من الشخصيات المعروفة العاملة في الميدان العلمي العربي والتي اعطت نتاجا طيبا منذ تخرجه من انجلترا (قسم الرياضيات) له عدة تآليف ، كما حقق غير قليل من المخطوطات التي لها علاقة بميدان تخصصه الرياضيات ، ولقد قضى نحو عشرين عاما في السودان يدرس الرياضيات العليا ، وبمناسبة انتهاء مدة اعارته للمكتب الدائم لتنسيق التعريب حيث كان يقوم بمراجعة عامة لمعجم الرياضيات الذي كان قد اعده المكتب اجريت مع سيادته الحديث التالي :

— السيد الدكتور سعيدان بصفتكم عضوا في اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن هذه اللجنة وعن النشاطات المختلفة التي تضطلع بها ؟

« تضم هذه اللجنة في الوقت الحاضر اربعة عشر عضوا من الاردنيين ذوي الانتاج الفكري المتصل في حقول الآداب والعلوم والتقنيات واهم ما تضطلع به اللجنة في الوقت الحاضر .

1 ـ الحصول على نسخ من المخطوطات العربية القيمة التي لم تنشر بعد محققة تحقيقا علميا ، والعمل على نشرها .

2 ـ ترجمة ما كتب عن الفكر العربي في اللغات الغربية وترجمة الجيد من الفكر العربي الى بعض اللغات الغربية .

3 ـ ترجمة مختارات من الكتب العلمية والتقنية الى العربية .

4 ـ ترجمة روائع الفكر العالمي الى العربية .

وتبذل اللجنة محاولة جادة في سبيل التطور بغية ان تصبح عن قريب مجمعا لغويا علميا يساهم مع المجامع العربية الإخرى في خدمة اللغة والفكر » .

— هل لي ان اسالكم عن رايكم في نشاط المكتب الدائم للتعريب ودوره في خدمة قضايا التعريب على ضوء ما قمتم به طوال المدة التي قضيتموها فيه ؟

« ان ضخامة الانتاج القيم الذي صدر عن هذا المكتب رغم امكانياته المحدودة دليل على ان المكتب يؤمن برسالته محددة وقد عقد العزم على تاديتها ، اما عن قيمة المهمة التي يضطلع بها المكتب وهي تنسيق التعريب في الوطن العربي فيكفي ان استشهد بما حدث في السنتين الاخيرتين في الرياضيات .

لقد عمدت اليونيسكو الى تطوير الرياضيات في مرحلة الدراسة الثانوية في البلاد العربية ، فعملت على تكوين لجان محلية تتدارس الرياضيات الحديثة ووسائل احلالها محل الرياضيات التقليدية ، ثم اعدت كتابا في الرياضيات الحديثة بثلاثة اجزاء ليكون كتاب الرياضيات المدرس في المرحلة الثانوية في العالم العربي . وضع الكتاب بالانجليزية وعهد الى لجنة الرياضيات العراقية بترجمته الى العربية ، والرياضيات الحديثة في المرحلة الثانوية تضم زهاء ثلاثمائة مصطلح حديث وضعت لها اللجنة العراقية مقابلات عربية لم ترتح لها اللجان الاخرى فكان ان قامت كل لجنة بعرض مادة الكتاب بالطريقة التي وجدتها اكثر ملاءمة لظروفها ، وهكذا صار لكتاب اليونيسكو ترجمة عراقية واخرى كويتية وثالثة اردنية ورابعة مصرية ، هذا بالاضافة الى أن سوريا رات ان تبدأ الرياضيات الحديثة قبل صدور كتاب اليونسكو فوضعت كتبها الخاصة بها . وربما كانت هنالك ترجمات أخرى لكتاب اليونسكو لا اعرفها ، وهذه الترجمات تتفق في كثير من المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة ولكنها تختلف في كثير منها ايضا ، فما سميناه نحن « المجموعة » سمي في مصر « فئة » وما سمته مصر والاردن « بالمجال » سمي في سوريا « المنطلق » ، بل ان الرموز الرياضية نفسها قد تباينت في هذه التراجم فمن ذا الذي يتصدى لعرض هذا كله عرضا منسقا منظما كي تبقى البلاد العربية قادرة على التفاهم ذات بينها في نطاق الرياضيات ؟

— هل لي أن اعرف من سيادتكم مدى صدى المكتب في المشرق العربي ؟

« لا شك ان الذي يتاح له ان يطلع على اي عدد من اعداد مجلتكم (اللسان العربي) الفذة ، يكبر هذا الجهد الذي تبذله في سبيل خدمة اللغة العربية ودراسة قضاياها المختلفة دراسة موضوعية هادئة بعيدة عن الانفعالات وعن تنميق العبارات ، ولكن لا اكتمك انني طوال عملي في السودان لم اسمع عن مكتبكم ، وقد بدات اسمع عنه واقرا عنه عندما عدت الى الاردن والحقت باللجنة الاردنية للتعريب . وفي رأيي انه لا يعيبكم من قريب ولا من بعيد ان القلائل هم الذين يعرفون عنكم ، فانتم تعملون في صمت ولكنه صمت فعال أبلغ من الكلام ، واذا كانت القلة هي التي تعرفكم الآن فان هذه القلة ستكثر ، ثم انها هي القلة الفعالة ذات الشأن في خدمة اللغة العربية والفكر العربي » .

— علمت من خلال الكتاب الذي اصدرته لجنتكم العاملة بمناسبة مرور احد عشر عاما على انشائها ، ان علاقتها بالمكتب علاقة جد وثيقة هل لكم ان تعطونا فكرة عامة عن هذا الترابط المتين ؟

« انبثقت فكرة انشاء اللجنة الاردنية للترجمة والنشر والتعريب في الرباط ، فمؤتمر التعريب الذي انعقد في الرباط سنة 1961 كان من توصياته انشاء شعبة وطنية للتعريب في كل بلد عربي تكون صلة بين هذا البلد وبين المكتب الدائم للتعريب ، على اثر ذلك اصدرت وزارة التربية والتعليم في الاردن قرارا بتأسيس اللجنة الاردنية ، وقد حافظت هذه اللجنة على اتصالها بالمكتب الدائم للتعريب منذ انشائها ، كما اوصى بذلك مؤتمر الرباط ، وان انتدابي من قبل لجنة التعريب الاردنية للعمل في المكتب ومراجعة معجم الرياضيات لثمرة من ثمار هذا الاتصال المبارك بين مكتبكم في الرباط ولجنتنا في عمان » .

— تعلمون انه في نهاية العام القادم سينعقد بالجزائر الشقيقة المؤتمر الثاني للتعريب ، هل لكم ان تحدثونا عن اهمية هذا المؤتمر وعن قضية التعريب عامة ؟

« في تقديري ان هذا المؤتمر سيكون هو موسم القطاف بالنسبة الى جهودكم طوال هذه السنين ، فانتم تجمعون ، تجمعون المصطلحات العلمية بالفرنسية والانجليزية ثم تنقبون عن المقابلات العربية التي تستعملها الاوساط المختلفة في الوطن العربي المترامي الاطراف ، فان لم تجدوا مقابلا اقترحتم من عندكم وحسب اجتهادكم وهذا كله ستضعونه امام مؤتمر الجزائر سنة 1973 املا في احد امرين كل منهما خير : فاما ان توحد المصطلحات كلها او بعضها . وهذه خطوة في سبيل الوحدة الثقافية ذات شأن ، واما ان تتمسك اقطار بمصطلحاتها وهذا ايضا خير اذ انه ينطوي على وحدة الفهم . اذا كنا — انا وانت — نسمي هذه سيجارة فاننا نستطيع ان نتفاهم عند الحديث عنها ، وكذلك نستطيع ان نتفاهم اذا علمنا انك انت تسميها لفافة واسميها انا دخينة ! ان لم يبخل مؤتمر الجزائر الا عن تحديد المصطلحات في الاقطار العربية المختلفة حتى دون توحيدها ، كان في ذلك خير كبير .

أما الحديث عن قضية التعريب عامة فحديث طويل ذلك ان الناس اختلفوا حول هذه القضية بين مؤيد ومعارض ومستهتر بها مقلل لشأنها ، وفي تقديري ان الذي يحلل الموضوع الى عناصره الاولية لا يمكن ان يقف من التعريب موقف المعارض له أو المستهتر به .

ان العلم ماض في سبيله سواء عربنا أم لم نعرب، وطلاب العلم في مستوى الباحثين ماضون ايضا في التعلم والبحث ، ولأن العلم الآن يصنع في البلاد المتقدمة فلا مناص لهؤلاء الطلاب من معرفة لغة هذه البلاد كي يتسنى لهم ما يبتغون من تعلم وبحث ، انني ـ شخصيا ـ من الداعين الى فتح كل النوافذ للفكر العالمي وأتمنى لو علمنا ابناءنا أكثر من لغة أجنبية واحدة حتى يعمل الباحثون منهم في المستقبل على ادخال جميع ضروب الفكر الجيد الى العالم العربي .

ولما كان الفكر الحاضر يصنع في البلاد المتقدمة ـ كما اسلفنا ـ فان مصطلحات هذا الفكر ما وضع منه وما لم يوضع هي بالبداهة بلغة غير العربية ، هذه المصطلحات لا مناص للجامعيين من ابنائنا من معرفتها. وحتى هذا الحد لا يرد فكر التعريب ، ولكن المرء يبدأ يستشعر الحاجة الى التعريب في مستويين دون مستوى التخصص والبحث هما مستوى الحياة اليومية ومستوى الدراسة التي تسبق التخصص . ان بعض نتاج العلم ينزل الى الشارع ويغدو من لوازم الحياة اليومية كالاسبرو مثلا والتلفزة ، ما دام الاسبرو قد عرف كدواء الصداع وما دام الناس يصابون بالصداع فلا بد لهم من استعمال الاسبرو ومن ثم لا بد لهم من ذكره والتحدث عنه والأسبرو اسم لدواء وهو اسم لا يتغير بتغير اللغات فلا بد من أن يستعمل بالعربية كما يستعمل بغير العربية ، ولفظة اسبرو لفظة حقيقة لا يمجها ذوق العربي العادي . وليست بخفتها لفظة تلفزيون ومن ثم لا بد من تحوير طفيف في هذه اللفظة يجعلها أقرب الى جرس العربية ما دامت فرضت نفسها على حياتنا اليومية ، وهذا ما جاء بكلمة تلفزة التي فيها من عربية الجرس ما يمكننا أن نشتق منها يتلفز ومتلفز وربما غير ذلك من الاشتقاقات .

ان المصطلحات المستحدثة التي تفرضها الحضارة اليومية على رجل الشارع لابد من النظر في اخضاعها للقياس العربي فان لم تتكفل هيئة بهذا الاخضاع قام بذلك رجل الشارع نفسه ، غير ان اي هيئة تتصدى لتعريب المصطلحات ينبغي أن تعلم ان القول الفصل للشارع فهو قد يستسيغ ما تقول وقد لا يستسيغ فيرفضه .

والمجال الثاني والاهم الذي يلزم فيه التعريب هو حقل التعليم الذي يسبق مرحلة التخصص ، هذا هو التعليم الذي يميز المجموعة المتعلمة عن الاميين وانصاف المتعلمين ، وحتى يؤتي هذا التعليم ثماره ينبغي أن يكون بلغة البيت والا صار المتعلم ذا ازدواجية غريبة يبدو متعلما في المدرسة واميا في الشارع ، وليس في هذا مبالغة ولكنه امر لمسته شخصيا من خلال ممارستي الطويلة للتعليم ، ولكن الوقت لا يتسع للافاضة فيه » .

اللغة العربية الفصحى والعامية

(1)

للأستاذ فولكهارد فيندور

نشرت مجلة « رسالة المعلم » (العدد الثالث 1972 م) مقالا للاستاذ فولكهارد فيندفور ننشره فيما يلي :

اللغة العربية كائن حي ، وهي تخضع لتغييرات شبيهة بالمراحل التي يمر بها الكائن الحي ، ومن هنا يتضح لنا ، ان الازدواجية بين لغة فصحى وبين لغة محلية ، ظاهرة تتصف بها كل لغات العالم .

وقد يبلغ البون ، بين اللغة الفصحى واللغة الدارجة مبلغا عظيما ، كما هو الحال في اليابان واليونان مثلا ، وقد يكون الفرق بين الصورتين للغة الواحدة بسيطا ، مثل الفرق بين اللغة الروسية الفصحى واللغة الروسية العامية .. وقبل الدخول في تحليل موقف العربية من هذه المشكلة، يجب الاخذ بعين الاعتبار أن الفارق بين اللغة العربية الفصحى واللغة العامية ، أي اللهجات العربية المحلية اقل منه بين اللغة الالمانية الفصحى واللهجات الالمانية المتعددة على سبيل المثال ... وهناك من يرى المشكلة في الشكليات ويدعو الى التفريق بين « اللغة » و « اللهجة » ، باعتبار اللهجة أقرب الى اللغة الفصحى من « اللغة » العامية ، غير انني أعتقد ان البت في الامر لا يجدي كثيرا ولا يساعد على توضيح جوهر الموضوع، فان اللغة الهولندية مثلا مجرد لهجة المانية في نظر بعض اللغويين ، في حين يصر اهل هولندة على وجود لغة هولندية مستقلة .

وأول ما نلاحظ على الوضع اللغوي في العالم العربي ، هو وجود لهجات عربية عديدة ، يستعملها الناس في التحدث دون اللغة الفصحى . فالاخيرة تعتبر لغة الكتابة التي لا يتكلمون بها الا في ظروف معينة ، كالخطب الملقاة في المناسبات المختلفة والبرامج الاذاعية والتلفزيونية والمسرحيات المختلفة ذلك ، ويمكن القول ، ان اللغة الفصحى لم تدخل بعد جميع مجالات الحياة بتلك الصورة التي توغلت بها اللغة العامية الى كل أوجه حياة الانسان ، ومما ادى الى توسيع الشقة بين الفصحى والعامية ، ان احدا لم يبذل جهدا يذكر من اجل التقريب بينهما ، والدليل على ذلك التطور ، قيام دور السينما بعرض الافلام الناطقة باللغة العامية ، وتفضيل عدد من مؤلفي المسرحيات الكتابة باللغة العامية ، بدلا من اللغة الفصحى .. والامثلة كثيرة ومعروفة لدى الجميع .

وقد عظم شأن اللغة العامية ، الى درجة تدعو الى القلق ، اذ ان الكثيرين يحررون رسائلهم بالعامية وزحف العامية لم يتوقف في المدارس والجامعات ، بدليل ان معظم المعلمين والاساتذة يحدثون تلاميذهم وطلابهم باللغة الدارجة وليس بالفصحى كما هو المفروض .

ومن المعروف ان اللغة الالمانية الفصحى ، حديثة العهد .. فهي قد نشأت في القرن السادس عشر ، عندما قام مارتين لوثر ، بترجمة الانجيل الى احدى اللهجات الالمانية المنتشرة انذاك .

أما اللغة العربية الفصحى ، فكانت موجودة منذ زمن اطول بكثير ، صحيح ان عرب الجاهلية لم تكن لهم

---

(1) ننشر هذا البحث القيم ضمن نشاط المكتب الدائم لانه يعبر عن نفس الفكرة التي أوضحناها في كتاب الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله « حول تفصيح العامية » .

لغة موحدة تماما ، وصحيح ايضا ان لغة قريش لم تتغلب على بقية اللهجات المتداولة فى شبه جزيرة العرب الا بعد نزول القرآن الكريم واهتداء الناس الى الاسلام ولكن مما لا شك فيه ان القدامى كانوا يستعملون اللغة العربية الفصحى فى نظم الاشعار والقاء الخطب . ويؤمن بعض العلماء بأن اللهجات العربية نشأت عن لغة عربية موحدة ، كانت بمثابة اللغة الام ، وقد انقرضت هذه اللغة الاصلية وتفرعت الى لهجات . غير ان البعض الآخر يؤكد ان القبائل العربية لم تتكلم قط اللغة الفصحى طوال تاريخها العريق بل كانت تلجأ اليها لاغراض محدودة . أي ان اللغة الفصحى كانت مصطنعة وليست وليدة حياة المجتمع العربي القديم .. وما زال العلماء يختلفون حول هذه المسألة ، ولكنهم يجمعون على وجود اللهجات العربية ، الى جانب اللغة الفصحى منذ فجر التاريخ .

وقد نتجت الفتوحات العربية عن انضمام دول كثيرة الى الامبراطورية الاسلامية العربية ، كان سكانها يتكلمون اللغات الاجنبية المعروفة فى المنطقة وهي الفارسية واليونانية والقبطية . ولم يلبث ان اصطبغت اللغة العربية التي ادخلها العرب الى الاقطار المفتوحة ، باللغات المذكورة (حسب المنطقة) وبذلك تبلورت اللهجات العربية المحلية كما نعرفها اليوم ، وان طرأت عليها بعض التغييرات بمرور الزمن . ولكن اللغة العربية الفصحى لم تمت ، بل صمدت فى وجه التيار الجارف للهجات العربية المختلفة . واظن ان السبب الرئيسي فى بقائها ، انها لغة القرآن الكريم . وهذه الظاهرة الفريدة فى نوعها ، لم تتكرر فى التاريخ .. وحتى اللغة اللاتينية التي كانت اللغة الرسمية لاعظم دولة عرفها التاريخ القديم ، لم تتمكن من مقاومة اللهجات الرومانية التي حلت محلها شيئا فشيئا .

ان اللغة العربية الفصحى لم تمت ــ ولكن الضعف السياسي الذي كانت تعانيه الامة العربية لمدة قرون طويلة ، اسفر ايضا عن ضعف فكري ، الامر الذي انعكس فى ركود تام فى حياة اللغة العربية ، لا سيما اثناء الاحتلال العثماني . وفى حين نشطت الحركة العلمية فى اوربا وتركت آثارها فى اللغات الاوربية الحديثة التي تطورت وتمشت مع التقدم العلمي ، بات العالم العربي معزولا عن كل حركة فكرية او علمية ، ونزل مستوى اللغة بصفة عامة . وبعد انهيار الدولة العثمانية توالت على العالم العربي فترات مختلفة من الاحتلال الاجنبي . ومن الطبيعي ان الاستعمار الانجليزي والفرنسي والايطالي لم يشجع قيام نهضة ثقافية ولغوية بالتالي ، بل بالعكس .. لقد حاول الاجانب صرف العرب عن ثقافتهم ولغتهم واسسوا المدارس والمعاهد المكلفة بنشر لغتهم وثقافتهم .. اضف الى ذلك ان العلوم الحديثة ومتطلبات الحياة العصرية ، هي التي سهلت سياسة الاستعمار واحلال اللغات الاجنبية محل اللغة العربية الفصحى فى التعليم العالي والثانوي على الاقل . وقد وصل الامر الى ان بعض العائلات العربية ، ارسلت ابناءها الى المدارس الاجنبية ، حيث تعلموا اللغة العربية الفصحى باعتبارها لغة اجنبية !! . ولكن لا يمكن انكار حاجة اللغة العربية الى الاستحداث من حيث المصطلحات العلمية وسهولة التعبير ومرونته حتى تستطيع ان تؤدي وظيفتها كاملة بمراعاة ظروف العصر الذي نعيش فيه .. غير ان الامر بسيط والنقص المشار اليه ليس نقصا فى طبيعة اللغة ، بل هو راجع الى القرون الماضية .

وقد يدعو الى الدهشة أن بعض الكتاب العرب يذهبون الى ان اللغة العربية الفصحى ، قد فرغت من مهمتها ولا يمكن الاعتماد عليها فى مواجهة العصر الحديث . ومن جملة هؤلاء الاستاذ سعيد عقل ، مفكر لبنان المعاصر ، والشاعر اللبناني يوسف الخال ، وبعض الكتاب المسرحيين المصريين . فهم يقولون ان اللغة العامية اقرب الى الحياة من اللغة الفصحى . ومنهم من يكتب خليطا بين العامية والفصحى .. ومن الطريف ان محمود تيمور ، هو الآخر شعر بحيرة امام هذه الازدواجية فى اللغة ، وكتب مسرحية « المزيفين » مرة باللغة الفصحى ومرة اخرى باللغة العامية فى انتظار راي الجمهور .

ويطالب بعض الكتاب بضرورة « التحرر » من سيطرة اللغة الفصحى الميتة والتمسك بالعامية ، وبذل المجهود لتطويرها حتى تصبح قادرة على التعبير عن كل شيء . وهناك من ينادي بتصحيح اللغة الدارجة ورفعها الى مستوى الفصحى فى حين يدعو بعض اللغويين مثل الدكتور انيس فريحة الى تبسيط اللغة العربية الفصحى ، كحذف علامات الاعراب وترك بعض الاساليب النحوية المعقدة .. ولن يكون مثل هذا التحريك المحاولة الاولى ، فان اللغة العربية استفادت فائدة جمة من جراء الترجمات وادخال المفردات والتركيبات اللغوية الجديدة ايام العباسيين ، وقد اصبحت اللغة العربية بعد ذلك ، لغة غنية جدا ،

كانت تستوعب جميع المعاني والافكار ، بل وقد أصبحت لغة العلم الاولى بفضل ما أضفي عليها من الوان التجديد والاثراء .

ويقول الاديب المصري الكبير طه حسين ، انه من انصار اللغة الفصحى ، لأنها قادرة على التعبير عن كل المعاني لو أحسن استعمالها . هذا بصرف النظر عن كون اللغة الفصحى ، من أهم الروابط التي تشد العرب بعضهم الى بعض . ويقول المفكر الالماني المشهور « فيشته » : « ان اللغة أهم الروابط التي تجمع بين أفراد الامة » . .

ولو عملنا على تعظيم شأن العامية في كل بلد عربي ، لأصبح التفاهم بين أبناء الامة العربية أصعب فأصعب ، ولاتجهت الثقافة العربية اتجاهات مختلفة ، ولتهدد الكيان الثقافي والحضاري العربي كله بأخطار جسيمة على أية حال ، بيد أن المسؤولين انتبهوا الى هذه الاخطار ، واذا استمر التطور التعليمي والثقافي الحالي في البلدان العربية او نشط الى طفرات أبعد ، أمكن علاج ما اطلقوا عليه عدم مسايرة اللغة العربية الفصحى للعصر الحديث . . ان التطور السريع حقا ، ورفع المستوى اللغوي رهن برفع مستوى التعليم ، الامر الذي يسهل التأكد منه بالمقارنة بين لغة المثقفين وبين لغة الفئات الاخرى من الشعوب التي لم تنل قسطا كافيا من التعليم ، مع العلم ان النهوض باللغة لا يقتصر على استعمال مصطلحات جديدة فحسب ، بل يصل الى العمق اى الاحساس اللغوي كليا .

وموضوع آخر لا بد من التعرض له في هذا الصدد : يعتبر اقتصار معرفة اللغة الفصحى على قلة من الناس من العوامل الاليمة التي تفصل بين طبقات الشعب ، ولذلك أرى أن تعميم اللغة الفصحى ، يجب أن يشمل جميع أبناء الشعب ، فان الطبقية في التعليم عامة وتعليم اللغة خاصة ، اجنبية كانت ام اللغة الفصحى البعيدة عن الجماهير ، تؤدي الى تعقيد المشكلة وربطها بموضوعات سياسية واجتماعية .

وللوصول الى وضع لغوي طبيعي متمثل في سيطرة اللغة العربية الفصحى على اللغة العامية في شتى المجالات ، يجب رسم الخطط والالتزام بها .

واعتقد ان الخطوة الاولى ، هي رفع المستوى اللغوي في المدارس بمعنى ان المعلم يجبر على استعمال اللغة الفصحى فقط في حديثه مع التلاميذ . ثم لا بد من الاكثار من انتاج الافلام الناطقة باللغة الفصحى وتشجيع المؤلفين على كتابة المسرحيات بالفصحى ، وتأليف الاغاني بها أيضا .

ومما لا شك فيه ، ان مثل هذا التوجيه في تعليم اللغة ، قد يترتب عليه ان يتعود الناس على الفصحى ويستعملوها في حديثهم اليومي ، لكي لا يعتبروها لغة غريبة ، وسيفقد المتكلمون بها الشعور بكونها بعيدة عنهم . وهذا طور منطقي حدث في معظم دول العالم ولا سيما في الدول الاوربية كالمانيا وايطاليا .

ومن البديهي ان مصير اللهجات العربية ، لن يختلف عن مصير اللهجات الالمانية مثلا . . والتي فقدت اهميتها وتركت الميدان للغة الفصحى التي ينشأ عليها كل مواطن منذ أول يوم يدخل فيه المدرسة.

أما اللغة الفصحى ، فستتكيف تدريجيا مع حياة المجتمع وتصبح مرآة صادقة لتطوره واتجاهاته وكلما انتشر استعمالها ودخلت مجالات جديدة ، اكتسبت تلك المرونة وذلك القرب من الحياة ، التي تتمتع بها جميع اللغات المتطورة . فاللغة العربية الفصحى كنز لأهلها وليس عليهم سوى استغلال هذا الكنز خير استغلال .

(عن صحيفة « بريد الشرق » التي تصدر في كولونيا بالمانيا الغربية ـ العدد 27 في تموز 1972)

معجم الطحانة والخبازة والفرانة

الدكتور سامي الدهان

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق (ج 2 م 47 1392 / 1972 م) كلمة حول هذا المعجم ونحن نرحب بهذه الملاحظات التي نعتبرها استدراكا ننتظره حول كل مشروع معجم صادر عن المكتب الدائم:

اعد المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي مشروع هذا المعجم بالتعاون مع ارباب الاختصاص فى فنه وهو « مكتب التسويق والتصدير بالدار البيضاء » فأحسن صنعا ، وسد ثغرة واضحة .

ولنا ملاحظة ورجاء نرجو ان يأخذ بهما المكتب ، وهو الا يكتفي بما فعل من خير وفير ، وانما يرجع النظر حين صنع قاموسه نهائيا فيضيف اليه النقاط التالية :

1 ــ ان يذكر كل المراجع التي اعتمد عليها فى كلماته والفاظه ، وخاصة المعاجم الفرنسية العربية ، والعربية والفرنسية ، فقد راينا انه رجع كثيرا الى قاموس Belot ، والى « الفرائد الدرية » لأحد الآباء اليسوعيين ، من غير أن نرى اثرا لغيرهما من المعاجم .

2 ــ ان ينظر فى « قاموس الصناعات » لمؤلفيه محمد سعيد القاسمي وابنه جمال الدين القاسمي مع خليل العظم ، وقد صدر فى جزاين عدد صفحتهما 500 تقريبا ، على نفقة المدرسة العلمية للدراسات العليا فى باريس سنة 1960 م وقدم له وحققه الاستاذ ظافر القاسمي .

وفى هذا القاموس « الصناعات الشامية » ما يخص معجم الطحانة والخبازة والفرانة ، ومفرداتها ، كما عرفها أهل الشام ، يحسن ان تذكر هنا وتضاف الى ما عرفه اهل المغرب بالدار البيضاء مثلا ، الطحان ، والعجان ، والمقرص ص 303 ، وخاصة الكلمة الأخيرة فقد ذكرها المعجم المغربي ص 362 ونقل تفسيرها عن المخصص لابن سيده فحسب ، ونسي تعريفات القدماء لعمل أقراص الخبز مدورة مثل الكرة ثم قوراء كالقمر ، كما قال ابن الرومي .

3 ــ ان ينظر فى بعض كتب الأدب والتاريخ ، فقد طبعت (1) ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ، وحققت شرحه ، وجاء فيه كلمة « الملة » شرحها « الطبيخي » المغربي قال : « هو الموضع الذي يطبخ فيه الخبز » واخذ منه الخبز المملول او المليل ، ولم يرد شيء من ذلك فى ــ معجم مكتب التعريب ــ ، وكان احرى بان ينقل هذا اليه وان يذكر .

ولقد جاء فى هذا الشرح نفسه كلمة « الفرن » وسماها : « القوش » وفسرها بقوله : « القوش ، جمع قوشة ، وهي الفرن او التنور عند المغاربة ، وقد تلفظ بالكاف ، فيقال كوشه » .

(1) انظر شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد ، ط. سامي الدهان ، وشرح الطبيخي ، دار المعارف بمصر 1957 ، ص 59 وحاشيتها .

ومثل هذا الديوان وشروحه فى اللغة العربية مما يخص الطحانة والخبازة والفرانة ، عدد غير قليل ، يحسن الرجوع اليه ، وان ينقل الى معجم مكتب التعريب .

4 ـ ان يرجع السادة صانعو المعجم الى قاموس دوزي ، وقد ترجمت اكثره ، وجعلت عنوانه : « فوات معاجم العرب » ، وطبع سنة 1937 فى جزايرن . ووزعته على جزازات . ففيه ما ذكر من صناعات الطحانة والخبازة والفرانة ، الفاظ وكلمات نقلها عن كتب التاريخ والادب ، وزاد على شروحها ، فرد اصول بعضها الى لغات قديمة افرنجية ، واضاف فوائد يحسن الأخذ بها لاكمال معجم مكتب التعريب .

5 ـ ان يهتم صانعو المعجم بقاموس الصناعات الشامية وغيره فيما يخص تعريف الطحان بالشام وغيرها (2) ، فقد ذكر هذا القاموس ص 390 : « الطحان : من يستأجر الطواحين لأجل طحن الحنطة وخلافها من الحبوابات » ، وذكر كلمة « بوايكي » فقال: « اسم لبائع المقتاتات من قمح وذرة وشعير فى مخزن كبير يسمى فى اصطلاح اهل الشام « بائكة » ، والبائكة فى اللغة اسم للناقة السمينة وكان هذا المحل سمي بذلك لبروك البوائك فيه ، فان هذه الحبوب لا تجلب الا عليها » .

ولعل هذا كله يجمع اصطلاحات اهل المشرق الى اهل المغرب ، وننطلق من الألفاظ العربية الموجودة عندنا ، على ترجمة ما عند الغرب فى هذه الصناعات ، والله الموفق للسداد والكمال .

(2) فى قاموس الصناعات الشامية ص : 121 : « خباز مشترك فى عرف اهل الشام ، بينه وبين الفران » وتعريف العجان عنده يضيف الى قاموس صورة لحياة اهل الشام .

التخصص :

كان التوجيه المهني معروفا عند السلف : ذكر الاصفهاني ان يونس ابن حبيب كان يختلف الى الخليل بن احمد لتعلم العروض فصعب عليه فنصحه بتعاطي النحو حتى أصبح اماما فى النحو واللغة (محاضرات الادباء ص 25) وبدا النجارى بتعلم الفقه على محمد ابن الحسن فنصحه بتعلم الحديث لانه اليق بطبعه (الزرنوجي : تعليم المتعلم ص 13) .

رأي ...

نحو تفصيح العامية في الوطن العربي

الأستاذ عمر الطاهر
(دمشق)

نشرت جريدة « الثورة » (دمشق) في عددها الصادر بتاريخ 8 / 9 / 1972 ، تعليقا للاستاذ عمر الطاهر على كتاب : « نحو تفصيح العامية في الوطن العربي » جاء فيه :

اصدر المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكراس رقم 16 من السلسلة التي اخذ في اصدارها منذ سنوات وقد خصص هذا الكراس لبحث قام به الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول العاميات العربية وجذورها المشتركة ، وللاستاذ عبد العزيز بنعبد الله اعمال جيدة في هذا المجال لا زال يواصلها منذ سنوات طويلة فقد الف كتابا بعنوان (الاصول العربية والاجنبية للعامية المغربية) ودراسات مقارنة حول عاميات اقطار عربية عديدة وخاصة سورية ولبنان ومصر والكويت والخليج العربي والمغرب .

يقول الاستاذ بنعبد الله في مقدمة بحثه المشار اليه سالفا انها محاولة اولى نرجو ان نكون قد اسهمنا بها في اقامة هيكل واضح لبيان مدى تقارب العاميات في الوطن العربي اعتبارا لاصولها الفصحى وما نراه من امكانيات تفصيح هذه العاميات حتى تصبح لغة الحديث في الوطن العربي موحدة اقرب الى الفصحى منها الى اللهجات الاقليمية الكثيرة التحريف .

صراع بين العامية والفصحى بالمغرب :

تحت هذا العنوان يورد الكاتب بحثا يقول فيه ان اغلب الاصول والقواعد الاساسية مشتركة بين الفصحى والعامية المغربية حتى ما يتصل بالقلب والابدال والتسهيل والترخيم .. وتمتاز بمظاهر البساطة تجعلها في بعض الاحايين اكثر ايغالا في القلب والتسهيل وهذه الظواهر لا تنفرد بها عامية اي قطر عن اخرى .

وبعد ان يعرض الباحث بعض الامثلة لاثبات ما ذهب اليه ينتقل الى القول بانه يجب ان يعيد التاريخ نفسه في تفصيح العامية العربية وتوحيدها ويذكر بما كان عليه الحال قبل الاسلام من طغيان لهجة قريش على بقية اللهجات العربية وصياغتها في اطار واحد هو الفصحى التي نعرفها اليوم .

وفي اطار الاصول المشتركة للعامية العربية يذكر الباحث ان التاثير بين العاميات العربية كان متبادلا ، فالفنيقيون العرب نقلوا الكثير من كلماتهم الى شمال افريقيا الذي يتكلم اهله قديما لغة البربر ، واذا عرفنا ان هذه اللغة هي الاخرى عربية اي ان البربر شعب هاجر من الجزيرة في احقاب موغلة في القدم ادركنا ان اصول العاميات تعود الى اقدم العصور فالفينيقيون الذين اثروا في العاميات العربية وشعوب الشرق القديم كان لهم ابلغ الاثر في لهجات الجناح

الغربي من الوطن العربي ، ان الاصول المشتركة للعاميات العربية لا تعود فقط الى هذه الاصول ، انها استمرت عبر التاريخ تتغذى من مصادر متشابهة أو تنقل الاثر الى بعضها ، ويشهد على ذلك وجود كلمات فارسية فى العامية المغربية تسربت اليها عبر الاحتكاك بعامية الاندلس التي نقلتها من عاميات الشام والخليج ان هذه الاصول المشتركة وهذا التلاقح الدائم بين العاميات العربية الذي تجلى مرة أخرى فى الكلمات التي أدخلت الى لغتنا من الفرنسية والاسبانية والتركية والانكليزية يحتم ضرورة السعي الى تنقية هذه العاميات بغية الوصول الى عامية صافية تكون اقرب شيء الى الفصحى وفى نفس الحين لغة المخاطبة اليومية وهذا العمل هو السبيل الوحيد للرد على دعاوي الاقليمية اللغوية بعد ان ثبت لدينا ان الاصول المشتركة لهذه العاميات أقوى من كل مظاهر الاختلال.

ويسند الباحث رؤيته للامور بمجموعة كبيرة من الكلمات التي تثبت هذه الاصول المشتركة ويقوم بتحليل تاريخي لظهور العامية فى الوطن العربي ويخلص الى دعوته السالفة بضرورة تنقية هذه العاميات سعيا للوصول الى اللغة العربية الواحدة على مستوى المخاطبة ولا يسع القارىء رغم تسليمه بالكثير مما ذهب اليه الباحث لا يسعه الا ان يسأل لما ذا يذهب الكاتب بعد هذه الرؤية الجديدة للموضوع الى مناقشة القضايا من خلال انعكاس الواقع السياسي عليها فتراه يضع عامية مغربية واخرى سورية وثالثة لبنانية .. والواقع انه ليس هناك شيء يمكن ان يسمى بذلك هناك لهجات مختلفة فى انحاء شتى من الوطن العربي يزداد التشابه بينها ويقل تبعا للموقع الجغرافي رغم الاصول المشتركة وهي لا تتبع فى توزيعها بحال من الاحوال التقسيم السياسي أو الحالي منه على الاقل واذا كانت ضرورة تقسيم البحث هي التي الجأت الباحث الى هذا الاسلوب فهو امر مقبول ، اما اذا كان الاقرار بالاقليمية وراء ذلك فان المنطلق الجيد عنده يفدو منطويا على ضده انها دعوة جديدة فى سبيل مراجعة تراثنا اللغوي لا يسعنا رغم كل شيء الا التحمس لها ، فمن خلال البحث وحده نستطيع ان نتبين الغث من السمين وهي خطوة متقدمة فى سبيل صقل اهم مقومات شخصيتنا وان كانت بعض المفاهيم المغلوطة تخالطها ولكن للكاتب عذره رغم ذلك .

تعليق على موضوع :

التطور اللغوي ونشوء اللغة

توصلنا من الاستاذ زهير علاف من الجزائر برسالة تتعلق بأحد البحوث المنشورة فى المجلد الثامن من « اللسان العربي » الجزء الأول تحت عنوان : « التطور اللغوي ونشوء العربية » للأستاذ محمد يوسف نور الدين ص 127 ، ويقول : ان الدهشة قد اصابته وهو يطالع هذا البحث اذ انه كان قد سبق له ان اطلع على كتاب تهذيب المقدمة اللغوية لعبد الله العلايلي بتقديم الدكتور اسعد علي ، فاذا به يكتشف ان البحث الذي نشر فى «اللسان» منقول بعناوينه وعباراته ومفرداته من كتاب الأستاذ العلايلي ، اللهم الا بعض العبارات التي حاول الكاتب ان يحورها مثل قوله خلاصة القول بدلا من الخلاصة عند العلايلي ، ويشير على القراء بان يضعوا الكتاب المذكور بجانب بحث الأستاذ نور الدين ويعقدوا مقارنات بين البحثين مشيرا الى عدد غير قليل من ارقام الصفحات التي يؤكد فيها صدق دعواه ، وهذه بعض الأرقام التي ساقها فى الرسالة :

— قارن ما بين عنوان « العربية واللغات الاخرى » ص 128 عند نور الدين ، مع عنوان « العربية واللغات » ص 41 — 43 عند العلايلي .

— قارن عنوان « ادوار اللغات ونشوء العربية » ص 128 فى (اللسان) عند نور الدين مع عنوان « ادوار اللغات ونشوء العربية » عند العلايلي ص 44 — 45 ، ستجد ان كلا منهما يبدأ بـ « ان تاريخ النشوء » وينتهي بـ « متصرفة وغير متصرفة »

— قارن العنوان الذي يلي ما سبق : « دور المقطع البسيط » عند نور الدين مع عنوان : « دور المقطع البسيط » ص 46 — 48 عند العلايلي ، وستجد أن كلا منهما يبدأ بـ : « ان لبحث الانسان الفطري » وينتهي بـ « ثمانية وعشرون حرفا »

— قارن ما جاء فى الفقرة التي تلي « دور المقطع البسيط » عند نور الدين مع « دور المقطعين » ص 49 — 51 عند العلايلي .

— قارن ما جاء فى الفقرة الاولى ص 30 عند نور الدين بما جاء ص 52 بعنوان « دور المقاطع عند العلايلي » .

— قارن ما جاء فى الفقرة : « معاني الحروف العربية ، عند نور الدين بما جاء ص 71 فى كتاب العلايلي بعنوان : « المعاني التركيبية »

— قارن العنوان : « التطور فى اللهجة » عند نور الدين ص 132 بما جاء ص 76 فى كتاب العلايلي

— قارن العنوان « الدورة اللغوية الطويلة » عند نور الدين ص 133 بنفس العنوان ص 83 من كتاب العلايلي

— قارن العنوان : « الأسباب التي حفظت الأثريات عند نور الدين ص 134 بما جاء عند العلايلي ص 87 بعنوان : « مع الأسباب التي حفظت الأثريات » .

— قارن « التطور في اللغة » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106 عند العلايلي .

— قارن « تطور الاعلال » عند نور الدين ص 136 بنفس العنوان ص 106

— قارن « التنقيح في اللغة العربية وأهداف التنقيح» عند نور الدين ص 138 — 139 بـ « التنقيح الجديد » ص 119 — 123 عند العلايلي .

— قارن « دواء العربية وأدواؤها » عند نور الدين ص 139 — 142 بنفس العنوان عند العلايلي بين ص 193 — 241 .

— قارن : « اللغة العربية غاية لا وسيلة » عند نور الدين ص 142 بنفس العنوان عند العلايلي ص 242 وما بعدها .

الجمهـــوري (المجلس) :

ذكر المناوي في طبقاتـه نقلا عن الشيخ محمد بن عبد الكريـم بن الكماد انه قال تكلم علينا يوما الشيخ الصالح الولي أبو عثمان سعيد الصفروي رضي الله عنه في مجلسه الجمهوري فقال الخ ..

— واشار ابن عبد الملك في الذيل والتكملة (س 5 ق 2 ص 632) في ترجمة ابن خليل الشاعر الخطيب انه كان « يرتجل الخطـب البليغة بين يدي الملوك وفي المحافل (الجمهورية) تنبيها على المصالح وحضا على ما فيه سداد الاحوال » .

الجمهوري نبيذ العنب (التهانوي) وذلك لان جمهور الناس يستعملونه وفي الجامع الجمهوري ما بقي نصفه من عصير العنب بعد طبخه .

عينة للذين يؤمنون .. وبرهان للذين يشكون

للأستاذ محمد قلبي

نشرت صحيفة « الصباح » بتونس المقال الآتي حول نشاط المكتب الدائم وهو مقال غمر مكتبنا بما لا يستحقه من تنويه :

لم اتخلص الى حد الآن من التأثير البالغ الذي تركه في نفسي الاطلاع على المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » التي يعدها ويصدرها « المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي » لم اتخلص من ذلك التأثير ولا أظن انني سأتخلص منه في يوم من الايام ... شد ما تأثرت !

اعرف كثيري من الناس ان الدول العربية احدثت مكتبا للاشراف على حركة التعريب بالعالم العربي ، وسمعت كثيري عن اخبار هذا المكتب وعن منشوراته ومعاجمه ودراساته ومشاريعه ، بل انني منذ بضعة اشهر اجريت « للصباح » حديثا مع السيد عبد العزيز بنعبد الله مدير المكتب اثناء زيارة قام بها الى تونس ، فقال لي الخير الكثير – بكل تواضع – عن اعمال مكتبه ، فصدقت ولكنني لم اتأثر .. حتى اطلعت ! لانني فقدت الثقة بصفة عامة بالتنويه الذاتي .. خاصة في بلداننا « العاطفية » .

ومنذ ايام حمل لي البريد طردا ثقيلا يزن حوالي كيلو غرامين أو اكثر .. فوجئت به لانني لاول مرة أرى شكل عمل مكتب تنسيق التعريب ولونه واتفحص مضمونه ، وبعد القاء النظرة الاولى لم أتمالك من القيام بجولة عبر مكاتب الزملاء بالجريدة لأطلعهم على « التحفة » التي نزلت علي من السماء وشاطروني تأثري واعجابي .

معذرة لدى الذين يؤمنون بضرورة « الموضوعية الباردة » في كل الامور والظروف ، ان انا ابديت حماسا قد يبدو لهم عاطفيا اكثر منه عقلانيا ، لكنني بعد الاعتذار لن اطفيء نار تحمسي وعاطفتي فمن الامور من لا يلين الا بالنار الحامية .. كالحديد ! وقضية التعريب ، مثل كل القضايا الروحانية السامية ، تجف كالهيكل الجامد ، ان لم ينفخ فيها العربي من روحه .

كنت اومن كثيري من انصار هذه القضية بأن التعريب ضرورة ممكنة .. لكنني كنت اشك في وجود اناس قادرين على القيام بالعمل الشاق الطويل النفس الذي يشترطه انجاز مثل هذا المشروع الضخم ، اذ لا يكفي ان نريد .. ولا بد من أن نستطيع وكان وما يزال انصار « اللاتعريب » يتكئون على هذا الخلل الظاهري بين ارادتنا وقدرتنا ليطلقوا قهقهاتهم عالية .. قبيحة ! وكان ينقصنا البرهان لنطمس ضحكاتهم ونبطل تصوراتهم .

قلت كان ينقصنا « البرهان » لكن ليست تلك الحقيقة وانما اقتصر الحظ على اعطائه لاقلية قليلة منتشرة في انحاء العالم العربي كله .

الدراسات والابحاث والمعاجم التي أصدرها الى حد الان المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي – والتي اطلعت على عينة واحدة منها – تشكل برهانا قاطعا لا فقط على قدرة اللغة العربية على مسايرة العصر وانما ايضا على قدرة محبيها الاوفياء لها على الحاقها بركب اللغات المتقدمة الاخرى لا شيء يقف دون التعريب ان وقفت له الكفاءات وتضافرت في كل البلدان العربية لا العبارات التقنية المعقدة ولا المعاني الجديدة المجردة .

يحتوي الجزء الثاني وحده – لأن المجلد التاسع للمجلة صدر في جزئين – على قرابة 700 صفحة فهو يشمل معجما ضافيا حول اسماء الملابس عند العرب

واخرى حول الغابات والتقنية الحراجية واستخدام منتجاتها وعلم الاحراج والقطل والحراثة والنقل والهندسة الحراجية والاضرار لملحقة بالغابات ووقايتها الخ ..

ويحتوي معجما ثانيا خاصا بالطيران المدني (50 صفحة) ومعجم مصطلحات المؤتمرات ومعجم المصطلحات السلكية واللاسلكية ، ومعجم المصطلحات الكهربائية الالكترونية والمصطلحات الاعلامية ومعجم المعاني للعظام والدم ومعجم الحشرات .

كما يحتوي هذا الجزء الثاني على دراسات حول المصطلحات العلمية وتطور اللغة ، ونظام التصنيف العشري لاكسفورد ومقال حول تفصيح العامية في الوطن العربي .

واما الجزء الاول من المجلد التاسع لمجلة « اللسان العربي » فقد خصص لنشر دراسات مختلفة عديدة حول اللغة العربية والتعريب ، واذكر من بينها دراسات لغوية حول معركة العربية في الجزائر ، والعوامل الطارئة على اللغة والاضداد في اللغة ، والكاف التمثيلية ومعاجم الابنية في اللغة العربية وتاريخ المعجم العسكري وتشمل الابحاث المختلفة مقالات تتعلق بالاصالة والتجديد في اللغة العربية ، واسماء الاعلام العربية واللغة العربية والبحوث الاقتصادية ، وحروف عربية جديدة ، وخصص القسم الثاني لنشر « المقولات العشر » للعلامة الشيخ محمد الحسني البليدي وهو مخطوط نادر بخط المؤلف نفسه ، ثم لألفاظ الحضارة لعام 1971 وعدة دراسات اخرى .

هذه عينة واحدة من الاعمال الجبارة التي قام بها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي واعتقد ، بل أجزم اطلاقا ، ان كل من يشك الى الآن في امكانية التعريب في هذا العصر سيلقي عنه الشك بعيدا ـ ان لم يكن متعصبا حتى للخطأ ـ بعد مجرد تصفح مجلة « اللسان العربي » واعتقد بل أجزم ان مصلحة الغابات مثلا أو مصالح الطيران المدني أو بعض أصناف الاطباء يمكنهم بعد دراسة المجلد التاسع فقط دراسة جدية ان ينطقوا بكل ما في ادمغتهم من علم ومعرفة بلغة أمهم وابيهم قبل اية لغة اجنبية .

لكن ! .. نعم هناك لكن ! وجدت داخل المجلة ورقة صغيرة كتب عليها ما يلي :

« لقد تكاثرت الطلبات الواردة يوميا على المكتب من الوطن العربي وغيره، من اجل الحصول على ما يصدره ويوزعه من مطبوعات ولا سيما مجلة « اللسان العربي » فبلغت هذه الطلبات حدا جعل المسؤولين عن المكتب لا يستطيعون التلبية ولا رد الجواب نظرا للامكانيات المادية المحدودة .

فمعذرة لمراسلينا وقرائنا الافاضل » .

وفي الجانب الداخلي من غلاف المجلة قرات :

« طبع من هذا العدد سبعة الاف نسخة وزعت مجانا وتحت ذلك « البيع ممنوع » .

واتساءل ما هو وزن 7 الاف عربي ـ كلهم بدون شك مؤمنون بقضية التعريب ـ أليس من الأكيد ان يطلع جميع الناس على المراحل الشاسعة التي قطعتها قضية التعريب على يد نخبة من العلماء العرب ... في طريق التقدم .. العربي !

ليس الشر في الشر فقط .. وانما هو ايضا في الامساك عن عمل الخير ، ومن الجرم ان نشجع بصمتنا الضالين على مواصلة السير في طريق الضلال .

انا لم أفهم ولن أفهم عبارة « الامكانيات المحدودة» الواردة في مذكرة المجلة ، الامكانيات تصبح غير محدودة في نظري لما يتعلق الامر بقضية مصير امة كاملة تطمح للحضارة .

وان كانت امكانيات الدول العربية كلها لا تساعد الا على طبع 7 الاف نسخة من مجلة « اللسان العربي » فاني متيقن من أن امكانيات الافراد « المحدودة » ـ امكانيات محبي العربية ـ ستصبح غير محدودة ان سمح لهم المكتب الدائم بالمساهمة في عمله الجليل بدفع ثمن يغطي تكاليفه عن كل مجلة يصدرها ، ربما هذه الامكانيات متوقفة ايضا على قرار الدول الاعضاء في الجامعة العربية ..

لكن ، ان رفضت هذا وذاك ، ان رفضت وضع لا امكانيات الكافية تحت طلب المكتب ، ورفضت في نفس الوقت السماح له ببيع منشوراته لتغطية التكاليف لا للمتاجرة .. فهذا ربما يعني الشيء الكثير .. الذي نمتنع عن فهمه .

كل هذه افتراضات وتساؤلات ونامل ان نتصل قريبا بتوضيح حول سبب هذا « التواضع » المدهش من المكتب الدائم .

اختم هذا المقال بالتنويه بمجهودات المكتب ومسؤوليه وكافة الخبراء المساهمين في اعماله .. لكن يبدو لي أن اصدق شكر في هذا العصر الذي كثرت فيه عبارات الشكر ونفذت هو الامساك عن الشكر ... وترك العاملين يعملون !

رجال مجهولون وراء مشروع عظيم

نشرت جريدة « المدينة المنورة في عددها 2531 مقالا تحدثت فيه عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب وعن مختلف نشاطاته فقالت : « يشرف على هذا المكتب العلامة عبد العزيز بنعبد الله . وهو في نفس الوقت المدير المسئول ورئيس تحرير مجلة « اللسان العربي » التي تصدر دورية وتعنى بالابحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب ، والنشاط الذي يقوم به هذا المكتب يكاد يساوي نشاط المجامع اللغوية في البلاد العربية بل ان الفائدة منه أميز وأبرز بسبب التبسيط الذي يتبعه من اجل نشر البحوث اللغوية وجعلها في متناول كل يد » .

اما عن مجلة « اللسان العربي » قال كاتب المقال: « لقد اطلعت على مجلدها الثامن في اجزائه الثلاثة وهي اهم ما يصدر عن هذا المكتب . ففيها يلتقي علماء اللغة العرب من كل حدب وصوب وفيها يقرا الانسان كل ما يتعلق باللغة العربية حتى لكأنها تكفيه مؤونة البحث عن مصادر اخرى » .

وبعد ان اشار الكاتب الى مؤتمر التعريب الاول الذي انعقد في الرباط في ابريل 1961 والذي انبثق عنه المكتب الدائم وبعد ما اشار الى الاهداف التي قام من اجلها المكتب انتقل الى تلخيص اهم منجزات السنوات المتراوحة بين 1962 – 1965 و 1966 و 1970 ، ثم اشار بعد ذلك الى برامج المكتب لسنة 1970 – 1971 . ثم انتقل الكاتب الى الحديث عن المسابقات العلمية التي يجريها المكتب بين الباحثين العرب منذ اواخر عام 1969 حتى شرع المكتب في تنظيم مسابقات سنوية يوزع فيها جوائز باسم كل دولة عربية وذلك في موضوع يتصل باختصاصات المكتب وهو تقديم مخطوط قديم او بحث حول اللغة العربية وتخصص لذلك جائزة مالية قدرها خمسة آلاف درهم او ما يقابلها في العملات الاجنبية » .

ثم قال الكاتب الفاضل : « هذا بعض نشاط المكتب الرائع والذي يقدم للعربية خدمات جلى لا تنسى ، كل ذلك بمهمة مديره العلامة الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي داب منذ حوالي ثماني سنوات على العمل والصبر والاستمرار حتى وصل بالمكتب الى ما وصل اليه من دقة في العمل وروعة في التنظيم لخدمة اللغة العربية وجعلها لغة المغرب الاولى بعد ان كاد ابناء المغرب ينسون لغة الآباء والجدود . ولم تقتصر الاستفادة من منجزات هذا المكتب على ابناء المغرب العربي الشقيق فحسب بل تعدته الى ابناء المشرق حتى ان المكتب اصبح حجة للمعنيين باللغة العربية مشرقا ومغربا »

وقال : « وهذه الكلمة العجلى ، تحية فخر واعتزاز لهؤلاء الرجال الذين يقفون وراء هذا العمل الجليل من أجل مجد لغتنا العربية الأصيلة » .

تعقيب على نسبة أبيات

الأستاذ حبيب علي الراوي

اطلعت مؤخرا على الجزء الاول من المجلد الثامن لمجلة « اللسان العربي » وكان ضمن موضوعاته « ابن خالوية اللغوي ونسبة كتاب « الحجة اليه » (ص 502) بقلم عبد العال سالم مكرم الاستاذ بجامعة الكويت ، وفي معرض الحديث عن مكانة ابن خالوية اللغوية ، اشار الكاتب الفاضل ، الى ان ابن دريد مؤلف كتاب « الجمهرة » كان من بين تلاميذه ، وللتدليل على اهمية كتاب « الجمهرة » اورد الحكاية التالية اعتمادا على المزهر للسيوطي 1 — 95 :

« فابو علي القالي كان يملك نسخة من الجمهرة بخط مؤلفها ، وكان قد اعطى بها ثلثمائة مثقال فابى ، فاشتدت به الحاجة ، فباعها باربعين مثقالا وكتب عليها :

انست بها عشرين عاما وبعتها
وقد طال شوقي بعدها وحنيني

وما كان ظني انني سابيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن بعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل شؤوني

فقلت ولم املك سوابق عبرة
مقالة شكوى الفؤاد حزين :

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك
كرائم من رب بهن ضنين

قال : فارسلها الذي اشتراها وارسل معها اربعين مثقالا »

ومن الكتاب المعاصرين الذين اوردوا هذه الحكاية الاستاذ احمد امين في كتابه « ظهر الاسلام » (ج 1 ص 117 — 118) وقد اوردها على الوجه التالي :

« وهذا ابو علي القالي البغدادي ضاقت به الحال قبل ان يرحل الى الاندلس حتى اضطر الى بيع كتبه وهي اعز شيء عنده فباع نسخة من كتاب « الجمهرة » وكان كلفا بها فاشتراها الشريف المرتضى فوجد عليها بخط ابى علي :

انست بها عشرين عاما وبعتها الابيات

ولم يشر الاستاذ احمد امين الى المصدر الذي اعتمد عليه

وقد علق الدكتور مصطفى جواد على ذلك في المقدمة التي وضعها لكتاب « تكملة اكمال الاكمال في الانساب والاسماء والالقاب » لابن الصابوني ، الذي حققه الدكتور مصطفى ونشره المجمع العلمي العراقي عام 1377 هـ — 1957 م فقال :

« وهذا الاستاذ العالم احمد امين المصري يقول: وهذا ابو علي ... الخ ... ويذكر نص ما ورد في كتاب ظهر الاسلام للاستاذ احمد امين ويعقب على ذلك بقوله : « وقد تصحف على هذا العالم الفاضل « القالي » بالفاء فصار « القالي » ولما وقر في ذهنه انه

القالي . اضاف اليه البغدادي ، وزخرف الحكاية بقوله « قبل ان يرحل الى الاندلس ، ولم يحل فى ذلك على كتاب من كتب الادب والتاريخ ، ولو علم ان صاحب القصة والابيات هو « القالي » ما وهم ذلك الوهم المستعظم على مثله ، المستغرب وجوده فى كتابه ، ولو درى انه ابو الحسن لا ابو علي لتريث فى الاقدام عليه » .

وقبل مناقشة صحة هذه القصة والأبيات الواردة فيها لابد لنا من الرجوع الى المصادر القديمة التي اعتمد عليها اولئك الكتاب الافاضل الذين تطرقوا الى هذا الموضوع فالدكتور مصطفى جواد يستند فى قوله الى ما اورده ياقوت فى « معجم الادباء » وابن خلكان فى « وفيات الاعيان » ففي الجزء الخامس ص 82 — 83 من « معجم الادباء » ورد فى ترجمة علي بن احمد ابن سلك القالي « بالفاء » نسبة الى بلدة « فاله » قوله « وحدث ابو زكريا التبريزي قال : رايت نسخة بكتاب الجمهرة لابن دريد باعها ابو الحسن القالي بخمسة دنانير من القاضي ابي بكر بن بديل التبريزي وحملها الى تبريز ، فنسخت انا منها نسخة فوجدت فى بعض المجلدات رقعة بخط القالي فيها :

انست بها عشرين حولا وبعتها ... الابيات

فأريت القاضي ابا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال لو رأيتها لرددتها اليه وكان القالي قد مات ؛ ويشير المؤلف الى ان البيت الأخير « وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... » منسوب لاحد الاعراب قاله فى بعض المناسبات ثم يورد الدكتور مصطفى الحكاية بصورة تختلف بعض الاختلاف نقلا عن ابن خلكان « وفيات الاعيان ج 1 ص 366 — طبعة بلاد العجم » فيقول :

« وحكى الخطيب ابو زكريا يحيي بن علي التبريزي اللغوي ان ابا الحسن علي بن سلك(القالي) الأديب كان له نسخة من كتاب « الجمهرة » لابن دريد فى غاية الجودة فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها الشريف المرتضى ابو القاسم المذكور بستين دينارا فتصفحتها فوجدت ابياتا بخط بائعها ابي الحسن المذكور ؛ والابيات قوله :

انست بها عشرين عاما وبعتها ... الابيات

فقيل ان المرتضى رد الجمهرة الى صاحبها والله أعلم »

ويلاحظ ان السيوطي (— 911 هـ) قد استند فى روايته التي اوردها فى المزهر على الفيروزابادي — 817 هـ) حيث يقول « وجدت هذه الحكاية مكتوبة بخط مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس على ظهر نسخة من كتاب العباب للصغاني ونقله عنه تلميذه ابو حامد محمد بن الضياء الحنفي ونقلتها من خطه » (انظر المزهر ج 1 ص 95)

ولعل ياقوت الحموي هو اقدم المؤرخين الذين ذكروا هذه القصة والأبيات (— 626 هـ) ومن بعده كان ابن خلكان (— 681 هـ) ، واذا علمنا ان ابا الحسن القالي توفى سنة 488 بينما كانت وفاة ابى علي القالي سنة 356 هـ وان الشريف المرتضى كانت وفاته سنة 436 هـ نلاحظ ان هذا الأخير كان معاصرا لابي الحسن القالي ، كما ان احدا من المؤخين لم ينسب هذه الأبيات او بعضها الى ابي علي القالي الذي ارتحل الى الاندلس وهو فى الخامسة والعشرين من عمره وقبل ان تمسه الحاجة او العوز ، وهنالك لقي كل اكرام وحفاوة ، وقيل انه استدعي من قبل الخليفة الاندلسي آنذاك (انظر مقدمة عبد الجواد الاصمعي لكتاب الامالي » .

ومن هنا نرجح أن تكون نسبة هذه الابيات الى ابي الحسن القالي ، كما ذهب اليه الدكتور مصطفى جواد ، ولكننا لا نوافقه على أن الاستاذ احمد امين مسؤول عما فى هذه القصة والأبيات من التصحيف ، بل ان الذين حققوا كتاب « المزهر » للسيوطي وكذلك الناسخون لهذا الكتاب هم الذين وقع لهم التصحيف فى المسالة ، ولا يشاركهم السيوطي فى هذا السهو لأن فى احد كتبه «« بغية الوعاة » ج 1 ص 78 المطبوع سنة 1384 هـ) قد وردت هذه القصة بما فيها من ابيات منسوبة الى ابي الحسن القالي لا الى ابي علي القالي، هذا وسبحان من لا يسهو ولا يجوز عليه الخطا .

تراجم الكتّاب والباحثين
في مجلة «اللسان العربي»

نقدم لقرائنا الأعزاء بعض تراجم كتابنا الكرام (1)، الذين واصلوا مع المجلة ، رحلة البحث والعمل الموصولين ، منذ صدور أول عدد منها عام 1964 ، فمنذ ذلك « واللسان العربي » تسخر صفحاتها لقلم كل كاتب جاد ، وباحث مجتهد ، ومعجمي مثابر ، تواقة — على الدوام — الى الأحسن والأفضل بغية اطراد التطور ، ايمانا منها بالرسالة الخالدة التي أنيطت بها الا وهي رفعة اللسان العربي واحلاله المكانة اللائقة به كلسان حي طبع عريق ، وهي — في الواقع — رسالة جد خطيرة ما دامت تتعلق باللغة، واللغة هي روح كل أمة وقوام كيانها ومحور تاريخها وتراثها وأصالتها . لهذا السبب ولغيره التفت حول المجلة صفوة ممتازة من الكتاب ينتمون الى بلاد مختلفة ، آمنوا جميعا برسالتها السامية هذه ، التي ما فتىء اهتمامهم بها يتضاعف ، وايمانهم بها يزيد .

وحينما جمعت المجلة بين هؤلاء الكتاب في مجلد واحد فانما كانت تهدف الى :

— رسم صورة موجزة وواضحة لحياتهم العلمية والفكرية ..

— التعريف بهم وبانتاجاتهم ، ومدى اسهام كل منهم في ميدان تخصصه .

— التقريب فيما بينهم ، وتوثيق عرى الاخاء والتعاون بينهم ، كاسرة واحدة يجمعها الاسم الخالد الا وهو : « اللسان العربي » .

— تيسير أمر معرفة كل ما يتعلق بهم ، وبانتاجهم على القراء والطلاب والباحثين ... الخ

— جمعهم على صعيد واحد ، كجيل اضطلع بمهمة شاقة الا وهي دراسة اللغة وكل ما يتعلق بها ، تعريفا ، وتنقيبا ، وبحثا وتطويرا .

— اسهاما منا في ايجاد ببليوغرافية عربية ، للكتاب العرب المعاصرين على اختلاف مجالاتهم واهتماماتهم العلمية .

---

1) مرتبة حسب الحروف الهجائية .

الدكتور عبد العزيز السيد
"إبراهيم"



— ولد الاستاذ الدكتور عبد العزيز السيد عام 1907 وفى عام 1927 حصل على باكالوريوس كلية المعلمين بمصر ، وكذا على دبلوم معهد التربية العالي .

وفى عام 1942 حصل على درجة الماجستير فى التربية ، وبعد عامين من هذا التاريخ نال درجة الدكتوراه فى التربية كذلك .

— وتاريخ الدكتور عبد العزيز السيد تاريخ كفاح متواصل من أجل رفع مستوى الثقافة والفكر والعلوم فى بلاده وخارجها ، وبنظرة خاطفة على المناصب التي تقلدها منذ تخرجه عام 1927 الى الآن نستطيع أن نستجلي هذه الحقيقة بوضوح ، فقد عمل أول الأمر أستاذا للرياضيات بالكلية الحربية ، ثم أستاذا كذلك لنفس المادة بكلية المعلمين جامعة عين شمس وفى سنة 1954 أصبح وكيلا لكلية التربية ، ثم مديرا للتعليم الابتدائي بالقاهرة .

ومن سنة 1955 الى 1958 كان مديرا لجامعة القاهرة — فرع الخرطوم

ومن هذه الجامعة ، انتقل الى جامعة الاسكندرية ليصبح مديرا لها حتى عام 1961 .

وهكذا ظل يتقلب فى المناصب الهامة الى أن عين وزيرا للتعليم العالي عام 1961 حتى 1965 ثم أصبح بعد ذلك وزيرا للتربية والتعليم من 1967 الى 1968 .

— والاستاذ عبد العزيز السيد عضو بارز فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وهو يضطلع بعدة نشاطات علمية أخرى كاشرافه على رسائل الدراسات العليا ومشاركته فى كثير من المؤتمرات العلمية فى الوطن العربي وخارجه .

— يعمل حاليا مديرا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وقد وفق التوفيق الكبير — بفضل ما أوتيه من مقدرة عملية وارادة وعزم وطيدين — وفق فى ادارة هذا المرفق الحيوي الهام من مرافق الاشعاع العربي بجامعة الدول العربية .

— ويعد الدكتور عبد العزيز السيد من أبرز الشخصيات العربية المعاصرة الذين كان لهم نصيب وافر فى نشر اسباب الثقافة والعلم وتكوين جيل بأكمله ممن تتلمذوا عليه أو تأثروا به الشيء الذي جعله يحتل المكانة اللائقة المرموقة فى قلوب عارفيه ومعاصريه داخل بلاده وخارجها .

— للدكتور عبد العزيز السيد كثير من المؤلفات فى مختلف مجالات الفكر والثقافة والعلوم منها :

— اعداد المعلم فى الوطن العربي

— فى اصول التربية

— دور الجامعة فى المستقبل ... الخ

وغيرها من البحوث والدراسات القيمة الأخرى المنشورة فى مختلف المجالات العلمية أو ضمن كتب مستقلة .

الأستاذ إبراهيم حركات



— ولد بالدار البيضاء عام 1929

— تلقى تعليمه الأول بالدار البيضاء نفسها .

— أحرز على اجازة الآداب والتاريخ من الرباط وعلى دبلوم العربية من معهد الدراسات العليا بالرباط كذلك .

— دكتوراه فى الآداب من ايكس آن بروفانس بفرنسا

— تقلب فى عدة مناصب تعليمية حتى أصبح استاذا بكلية الآداب بفاس .

— يجيد الفرنسية والاسبانية

من مؤلفاته :

— أربعون مؤلفا مدرسيا — ابتدائي وثانوي

— النظام السياسي والحربي فى عهد المرابطين

— المغرب عبر التاريخ (ثلاثة مجلدات)

— مدخل الى علم المترادفات العربية

— الحياة الاجتماعية بالمغرب فى العصر المريني

من المستشرقين الذين تأثر بهم دو فردان ، ولاوست ، وآدم ، وغيرهم ، كما تأثر بالأعلام من العرب — كابن خلدون وابن جني وابن تيمية .

الدكتور إبراهيم دسوقي أباظة



— من مواليد القاهرة ، فى 23 يناير 1935

— تلقى الدكتور ابراهيم دسوقي اباظة تعليمه الأول بالمدارس المصرية حتى أحرز « الباكالوريا » عام 1954 ، والليسانس فى الحقوق من جامعة القاهرة 1958 ، ودبلوم الدولة فى العلوم الاقتصادية من جامعة «كان» بفرنسا عام 1961 ودكتوراه الدولة فى العلوم الاقتصادية من جامعة باريس تحت اشراف العلامة « اندريه مارشال » عام 1969 .

— وهو يجيد الفرنسية والانجليزية

— ويعمل استاذا للعلوم الاقتصادية بكلية الحقوق بجامعة محمد الخامس والمدرسة الادارية بالرباط .

— كما انه متأثر بالدكتور محمد حسين هيكل باشا فى ميدان الأدب والفلسفة ، وبالدكتور عبد الرزاق احمد السنهوري باشا فى القانون والسياسة ، وبالدكتور سعيد النجار فى ميدان الاقتصاد .

من مؤلفاته باللغة العربية :

1 — « القانون العام الاقتصادي » 1970

2 — النقود — العلاقات الدولية ، الدخل القومي »

3 — تاريخ الفكر السياسي (الجزء الأول) 1971

4 — التنمية الاقتصادية بين الأصالة والتقليد 1972

5 — معجم المصطلحات الاقتصادية (تحت الطبع)
وهو معجم يتناول ترجمة جميع المصطلحات الاقتصادية والمصطلحات ذات الصلة بالعلوم الاقتصادية من الفرنسية والانجليزية الى العربية ، بتكليف من المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي .

من مؤلفاته باللغة الفرنسية :

1 — الصناعة الثقيلة فى مصر — 1961

2 — العلاقة المتبادلة بين القطاع العام والقطاع الخاص فى الدول النامية - 1969

كما أن له العديد من المقالات والبحوث العلمية الأخرى المنشورة فى مختلف المجلات العربية .

الدكتور ابراهيم السامرائي



— من مواليد مدينة العمارة (العراق) سنة 1923

— اتم دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية فى بلاده العراق ، ثم أحرز على دكتوراه الدولة من كلية السوربون بباريس فى اللغات السامية 1956 .

— يجيد اللغات السامية القديمة كالآرامية والعبرية والحبشية كما يجيد من اللغات الحديثة الفرنسية والانجليزية .

— عين مدرسا فى كلية الآداب ببغداد سنة 1956 ثم استاذا مساعدا عام 1960 ثم استاذا سنة1965

من مؤلفاته :

— دراسات فى اللغة

— الاعلام

— لغة الشعر بين جيلين

— التطور اللغوي التاريخي

— انستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية .

من تحقيقاته :

— نزهة الألباء فى طبقات الأدباء لابن الانباري

— رسائل فى اللغة

— المتشابه للثعالبي

— الامكنة والمياه والجبال للزمخشري

الى جانب العديد من الدراسات القيمة المنشورة فى مختلف المجلات العلمية العربية .

الأستاذ ابراهيم مصري الدرويش



— هو نجل الموسيقار السوري المعروف علي مصري الدرويش

— درس الموسيقا باشراف والده .

— لحن حوالي خمسين اغنية مدرسية ونشيد جمعت فيما بعد فى كتاب بعنوان (اغاني الطفولة)

— تابع دراسته الموسيقية العليا بالقاهرة

— عمل مدرسا للموسيقى العربية فى حلب

— ثم اختير ليكون مفتشا اختصاصيا للتربيـــة الموسيقية فى المنطقة الشمالية والشرقية من سورية وهو يشغلها حتى الآن .

— عضو فى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم بدمشق .

— كتب العديد من المقالات الفنية فى مختلف الصحف والمجلات والقى الكثير من المحاضرات المتعلقة بامور الموسيقى والمسرح منها :

— التربية الموسيقية كوسيلة فى التعليم العام .

— حلب ومكانتها فى الموسيقى

— من تاريخ الموسيقى

— الموسيقى والمسرح المدرسي فى سوريـــة وثائقيا وتاريخيا ... الخ .

— تأثر بموسيقى واعمال مؤلفي التراث العربـي القديم ، كالموشحات والنوبات الأندلسية الأصلية والمأخوذ معظمها من تونس والمغرب والجزائر، كما تأثر باعمال مؤلفي الموسيقىالغربية الحديثة من الكلاسيكيين والرومانسيين ...

أبو القاسم محمد كرو



— ولد بمدينة قفصة (تونس) 1 — 7 — 1924

— تلقى تعليمه الابتدائي بها ، والثانوي فى الزيتونة بتونس ، ثم فى معهد حـــر بالقاهـــرة .

— واحرز على الليسانس فى الآداب العربية من «دار المعلمين العالية ببغداد بعد ذلك » .

— كتب للاذاعة والصحف والمجلات العربية مئات المقالات والأحاديث عن كفاح المغرب العربي

— انتخبعضوا مراسلا لمجمع اللغة العربيةبالقاهرة (يناير 1970)

— اسس سلسلة كتب شهرية ، صدر منها 31 كتابا ومجلة « الثقافة » « وأعلام المغرب العربي » « ومكتبة الشابي » و « وثائق قومية »

مـــن مـــؤلفـــاتـــه :

— « ماي شهر الدماء والدموع فى المغرب العربي »

— الشابي حياته وشعره (أول كتاب مستقل صدر عن الشابي)

— كفاح الشابي او الشعب والوطنية فى شعره

— « حصاد القلم »

— « كفاح وحب »

— « نداء للعمل »

— « العرب وابن خلدون »

— « صوت الجزائر »

— « الطاهر الحداد »

— « حديث رمضان »

— « شخصيات ادبية من المشرق والمغرب »

الى جانب العديد من البحوث والمقالات الأخرى التي نشرت فى مجلات عربية مختلفة

الدكتور إحسان عباس



— ولد بعين غزال (منطقة حيفا) فلسطين ، في 2 — 12 — 1920 .

— انهى تعليمه الثانوي في القدس

— حاصل على الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة في الآداب

— عمل مدرسا في جامعة الخرطوم ، ثم في الجامعة الامريكية ببيروت وما يزال بها حتى اليوم .

— اشرف على اصدار سلسلة من الكتب تتصل بالحياة العلمية والأدبية في الاندلس باسم (المكتبة الاندلسية)

— يجيد اللغة الانجليزية

— قاربت كتبه الخمسين كتابا ما بين مؤلف ومحقق ومترجم منها :

— « الحسن البصري »

— « عبد الوهاب البياتي »

— « فن الشعر »

— « فن السيرة »

— « العرب في صقلية »

— تاريخ الأدب الأندلسي جزءان

— بدر شاكر السياب

— تاريخ النقد الأدبي عند العرب

ومن كتبه المحققة :

— خريدة القصد للعماد الاصفهاني جزءان بالاشتراك مع الاستاذين شوقي ضيف والمرحوم أحمد امين

— رسائل ابن حزم الأندلسي

— فصل المقال في شرح كتاب الأمثال بالاشتراك مع الدكتور عبد المجيد عابدين .

— ديوان ابن حمديس الصقلي .. الخ

ومن كتبه المترجمة :

— كتاب الشعر لأرسطو

— النقد الأدبي ومدارسه الحديثة

— ارنست هنفواي

— فلسفة الحضارة أو مقال في الانسان

— يقظة العرب

— ت. س. اليوت .. الخ

كما أن له عديدا من البحوث والمقالات المنشورة في مصادر مختلفة كلها تبحث في مختلف جوانب الفكر والحضارة والأدب .

الأستاذ الشاعر الحاج أحمد بنشقرون



— من مواليد مدينة فاس عام 1913

— حصل على شهادة العالمية سنة 1942 من جامعة القرويين

— اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة

— وبعد اجتياز مباراة علمية أجرتها ادارة جامع القرويين ، عين مدرسا بها .

— شارك فى الحركة الوطنية ابان ظهورها ، حيث سجن من طرف السلطات الاستعمارية عدة مرات .

— وعين — بعد ذلك — مراقبا عاما ، ونائب مدير جامعة القرويين فى شؤون البرامج العامة والاختبارات .

— ثم تولى اثر عودة المغفور له — محمد الخامس طيب الله ثراه — من منفاه ، رئاسة قسم التعليم العالي الاسلامي التابع لوزارة التربية الوطنية حيث قام فيه باعمال جليلة رفعت من مستواه ووسعت من اختصاصاته .

— يشغل — حاليا — منصب نائب عميد كلية الشريعة بجامع القرويين

— استدعي من طرف المجلس الأعلى بالقاهرة . فى أول مؤتمر عقده مجلس البحوث الاسلامية عام 1964 ممثلا لبلاده بجانب الأمين العام لرابطة علماء المغرب الاستاذ العلامة عبد الله كنون .

— له عدة مقالات ضافية فى مختلف مجالات المعرفة، كما أن له قصائد شتى فى مختلف المواضيع الدينية والاجتماعية وغيرها .

الأستاذ أحمد الأخضر غزال



— ولد بمدينة فاس فى 17 اكتوبر عام 1917

— اتم دراسته الابتدائية والثانوية بالمغرب ، والجامعية بالسوربون بباريس وبها أحرز على درجة الدكتوراه فى التبريز فى اللغة العربية وآدابها

— يجيد البربرية والفرنسية واللاتينية واليونانية

— متأثر بعلماء العربية القدامى وعلماء اللسنيات المعاصرين .

— يعمل حاليا مديرا لمعهد الدراسات والأبحاث المغربي للتعريب بالرباط .

— له عدة مقالات حول مشاكل الطباعة العربية ، والتعريب والمصطلحات ، ومناقشات لغوية وترجمات لدروس جامعية علمية مختلفة فى العديد من المجلات العربية والفرنسية

— وعمله فى تطوير الحرف الطباعي العربي اصبح معترفا به فى المغرب العربي وبعض البلاد العربية الأخرى .

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح



— ولد عام 1937 م بصعيد مصر .

— التحق بالأزهر وحصل فيه على الاجازة العالية ، من كلية أصول الدين ، قسم عقيدة وفلسفة .

— ثم حصل بعد ذلك على دبلوم معهد التربية العالي من كلية التربية ، ودبلوم الدراسات العليا من جامعة الأزهر .

— يجيد الانجليزية والأوردية

— متأثر بدراسته الأزهرية . أما تأثيره فى غيره فقد كان كبيرا على أسرته وقبيلته خصوصا فى تخفيف حدة الأخذ بالثأر .

من مؤلفاته :

— العربية لغة وضوح وفكر

— فلسفة البراجماتزم

— دراسات حول اللغة العربية

— من وحي الاسلام

كما يواظب على نشر العديد من البحوث والمقالات فى كثير من مجلات العالم الاسلامي فىمختلف الميادين الفكرية واللغوية والحضارية وغيرها .

الدكتور أحمد محمد الحوفي



— حاصل على دكتوراه فى الأدب العربي من جامعة القاهرة

— يشغل استاذ كرسي الأدب العربي ورئيس قسم الدراسات الأدبية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

— كما يشغل رئيس لجنة التعريف بالاسلام بالمجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة .

— عضو لجنة الخبراء

— عضو المجمع اللغوي بالقاهرة .

من مؤلفاته :

1 — وطنية شوقي

2 — الاسلام فى شعر شوقي

3 — النسيب فى شعر شوقي

4 — ادب السياسة فى العصر الأموي

5 — ابو حيان التوحيدي

6 — المراة فى الشعر الجاهلي

7 — اغاني الطبيعة فى الشعر الجاهلي

8 — الحياة العربية فى الشعر الجاهلي

9 — كما ان له كتبا عن الطبري ، الجاحظ ، الزمخشري اتسمت جميعها بعمق الدراسة وسعة النظر .

الأستاذ إدريس الخطابي



— هو نجل الزعيم المرحوم محمد عبد الكريم الخطابي

— من مواليد جزيرة الريونيون (حيث كان والده منفيا مع أسرته) فى 1926 .

— اتم تعليمه الأول فى الريونيون نفسها ، غير أنه تعلم مبادىء القراءة والكتابة على يدي والده ، كما هو الشان مع بقية اخوانه ، اذ كانت المدرسة الوحيدة بالجزيرة فرنسية .

— وفى القاهرة واصل دراسته العليا على أيدي شيوخ جامعة الازهر الشريف .